

الدورة السابعة عشرة

من يوم الاثنين ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٣٦٩ هـ الموافق ٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٠ م
إلى يوم الاثنين ٢٢ من شعبان سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٨ من مايو سنة ١٩٥١ م

مرسومان

صدرا في هذه الدورة

صدر في هذه الدورة المرسومان الآتيان :

١ — مرسوم بتعيين الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيساً لمجمع اللغة العربية ، لمدة ثلاث سنوات ، تبدأ من ٣١ من يناير سنة ١٩٥١ (صدر في ٢٩ من يناير سنة ١٩٥١) .

٢ — مرسوم بتعيين الأستاذ عبد الحميد العبادي ، والدكتور أحمد عمار ، عضوين عاملين بالمجمع ، في المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحومين الدكتور محمد شرف ، والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني (صدر في ٢٣ من أبريل سنة ١٩٥١) .

جلسة افتتاح المؤتمر

مع حضرات الأعضاء لفيف من الكبراء ورجال التعليم وأساتذة الجامعات والمعاهد وممثلي الصحف ومندوبي الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية .

وقد افتتح سيادة الدكتور فارس نمر الجلسة بوصفه أكبر الأعضاء سناً ، نائباً عن رئيس المجمع المعتذر عن التخلف لاعتكافه بسبب حالته الصحية ، فأعلن افتتاح المؤتمر ، ودعا الأستاذ الدكتور طه حسين وزير المعارف لإلقاء كلمته وهي تتضمن تحية الحكومة للمجمع ورغبة سيادته في معاونته ، فلما فرغ منها أعلن الرئيس النائب أن الأستاذ الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع معتكف بسبب حالته الصحية ، وأنه أناب عنه الأستاذ محمد شوقي أمين المحرر بالمجمع لإلقاء كلمته ، وهي تتضمن أعمال المجمع في الدورة الماضية ، فلما ألفت أعلن الرئيس النائب أن الكلمة للدكتور أحمد أمين وأنه أناب عنه الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي المراقب الإداري في إلقائها ، وهي بحث في جمع اللغة من القبائل ، وبعد إتمامها أعطيت الكلمة للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فألقى بحثاً في كلمات شائعة في اللغة العربية تتنازعها اللغات الأجنبية ، وبعد ذلك أعطيت الكلمة للأستاذ ليمان فألقى بحثاً في الأدب الشعبي الذي يتخلده العامة في مصر وفي غيرها من البلاد العربية .

وأعلن الرئيس النائب انفضاض الجلسة العلنية ، فانصرف الحاضرون غير الأعضاء العاملين ، وبعد مناقشة فيما بينهم تقرر أن تعقد

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ م ، موعداً للجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع .

وقبل الموعد توافد على دار المجمع من أعضائه العاملين السادة الدكتور طه حسين ، والدكتور عبد الحميد بلوى ، والدكتور فارس نمر ، والدكتور أحمد أمين ، والدكتور أحمد زكي ، والسيد حسن القاياتي ، والشيخ محمود شلتوت ، والأستاذ زكي المهندس ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، وسيادة حليم ناحوم أفندي ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والأستاذ محمود تيمور ، والدكتور إبراهيم بيومي مذكور ، والأستاذ مصطفى نظيف ، والأستاذ إبراهيم مصطفى .

كما توافد على الدار من الأعضاء العاملين الشرقيين والمستشرقين السيد محمد رضا الشيبني ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والأستاذ خليل السكاكيني ، والأستاذ ليمان والأستاذ ماسينيون . وكذلك حضر من الأعضاء المراسلين الأستاذ عادل جبرة ، والأمير مصطفى الشهابي .

واعتذر من التخلف الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس المجمع ، والدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع ، والأستاذ علي عبد الرازق وفي الموعد المحدد عقدت الجلسة وشهدا

تمنيات الأعضاء إلى سيادته ، أن يعجل الله له الشفاء ، وأن ترسل برقية بهذا المعنى إلى الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع .
وهذه نصوص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

الجلسة التالية يوم الاثنين ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، وأن يعقد المؤتمر جلساته في أيام الاثنين والأربعاء من كل أسبوع .
كما تقرر أن ترسل برقية باسم المؤتمر إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس المجمع ، تحمل

كلمة الدكتور طه حسين وزير المعارف

وقرارات يجب أن تمضي ، ومشروعات يجب أن تتم ، وأنتم في حاجة من أجل هذا كله إلى مساعدة وزير المعارف . فلکم على الوعد ، مادمت وزيراً للمعارف ، أن أنجز أعمالكم وأمضي قراراتكم وأعاون على أن تتم مشروعاتكم . وهذا كل ما يستطيع وزير المعارف أن يقوله لمجمع مثل مجعكم الموقر .

أما التحدث إليكم عن اللغة وشئوننا ، وعن إصلاحها والمحافظة على سلامتها إلى آخر ما جاء في مرسوم المجمع ، فحديث معاد ، أربأ بمحضراتكم عن سماعه ، وأربأ بنفسى عن الخوض فيه . وكل ما أتمناه لكم أن تكون دورتكم هذه خصبة كدورتكم الماضية ، وأن تكون أعمالكم في هذه الدورة مباركة كما كانت في الدورة الماضية ، وأن يتيح لكم الله من النجاح والظفر بتحقيق آمالكم ماتستحقون .

أما بعد ، فقد كنت حريصاً على أن أوجز ولكنى أطلت ، فاعتذر من إخلالي لهذا الوعد وأترك مكانى لسيادة الرئيس .

سيدى الرئيس ، أيها الزملاء الأعزاء ، أيها السادة :

يقال إن البلاغة هي الإيجاز ، وتعرفون حضراتكم أنى أحرص أشد الحرص على أن أكون بليغاً ، فسأحرص أشد الحرص على أن أكون موجزاً . وربما كان خير إيجاز هو الصمت ، فليس لوزير المعارف أن يتحدث في هذا الحفل ، وإن قصت تقاليد المجمع أن يتحدث الوزير . ذلك أن الوزير إنما هو في هذه الدار ضيف على رئيس المجمع ، حتى لو كان عضواً من أعضاء المجمع ، فهو ضيف وإن كان في داره . فالكلمة ينبغي أن تكون للرئيس أولاً ثم للذين يريدون أن يتحدثوا عن أعمال المجمع وشئونه بعد ذلك . ولا أعرف أن لوزير المعارف في مثل هذا الحفل محلاً من الإعراب ! وإنما أعرف أنه أقحم نفسه أو أقحمه المجمع على مكان ليس له . فلا أوجز إذن ، وليكن حديثي إليكم هو تحية الحكومة لمجمعكم الموقر ، ووعدى بأن سأكون إن شاء الله عندما تحبون ، لكم أعمال يجب أن تنفذ ،

كلمة الدكتور منصور فهمي كاتب «سر المجمع»

أيها السادة :

إذا فاني أن أشهد هذا لحفل الموقر ، وهو عيد سنوى من أعياد الزمالة العلمية يتجشم فيه زملاء أعزاء مشقة سفر بعيد ليشاركوا فيما يدرسه المجمع ، ويتلاقى عنده ملاء كريم من أحباء اللغة والراغبين في ازدهارها - فليس يفوتني أن أبعث بأطيب التمنيات لمن حضروا في هذا الاجتماع ، راجياً لهم موفور الصحة والعافية ، سائلاً الله أن يهيئ لهم في قابل السنين شهود مؤتمرات المجمع وهم على خير حال وفي أسعد الأوقات .

وإن الظروف التي حالت اليوم دون حضوري تضطرنني إلى اختصار مايناط بي بسطه في كل عام من أهم أعمال المجمع في دورته الماضية ، فعذرة عن إيجاز قد لايشفى غلة أهل الفضل من الحاضرين .

أيها السادة :

تميزت دورة العام الفائت بكسب ثروة أضيفت إلى رصيد المجمع باستقبال عضوه الجديد الأستاذ محمود تيمور ، وباختيار حضر الدكتور غلام علي رعدى عضواً مراسلاً في إيران خلفاً للمرحوم الأستاذ إسماعيل مرآة. وهى تتميز أيضاً بما توافر في جلسات المؤتمر من بحوث ومحاضرات وتوجيهات واقتراحات لطائفة من أعضاء المجمع العاميين والمراسلين وخبراء اللجان . فقد ألقى السيد محمد رضا الشيبى بحثاً في المؤتمر يؤيد به الحاجة إلى معجم عصرى يعنى بتاريخ اللغة

ويتحول مدلولاتها بتحول العصور ، كما ألقى فيه محاضرة تتضمن الدعوة إلى توحيد المصطلحات بين الناطقين بالضاد . وكذلك استمع إلى اقتراحه في بحث « موقف المجمع من غريب ألفاظ المعجمات القديمة » . واستمع المؤتمر إلى فضيلة الشيخ عبد القادر المغربي يتحدث عن « أثر اللغات السامية في اللغة العربية وعن لغة العرب وآلات الطرب » . واستمع كذلك المؤتمر إلى كلمة للأستاذ ماسينيون حوت خواطر في التضمين أشار فيها بحذق إلى خصائص اللغة العربية في تضمين اللفظ لمعان مختلفة وفي مهارة تنقل العقل العربى لكى يتصيد مختلف هذه المعانى ولكى يتبين ما فيها من الفروق . كما استمع إلى محاضرة له أبان فيها ضرورة وضع أطلس مصرى لمصطلحات الحرف العملية . ثم استمع المؤتمر إلى بحثين للأستاذ خليل السكاكيني في « التشويش في اللغة » ، وفي « الترادف » ، رعى من خلاهما إلى ماينبغى مراعاته في اللغة من نظرات التيسير والتنظيم . واستمع المؤتمر إلى محاضرة للأستاذ أحمد حسن الزيات عن الوضع اللغوى وحق المحدثين حياله . وإلى الأستاذ إبراهيم مصطفى يتحدث في موضوع النحو وجواز القياس فيه ، وإلى فضيلة الشيخ إبراهيم حمروش يتحدث عن رسم المصحف الشريف . وإلى فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين يدعو إلى استعمال كلمتين طبيعتين قديمتين ويتحدث عن اسم المصدر . وكذلك تلى على المؤتمر بحثان لفضيلة السيد الطاهر بن عاشور العضو المراسل أحدهما في استعمال « كل » بمعنى « بعض » ، والثانى في تفسير اللغويين للصوت المجسد .

تعدد في الوسائل ووفرة في الموارد ليتسنى له النهوض بأعبائه على أتم الوجوه .

على أنه مهما يكن من صعاب تجد من نشاط المجمع فإن آثاره الحميدة تجد سبيلها موصولة مهيأة في محيط التعليم وفي البيئات الثقافية في مصر وفي غيرها من بلاد العروبة ، وذلك لأن الهيئة الكريمة التي يتألف منها المجمع غنية بمن تضم من أعضاء عاملين ومراسلين وخبراء ومحررين ، كما أنها ذات تأثير ثقافي ولغوي بهم وهم صفوة من حملة الأقلام وأساتذة المعاهد ، ومن طريق كتاباتهم وأحاديثهم ينتقل فيض مما تتمخض عنه دراسات المجمع من توجيهات وقرارات . إن من يدقق النظر في مختلف معاهد الثقافة في البلاد العربية يجد آثار ذلك بادية في شيوخ الكثير من المصطلحات والصيغ مما عني المجمع به أو وجه إليه وارتضاه كما أن الكثيرين من المثقفين والمؤلفين يلجئون إلى المجمع للانتفاع بالمصطلحات والتوجيهات اللغوية التي يستخدمونها فيما يعالجون .

ومهما يكن من خلاف بين المجمعين في تشددهم أو ترخصهم ، وفي نزوعهم إلى المحافظة أو التجديد ، فإنهم يتجمعون صفاء واحداً عند اللوق الذي يأخذ بهم إلى إجراء الكلام على مقاييس الأسلوب العربي السليم . ومهما يكن من حرصهم على التسجيل أو التيسير وإزالة السدود بين العامى والفصيح فإن غايتهم جميعاً تتجه إلى تخليص الدارج من ضروب علله وإكسابه سلامة وسمواً ، وإلى تطويع الفصيح الأبد ليستأنس ويتسع ويشيع . وإن المجمعين يتلاقون عند عاطفة كريمة تملك عليهم مشاعرهم وهي الاعتزاز بهذه اللغة

واستمع المؤتمر لخيزي لجنة اللهجات الدكتور إبراهيم أنيس والأستاذ خليل عساكر أولهما يلتقي بحثه في أبواب الفعل الثلاثي ، والآخر يشرح طريقة لكتابة اللهجات العربية بمختلف العلامات والإشارات . وقد أخذ المؤتمر باقتراح للأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب في استعمال كلمة « الخطاطة » لعلم قراءة الخطوط القديمة . وكذلك نظر المؤتمر في تقرير للجنة الأصول في رسم الهمزة ، كما نظر في نماذج من المعجمات التي يقوم بوضعها المجمع .

أيها السادة :

إنه ليؤسفني أن أنوه ببحوث ومحاضرات قيمة في إيجاز تحفى معه القيم الحقة لما اشتملت عليه أو جرت إليه من فكر لامعة وجامعة ، لأن المقام لا ينفصح لأكثر من التلويح والتلميح

وقد كان بود المجمع وهو ينوه بعنوانات هذه البحوث والمحاضرات أن يستطيع تقريبها من يد المتناول ، وتهيئتها لتدنو إلى الباحثين والدارسين ، ولتيسر للجماهير المثقفين . ولكن المجمع لا يزال إلى اليوم في حاجة لأن تتعدد وسائله وتتسع موارده لكي يحقق أغراضه على النحو الذي يطيب له ويرضيه . فلقد تعطلت مجلته ومجموعات محاضره عن الصدور حيناً ، وقد ضاقت داره عن حاجاته ، وقد تعذر عليه نشر آثاره وإشاعة البحوث المفيدة وتشجيع مختلف المشتغلين بما يفيد اللغة وتيسير الأمور لهم في ذلك . وكل هذا لقلّة الاعتمادات المرصدة له في مختلف أبوابها . وإننا نلرجو مخلصين أن يتاح للمجمع

صادقاً بقيمة لغتهم ، ويرغبوا رغبة خالصة في خدمتها ، لنحتفظ بقوتها وسلامتها ، وثني بكل حاجات التقدم والنهوض ، ويتحقق لها ما هي جديرة به من تقدير وتقدير .

أيها السادة :

ذلك ما بدا لي أن أبسطه لكم في مناسبة الحديث عن المؤتمر وهيئة المجمع في الدورة الماضية ، وقد خطا مجلس المجمع وبلحانه شوطاً في بحث المصطلحات في علم المنطق وفي علم النفس وفي القانون الدولي العام وفي المرافعات وفي النبات وفي الرياضة وفي تيسير مصطلحات الألوان وفي الكيمياء والطبيعة وفي الطب الباطني وفي الحشرات الطبية وفي الهندسة الميكانيكية . ومجموع ما وضع أو شرح من المصطلحات يربو على ألف مصطلح . وأما مجلة المجمع فقد أوشك الجزء السادس أن يخرج من المطبعة ، وتستطيع إدارة المجمع أن تقدم إليها أصول غيره من الأجزاء . وقد يشمل الجزء السادس وما يليه ما بقى من قرارات المجمع وأعماله التي تعطل نشرها بسبب الحرب الماضية . والآن أشير إلى أن مؤتمر المجمع سيبحث فيما أقر من مصطلحات الدورة الماضية وفي مواد من معجم القرآن ، وسيستمع إلى محاضرات وبحوث في الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة العربية ، وفي ضبط الكتابة العربية وفي نموذج تكوين المصطلح الفلسفي ، وفي غير ذلك من الموضوعات التي تتصل بأغراض المجمع . وسينظر المؤتمر كذلك فيما يتقدم به الأعضاء العاملون والمراسلون وغيرهم من مقترحات وشئون . والله المستعان ...

وشمولها بكثير من التقديس والإجلال ، وذلك نتيجة لتأثير وراثي عريق تمدده نزعة تحدرت إليهم عن أسلاف في طباعهم نزوع إلى الحفاظ والاعتزاز . ومع الزمن أفيضت على اللغة صبغة التقديس حين وصل القرآن بينها وبين معنى الدينونة برباط وثيق . وإن لغة تستمد وجودها من طبع موروث ، ومن صبغة فيها لون الدين وروحانيته ، لمي لغة حرية بأن تعيش ، وبأن تمدد الأحقاب بوسائل القوة والمناعة ، فاذا أضيف إلى النزعة الموروثة وإلى روح الدينونة عوامل اليقظة والتوثب إلى الحياة ومجاعة التطور ، كما هو باد لمن يتعرفون أحوال العروية في حاضرها المرموق ، فإن نتيجة محتومة تبرز للمتعارف المدقق ، تلك هي أن لغة العرب مكفول لها البقاء والنماء .

ومهما يكن من فروق في اللغة العربية بين قديمها وحديثها ومتعدد لهجاتها ، فإن مقوماتها وجوهرها الأصيل لا يكاد يظهر فيهما كبير الأثر لهذه الفروق .

وإن هذه اللغة بمخصائصها الجوهرية ، وأصولها الموحدة ، لتمتد في الماضي ، وتشيع في الحاضر ، وترنو إلى المستقبل ، على صور يتقارب بعضها من بعض ، وينزع بعضها إلى بعض . وتلك مزية للغة العرب لانعرفها لغيرها من اللغات . وهي في ذلك أشبه بشجرة قوية مباركة حية تتشابه أصولها وفروعها وغصونها وإن لغة هذا شأنها في قرون وآماد ، وذاك حالها من الحيوية السرمدية ، خليقة بالتمجيد ، حقيقة بالتقدير . وإنه مادام في طبيعة الأشياء أن كل قوى يصمد ويثبت ينتزع إليه التقدير والتكريم ، فلا عجب أن يؤمن الجمعيون إيماناً

جمع اللغة العربية

بمبحث ألقاه العضو المحترم المرحوم الدكتور أحمد أمين

حذو المحدثين في تقسيمهم اللغة إلى متواترة ورواية آحاد . فالتواتر لغة القرآن ، وماتواتر من السنة ، وماتواتر من كلام العرب . واشترطوا أولاً في ذلك أن يبلغ عدد النقلة حداً لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب ، كرواية لغة القرآن وماتواتر من السنة . وقد استشكل الفخر الرازي في تفسيره وجود التواتر في اللغة ، قال : لأننا نجد الناس مختلفين في معاني الألفاظ — التي هي أكثر الألفاظ تداولاً ودوراناً على ألسنة المسلمين — اختلافاً شديداً ، لا يمكن فيه القطع بما هو الحق ، كلفظ « الله » فإن بعضهم زعم أنها عبرية ، وقال قوم سريانية . والذين جعلوها عربية اختلفوا هل هي مشتقة أولاً ، والقائلون بالاشتقاق اختلفوا اختلافاً شديداً . وكلفظ الإيمان والكفر ، والصلاة والزكاة . قال : فإذا كان هذا الحال في هذه الألفاظ التي هي أشهر الألفاظ والحاجة إليها ماسة ، فما ظنك بسائر الألفاظ ؟ فإذا كان ذلك كذلك ، ظهر أن دعوى التواتر في اللغة متعذرة . والإشكال الثاني أن من شرط التواتر استواء الطرفين والواسطة ، فهب أننا علمنا حصول شرط التواتر في حفاظ اللغة في زماننا ، فكيف نعلم حصوله في سائر الأزمنة ؟ والثالث أنه أشهر — بل بلغ مبلغ التواتر — أن هذه اللغات إنما جمعت عن جمع مخصوص كالخليل : وأبى عمرو ، والأصمعي ، وأقرانهم . ولا شك أن هؤلاء ما كانوا معصومين ، ولا بالغين حد التواتر . وإذا كان كذلك لم يحصل القطع واليقين بقولهم . وقد ضربوا أمثلة من التواتر بما جرى على

كان المثقفون في العهد الأول ، وصدر من الدولة العباسية ، لا يلتفتون إلى جمع اللغة . فاللغة تؤخذ من أفواه العرب ، ومن شاء أن يتعلمها فليتعلمها من بادية البصرة والكوفة في العراق ، أو بادية العرب في الشام . فكان ابن المقفع وبشار بن برد مثلاً يخرجان إلى هذه البادية ، ويقمان فيها ويتعلمان ، ما طابت لها الإقامة ، شأنهم في ذلك شأن الطفل ينشأ بين أبويه وقومه ، ويتتقف بثقافتهم وينطق لسانه بلغتهم ، وهذا هو التعلم الطبيعي للغة . فلما جاءت موجة التدوين ، وتخصصت كل فرقة لعلم : فقوم للفقه ، وآخرون للنحو ، اشترأب قوم بجمع اللغة فجمعوها أولاً من لغة القرآن الكريم مستعنيين على ذلك بتفسير المفسرين ، وبالأحاديث التي صحت عندهم مستعنيين على ذلك بتفسير المحدثين . ولم يكتفوا بذلك ، بل ساحوا في جزيرة العرب بين القبائل العربية ، يجمعون كل ما يسمعون ، وكان من أشهرهم عبد الملك بن قريش الأصمعي ، والكسائي ، والأزهري . وكان الأصمعي أميل إلى جمع نوادر العرب ، يتحدث بها إلى الملوك ، وكان الكسائي يخرج من حين لآخر ومعه قينة مملوءة حبراً وكاغداً ، وقد أسر الأزهرى من القرامطة ومكث طويلاً في الجزيرة بين القبائل : يصيف في السارين ، ويشقى في الدهناء ، ويرتبع في الصمان ، وألف في اللغة كتاب « التهذيب » الذي أخذه ابن منظور في « لسان العرب » .

وقد جد المؤلفون فيما بعد ، في حذوهم

ألسنة الناس من زمن العرب إلى الآن ، كأسماء الأيام والشهور والربيع والخريف والقمح والشعير والأرز والحمص والسمسم .

وأما أخبار الآحاد ، فما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة ولم يتقله أحد غيره ، قالوا : وحكمه القبول إن كان المنفرد به من أهل الضبط والإتقان ، كأبي زيد ، والخليل والأصمعي ، وأبي حاتم ، وأبي عبيدة ، وأضرابهم . وشرطه ألا يخالفه فيه من هو أكثر عدداً منه ، مثل ما رواه أبو زيد « المنشب : المال » ، فلم يقله غير أبي زيد ، ومثل « رجل ثط » ولا يقال « أثط » . قال أبو حاتم : قال أبو زيد مرة « أثط » فقلت له : أتقول « أثط » ؟ قال : سمعتها . ومثل ما حكاه الكسائي : سمعت بلجة ولجبات ، وبلجة ولجبات ، فجاء بها على القياس ، ولم يحكمها غيره ، إلى كثير من أمثال ذلك . ومثل « هلمجرا » ، قال الجوهري في الصحاح : كان ذلك عام كذا وهلمجرا إلى اليوم . قال ابن هشام في تأليف له : عندى توقف في كون هذا التركيب عربياً محضاً ، لأن أئمة اللغة المعتمد عليهم لم يتعرضوا له ، حتى صاحب المحكم ، مع كثرة استيعابه وتبعه .

وكان بعض اللغويين غير موثوق به ، كأن يكون غير عدل ، أو يروى عن صبيان ، أو عن مجانين ، أو كان راوية من أهل الأهواء . ولم يكن بعض الجامعين يتحرى الصدق ، بل كان يبيع لنفسه أن يضع . كما أخذ علي ابن دريد اللغوي صاحب « الجمهرة » . ومما زاد في تضخيم اللغة ما طرأ على الكلمات من التصحيف . فقد روى أن الخليل بن أحمد

صحف « يوم بعث » إلى « يوم بغاث » ، وابن الأنباري صحف « يوحا » اسم الشمس إلى « بوح » ، ورووا أن حماداً الراوية صحف في القرآن ثلاث كلمات لأنه أخذه من المصحف ولم يروه عن أحد ، فحرف « وعدما إياه » بـ « وعدما أباه » وفي عزة وشقاق « إلى » في غرة وشقاق ، « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » إلى « شأن يغنيه » . وقالوا إنه وقع في كتاب « العين » للخليل من التصحيف . مالا تصح نسبته إلى تلميذ من تلامذته فضلاً عنه ، ووقع في التصحيف الجوهري صاحب « الصحاح » وغيره . ولم تحقق هذه التصحيفات بل كدست فوق بعضها وضخمت المعاجم .

وعنى الجامعون للغة قبائل خاصة وهي : عليا هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ابن معاوية ، وثقيف . قال أبو عبيد : وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر . وقال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلى تميم .

وتخرجوا من أن يأخذوا اللغة عن جاور الحضر من قبائل العرب ، إذ كانت وجهة نظرهم أن يأخذوا اللغة ممن صفت لغتهم وبعدت عن الدخيل . وكانت أمامهم وجهة نظر أخرى محترمة أيضاً ، وهي أن يأخذوا ممن اختلط بالحضر ، فإن لغتهم أوسع وألفاظها قد رقت بالحضارة .

إنما كان عملهم في الجمع بدائياً غير منظم ، منهم من يلتقطون ما يسمعون من الألفاظ ويلدونونها ، وعيب هذه الطريقة أنهم لم ينصوا

في الأعم الأغلب على القبيلة الواحدة التي جمعوا منها ألفاظهم ، بل يهتمون بالكلمة التي سمعوها. ويدونونها حيثما اتفق : كلمة بجانب كلمة ، من غير ترتيب . ولذلك نرى نقصاً كبيراً في هذا الجمع : فأحياناً نجد مصدراً ولا نجد فعلاً ، وأحياناً نجد مفرداً ولا نجد مثناه ولا جمعه ، وأحياناً نجد الجمع ولا نجد المفرد وهكذا .

والمدينون الآن يؤلفون الجمعيات ، ويعملون الخرائط والاستمارات ، ويحددون الأسئلة التي يريدونها ، فيسألون مثلاً : ما تقول بلادكم في كيف حالكم ؟ ويقيدون فيها اسم البلد ، ثم يستنتجون من ذلك نوع الناس الذين ينطقون بهذا القول ، ويستخرجون من ذلك الدلائل اللغوية والاجتماعية ، ويرسمون الخرائط وفقاً لهذه الاستنتاجات ، فتكون هذه العملية عملية علمية .

والقبائل كانت أعقل من أن تضع كل قبيلة تفظين لمسمى واحد ، فالقبيلة التي تستعمل كلمة « السكين » لاتستعمل كلمة « المديرة » والقبيلة التي كانت تستعمل « البئر » لاتستعمل كلمة « القليب » . فلما كان الجمع بدائياً ، وجدت ألفاظ كثيرة مترادفة ، ومن ثم كانت المعاجم مملوءة بالترادفات . وفي رأي أن المترادفات مع إعاتها للشاعر خصوصاً في الشعر العربي الذي يلتزم القافية بل قد يلتزم مالا يلتزم ، وخصوصاً في الملاحم الطويلة التي تشتمل على أبيات كثيرة يحتاج معها لاشك إلى مترادفات كثيرة : كالجدرى في الوجه الجميل . وقد أنكرها ابن فارس وثعلب ، فقد روى أن ابن خالويه قال في حضرة

سيف الدولة بن حمدان : إني أعرف للسيف خمسين اسماً . فقال ابن فارس : إني لا أعرف له إلا اسماً واحداً وهو السيف . فقال ابن خالويه : وماذا تقول في المهند والصمصام والبتار ؟ قال : إنها صفات . يعني بذلك أنها اختلفت لدلالاتها على صفات غير الاسم ، وذلك كأسماء الله الحسنى فإنها تدل على صفات أكثر مما تدل على ذوات . وقد حكى أن أبا عبيدة افتخر يوماً أمام الرشيد بأنه يحفظ عشرة أسماء لكل عضو من أعضاء الفرس ، فقال الأصمعي : إني لا أحفظ إلا اسماً واحداً . فاستحضر الرشيد فرساً ، وسأل أبا عبيدة عن تطبيق الأسماء العشرة على كل عضو فلم يعرف ، فسأل الأصمعي فذكرها ، فوهب له الفرس . مما يدل على أن بعض الجامعين لم يكونوا يدققون كثيراً في دلالة الأسماء على مسمياتها .

والترادف في نظري ليس مزية من مزايا اللغات ، بل هو عيب من عيوبها ، فإن كان موجوداً في اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية فهو أثر من آثار اللغات القديمة . والمثل الأعلى للغة : لفظ واحد لكل مسمى ، فلا ترادف ولا اشتراك . ولذلك كانت المترادفات في اللغات القديمة أكثر منها في اللغات الحديثة . ومع أن ألفاظاً كثيرة عدت مترادفات وإن لم تكن مترادفة لدقة الفروق بينها مما أدى إلى عناية بعض العلماء — من مستشرقين وعرب — إلى تأليف كتب في الفروق — كما فعل أبو هلال العسكري وكما فعل بعض الآباء اليسوعيين — إلا أنها مع ذلك من غير شك كثيرة في اللغة العربية مما ملأ المعاجم بالمترادفات وضخمها ضخامة كاذبة .

وشيء آخر وهو أن القبائل تختلف فيما بينها أيضاً في اللهجات ، وقد تكون الكلمة تنطق بها قبيلة بلهجة ثم تنطق بها قبيلة أخرى بلهجة أخرى ، كما تختلف اللهجات في مصر بين القاهري والإسكندري والصعيدى والدمياطى . ويتبع ذلك ما روى كثيراً في كلمات من القلب والإبدال . فمثلاً تقول قبيلة «جبذ» في «جذب» و«بكل» في «لبك» . ومثل أن يقولوا «أشد سواداً من حلك الغراب» ومن «حنك الغراب» وقال بعض العرب « فأبعدكن الله من شجرات» وقال بعضهم « من شيرات » وهكذا .

فلما جاء صانعو المعاجم جمعوا هذا كله إلى بعضه ، من غير أن يتخففوا من اللهجات المختلفة مكتفين بلهجة ممتازة بالوضوح .

ثم كان أن اختلف العلماء الجامعون للغة في فهم الكلمة أو الجملة من الأعراب ، خصوصاً وأن كلمات كثيرة إنما تفهم بالقرائن ، فكان عالم يفهمها بفهم ، وآخر يفهمها بفهم آخر . وهذا ربما كان السبب في وجود بعض الألفاظ المشتركة مثل « قرء » في الحيض وفي الطهر ، خصوصاً وأن اللغة العربية تعتمد أكثر ما تعتمد على الصيغ القرية مع الاختلاف البعيد في المعنى كالفرق بين رجل ضحكة وضحكة وطلعة وطلعة ، ونحو ذلك . وقد يدق هذا على اللغوى ، وقد يدق معنى كل تركيب ، ويقع اللغويون في التضارب .

ماذا نستنتج من كل ذلك ؟

نستنتج من كل هذا أن اللغة قد تضخمت تضخماً مزيفاً كثيراً ، وكانت نتيجة ذلك تضخم المعاجم تضخماً أيضاً مزيفاً . وربما

يكون هذا مقبولا ، لو لم تدهمنا الحضارة الغربية . بكثير من المسميات والمعاني ، نحتاج لها إلى ألفاظ كثيرة ، وهى تغمرنا كل يوم بمئات المصطلحات التى كثيراً ما نعجز عن مسايرتها ، فكان المعقول أن نتخفف من كثير من الكلمات ، لنفسح مكاناً في المعاجم للمصطلحات الحديثة . وقد فعلت قريش خيراً مما فعله جامعو اللغة العربية ومؤلفو معاجمها ، فإنهم صفوا اللغات المختلفة ونقوا خيرها واستعملوه لغة لهم وبها نزل القرآن ، فلم يجمعوا كل ما قيل عن القبائل بل تخلوه واقتصروا على ما حسن وقعه في أسماعهم وراق في أذواقهم .

بقى سؤالان هاما وهما : ألم يرد في القرآن الكريم مترادفات لثبت أن قريشاً اختارت من اللغات أحسنها ؟ والسؤال الثانى : أيهما خير ، أنضحي بوحدة القافية في الشعر لتنقية اللغة من المترادفات ، أم نبقى عليها للإبقاء على الشعر العربى في شكله القديم ؟

ومن رأينا في الإجابة على السؤال الأول أن ليس في القرآن مترادفات ، وإنما كلمات متقاربة المعنى دقت الفروق بينها ، أو على الأقل اختلف وقع الكلمة باختلاف موضعها . فقد تكون كلمة أوقع في محلها حيث تكون الأخرى أوقع في محلها الآخر . وقد أدرك الجرجاني في « دلائل الإعجاز » ذلك إذ قال : إن كلمة « أيضاً » ليست من الكلمات التى تستحسن في الشعر ولكن وردت جميلة في بيت شعري هو :

غير أنى بالجوى أعرفها
وهى أيضاً بالجوى تعرفنى

وَأما عن السؤال الثاني فيمكننا أن نهدر المترادفات ، ونهدر معها ورود القصيدة على قافية واحدة ، خصوصاً وأنه من الصعب في الملاحم وأمثالها أن نطيل أبياتها على روى واحد وقافية واحدة ، والمهرب من هذه الصعوبة هو أن تغير القافية في كل عدة أبيات ، كما اضطر البستاني أن يفعل ذلك حين ترجم الإلياذة ، وبذلك كله نفسح مكاناً واسعاً في	المعاجم للكلمات الحديثة والمصطلحات الحديثة . وإذا لم تتح لنا فرصة الإجازة في الشعر المرسل كما حدث في بعض اللغات ، فليس أقل من أن تغير القافية بين جملة من الأبيات وأخرى ، وليست وحدة القافية بالأمر المقدس الذي لا يصح أن تخرج عنه ، ولكنه أمر اعتيادي وتقليدي ، مرده كله إلى الأذن الموسيقية .
---	--

تنازع اللغات في طائفة من الكلمات

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

أن تسمعوا أن الشيخ (عبد العزيز شاويش) رحمه الله نجح في إقناع جمال باشا قائد الحملة التركية في الحرب العالمية الأولى (حرب سنة ١٩١٤ م) باسترداد المدرسة الصلاحية في القدس من أيدي الرهبنة الفرنسية المسماة بالآباء البيض. Les pères Blancs ، وإرجاع المدرسة سيرتها الأولى : مدرسة دينية إسلامية ، لكنها عصرية ، باسم (الكلية الصلاحية) نسبة إلى السلطان صلاح الدين الذي كان بنى تلك المدرسة على ظهر مغارة كانت تأوى إليها السيدة حنة وابنتها السيدة مريم ، وكان هذا من صلاح الدين بعد أن أنقذ بيت المقدس من الصليبيين وجعل المدرسة دار حديث باسم السادة الشافعية ؟

نجح الشيخ شاويش في هذا وفاز بأمنيته ، وبأشر تأسيس الكلية وترتيب فصولها ، ووضع برامجها .

ودعيت من طرابلس الشام إلى معاونته في عمله ، فليت الطلب وأسرعت إلى القدس أهدي من القطا الكدرى . وأعلن خبر افتتاح الكلية الصلاحية في طول البلاد وعرضها . واجتلبت الأساتذة إليها ، وأقبل الطلاب من كل حذب عليها . وكانوا يؤمنونها لا لطلب العلم وحده ، بل للتخلص من أهوال حرب كانوا يعتقدون أنها شر وبلاء عليهم وعلى دولتهم . وكان الخلاف بين الترك والعرب حين نشوب تلك الحرب في منتهى شدته ، وعلى أحر جمرته .

إن من أشق الأمور على من كلف الكلام في الحفلات موضوع كلمة لحفلة مثل حفلتكم أقيمت لافتتاح أعمال مجمع لغوى مثل مجمعكم ، إذ لا يحسن بالمتكلم إذ ذاك إلا أن يكون موضوع بحثه مما له علاقة باللغة وسلامتها ، أو اتصال بتاريخها ، وبحوث آدابها .

وبحوث اللغة قد يعثر بها سوء تعبير ، ويلحق بها أحياناً شئ من جفاء وجفاف . فما أحوج المتكلم اللغوى إلى التلطف في جمال العرض وحسن الإيراد ونصاعة البيان .

وهي خطة أصبحت لا أجيدها ، ولا أطيق الجولان في ميادينها . وماذا أصنع وقد ذكر اسمي في جملة خطباء الحفلة من دون أن أستشار ، أو يجعل لى اختيار ، في تلمس الأعذار ؟ وبعد لأى هديت إلى بحث لغوى رأيت يلائم الزمان والمكان ، غير أنى لما رزته وحاولت إفراغه في قلبه ، وجدته في حاجة إلى أن أذكر السبب في اختياره ، والداعى إلى جمع مسأله ، وتقييد أوأبده . وإذا بي أرجع إلى ذكرى حادثة قد تسمى مصرية ، وقد تسمى تاريخية ، ويغلب على الظن أنها لم تدون بعد ، فأزمت تدوينها كقدمة لبحثى اللغوى ، أو كصفحة من تاريخ الوادى ومغامرات أبنائه في سبيل استقلاله . وبدل أن تقع المقدمة في كلمات ، إذا هي تستوعب صفحات ، وفيها من الخبر ما يحسن وقعه ويطيب لكم أيها الإخوان سمعه : ألا تحبون

باسم (المغربى المحرر في جريدة المؤيد منذ خمس سنين) ، فهشوا إلى لقيائى . وأخذت أعانق من أعرف ، وأصافح من لم أكن أعرف . ثم قال الشيخ شاويش : هذا فؤاد بك سليم ، وهذا الدكتور أحمد فؤاد المصرى نزيل الأستاذة ، وهذا عبد الملك حمزة بك ، وهذا عوض بك بحراوى ، وهذا فلان — وأشار إلى واحد منهم سماه باسم إسماعيل بك — ونسيت إن كان إسماعيل اسماً له أو اسماً لأبيه . وكان هذا الفتى النجيب مربوع القامة أبيض اللون ، بديناً ، وكان أكثرهم مرحاً وتفاؤلاً ، وأقلهم مبالاة بما تأتى به الأقدار .

وقضينا أيها السادة مع هؤلاء الفتية المؤمنين برهم ووطنهم ساعة من الزمن في مطاية ومفاكهة وأحاديث مختلفة ، ثم كنت أزورهم من وقت إلى آخر . وكان الشيخ شاويش يغيب عن الكلية لمراجعة مقر القيادة التركية في بعض المهام ، ويترك الأشبال في عرينهم ينتظرون إياهم بلهف وفرط استشراف ، وكانوا في غيبته حيناً يفكرون ويقدررون ، وطوراً يزأرون من الغيظ ويزججرون . ثم يعود الشيخ إليهم بما يسرهم أو يؤلمهم :

كلما ذاق كأس يأس مرير

جاء كأس من الرجا معسول

واتفق ذات ليلة — أيها السادة — أن تركت غرفتى وتخطيت الرواق المؤدى إلى عرين الأشبال أزورهم ، وكان يتدلى من سقف الرواق قنديل قديم من قناديل الأديرة يتنفس عن أشعة ضئيلة لاتبين معها الأشباح إلا بصعوبة ، وإذا بشبح كالعملاق يعترضنى ويلقى بتجاليده على قبل أن يتوسمنى أو يتبين من أنا ، فسأله قائلاً :

وكان من أساتذة الكلية المرحوم محمد رستم حيدر الوزير العراقى ، والمرحوم إسعاف النشاشيبي أديب فلسطين .

ومن طلابها المرحوم محمد الأنسى البيروتى رئيس وزراء شرق الأردن بالأمس ، وعباس باشا ميرزا وزير داخليتها اليوم ، ويوسف يس الوزير السعودى ، وصبحى الحضرا السياسى الفلسطينى .

وليس الشأن فى هؤلاء وأولئك ، وإنما الشأن فى رهط من شبان مصر الأحرار أوا إلى الكلية فى ذلك الحين العصبى كما أوى فتية أهل الكهف إلى كهفهم ، فخصص لهم نقيبهم الشيخ شاويش جناحاً من بناء الكلية فكانوا يقيمون فيه ولا يرحونه إلا ريثما يتناولون قوتهم فى مطاعم المدينة ، ثم يأوون إلى كهفهم من دون أن يشعر بهم أحد .

ولا غرو أن يكون مدار حديث هؤلاء الفتية فى خلوتهم على الحرب ونتائجها ، والحملة التركية ومناهجها . وكنت أنا وصديقى شاويش ننظر فى أمور الكلية ، وقبول الطلاب الحائزين للشروط ، وترتيب الفصول ، وتنظيم البرامج ، ونريح أنفسنا أحياناً بزيارة الفتية فى كهفهم ، بل الأشبال فى عرينهم . وما كان أشد اغتباطى حين أخذنى الشيخ شاويش من يدى لأول وصولى إلى الكلية وقدمنى إلى أولئك الأشبال فى منامتهم : هذا مستلق على سريره ويده كتاب ، وآخر منتبذ ناحية يقرأ جريدة ، وذاك ينفذ الغبار عن معطفه ، وهنالك من يأمر الفراش بقضاء بعض حاجته . وقدمنى إليهم صديقى شاويش

— من يكون حضرة الأخ ؟

— عبد الحميد سعيد .

قالها بلهجة المشتاق المتحجب ، وعجب من سؤال مع أن طوله وعرضه ينبي عن شخصه . فقال :

أست الشيخ عبد العزيز شاويش ؟

— لا بل أنا عبد القادر صديق الشيخ شاويش ومغربي مثله . فتبسم ضاحكاً من قولي وعجب من هذا الشبه بيني وبين صديقه . وانقلبنا إلى مأوى الأشبال مشتبكي الذراعين ، نحدثهم بما وقع . فقامت فيهم ضجة صاخبة مرحة قللت من العبوس ، ورفهت بعض الشيء عن مخاوف النفوس .

وكان عبد الحميد بك حين قدومي على الكلية غائباً في قضاء مهمة وراء منطقة القدس . فلما عاد ودخل على إخوانه وهللوا لمقدمه كان أول ما سأله عن حبيبه الشيخ شاويش . فقالوا هو في المنامة الكبرى يتفقد الطلاب قبل نومهم ، فلم يطق صبراً عنه ، فخفف إليه مسلماً عليه ، فصادفني في الرواق وكان بيننا ما كان .

والأشبال في أحاديثهم أيها السادة ما كانوا يتخطون المشاكل الدولية عامة والمسألة المصرية خاصة ، وكانوا يتنسمون أخبار الغزاة ويستطلعون طلع الحركات والمقارنة بين الاستعدادات . وكثيراً ما كانت تقع بينهم مناظرات في أي الأعمال أو المساعي خير ؟ فترفع أصواتهم ، وتستخدم نيران الجدل بينهم . وكان أقواهم حجة ، وأشدهم لهجة ، ذلك البطل المصري باقعة السياسة الدكتور أحمد فؤاد ؛ فإن إقامته في الآستانة أكسبته مراناً

في الجدل ، وسعة اطلاع على المناورات الدولية ، وتفقهها في أسرار القضية المصرية .

وكنت إذا زرتهم خففوا من الخوض في السياسة ، وأفاضوا في العلم واللغة والأدب وتاريخ العرب ، وتناشدوا شعر شوقي وحافظ ، وتطارحوا النوادر ومستملح النكت على الطريقة المصرية التي مرن إخواننا المصريون عليها ، ويقف غيرهم مبهوتاً حوالها . ولذا كنت إذا شاركتهم في الحديث فعلت بشيء من الحذر والتهيب ومنشداً بيني وبين نفسي :

أقول لحرز لما التقينا
تنكب لا يقطرك الزحام

وتذاكرنا يوماً فضلاء مصر وكبار أدباؤها ، فقلت لهم : إن من رجال مصر ثلاثة ، اشتركوا في الاسم وسعة الفضل والعلم ، وسميتهم (الأباره) . والأباره أيها السادة جمع إبراهيم ، وأردت بهم الأساتذة : إبراهيم اللقاني ، إبراهيم الهلباوي ، إبراهيم المويلحي . فهبوا للمجادلة فيهم ، وإعمال الموازنة بينهم في مساعيهم . فقلت : ليس غرضي التحدث عن درجاتهم في الفضل والنبيل ، وإنما الغرض التعجيب من اتفاقهم في الاسم ، وأن يكون لهم أوفر سهم في الأدب وصنوف العلم .

فقال الأستاذ بحراوى : ولاتنس يا أستاذ الأحامد الثلاثة ، وهم الأساتذة أحمد الحسيني ، وأحمد تيمور ، وأحمد زكي . قلت : وأزيدك أنهم مع اشتراكهم في الاسم تراهم شركاء في حب الكتب واقتنائها ، والولوع بجمعها ، والبحث عنها ، ولدى كل منهم مكتبة لانظير

لها . ولم يكذب يردد إلى صوتي حتى علا من زاوية المكان صوت استنكار لما قلت ، وإذا هو الأستاذ فؤاد سليم ينكر أن تكون مكتبات الأحامد أجمع لفائس الكتب ونوادير المخطوطات من مكتبة والده ، وإذا الإخوان يخبرونني بمكانة والده في المجتمع المصري وعلو كعبه في الأصالة والمحتد ، وهو السيد عبد اللطيف سليم المشهور ، وشهدوا أن مكتبته لاتضاهيها مكتبة في مصر .

فقلت : وهل يسمى بأحد ؟ قالوا : لا . قلت : لاداعي إذن للمعارضة ، والمقام مقام (أباره) و (أحامد) لامقام إحصاء هواة الكتب . ولاحظت أن في فؤاد رحمه الله شيئاً من أرستقراطية وتمجد بالنسب . ثم رجعنا إلى التحدث في الأخبار العامة ، وكان كثيراً مايتخلل كلامنا ذكر القنال ، وكنا نستعمل لفظ القنال أكثر مما نستعمل لفظ الترعة . فصاح بنا الدكتور أحمد فؤاد معترضاً على من يقول القنال ، وقال : القنال لفظ فرنسي ، ولفظ (الترعة) العربي أفضل منه وأكرم عند الله . فسألني الإخوان إذ ذاك عما إذا كان لفظ (قنال) عربياً أو فرنسياً ، فقلت : هو من جملة الألفاظ المولدة التي تبنتها اللغة العربية وبنازعها فيها غيرها من اللغات كالفارسية واليونانية والحبشية والآرامية وأخيراً التركية ثم الفرنسية . أقول : وهذه الكلمات المتنازع فيها كثيرة ، يصح أن يؤلف منها معجم صغير استحسن العلامة الشيبني أن يسمى (الوغى في ميادين اللغة) . وإلى لذاكر من هذه الكلمات المتنازع فيها ثلاثة أمثلة ، وأبتدئ القول في (القنال) الذي كان السبب في إثارة هذا البحث ،

بحث (تنازع اللغات في بعض الكلمات) . فالقنال لفظ عربي ، وقد نازعت العربية فيه اللغة الفرنسية ، فهي (أى الفرنسية) تدعى أنه منها وإليها وأن أصل قنال اللاتيني Canal . أما اللغة العربية فتقول إن القنال كلمة عربية مولدة منحوتة من كلمتي (قنا الماء) أو (قنا البحر) . وربما كان الفرنسيون هم الذين جروا في فرنسيها مجرى (أميرال) فإن لفظ (أمير) أضيف إليه اللام من كلمة البحر ، إذ الأصل أمير البحر .

فلم يعجب قولي هذا السيد فؤاد سليم ، فصاح من زاويته العاجية : وما تقول يا أستاذ في أخوات أميرال : الماريشال والجنرال والكابورال ، آلفرنساويون نحتوها من العربية أيضاً ؟

فقلت : إن لفظ أمير من أميرال عربي حتماً بخلاف أخواتها ، و (أمير البحر) اسم لكبير الربابة في اصطلاح التاريخ البحري الإسلامي ، استعمله الفرنسيون أولاً بتمام لفظه أى بتمام الكلمتين بمعنى أمير البحر ، ثم نحتوا منها كلمة (أميرال) لتكون على وزن كلماتهم ماريشال ، جنرال ، كابورال .

وهكذا (قنال) أصلها قنا البحر أو قنا الماء . وقنا جمع قناة بمعنى مجرى الماء ، فنحتوا من قنا الماء (قنال) اسماً لمجرى الماء المسمى بالعربية (ترعة) ، ومثل هذا النحت في العربية الفصحى : عقايل المرض وعقايل الحمى اسم للبثور التي تظهر على المريض عقبى الحمى ، ونحتوا من عقبى الحمى عقبى ولكن اشتهر جمع عقبى بلفظ عقايل . ومن

أمثلة هذا النحت في الألفاظ العربية المولدة مايقولونه في بلاد الشام وهو : دخل الأرض بالمدحلة أى رصها وسواها ، وأصله دحا الأرض يدحوها بالمدحاة . ففتحوا من دحا الأرض فعل دخل . ومثله في هذا النحت اسم عائلة تجارية مشهورة في بمباى وجدة وهم (زينل) إخوان ، منحوت اسمهم من اسم جدهم زين العابدين .

عندها كثر الجدل بين الأشبال في أى القولين أرجح : عجمة القنال أو عروبتة ؟ تركهم في حوارهم ونعمد إلى مثال آخر من أمثلة التنازع بين العربية واللغة الفارسية وهو كلمة (عنبر) اسماً لمخزن الغلة ، وقد قال بعض الفضلاء إنها فارسية الأصل محرفة من كلمة (أنبار) ، بدليل أن الفرس القدماء سموا إحدى مدنها في العراق (أنبار) .

فقلت : ولكن المعاجم العربية — وخاصة معجم البلدان لياقوت — تذكر أن أنبار عربية ، وأنها جمع نبر بمعنى الهوى الذى يجمع على أهراء وهى مخازن الغلال ، وأزيد على ذلك أن عرباً من تنوخ في عهد ملوك الفرس الأقدمين المشهورين بملوك الطوائف دخلوا مدينة (الأنبار) الفارسية العراقية وكان اسمها بالفارسية فيروز سابور ، فرأى فيها التنوخيون أكوام الغلال مرتفعة هنا وهناك ، فسموا للمدينة (أنبار) بلغتهم ، لكثرة مارأوا فيها من الأنبار أى أكوام الغلال ، وبقي الاسم غالباً عليها إلى اليوم . والنبر في اللغة بمعنى الارتفاع ، ومنه المنبر ، ونبرات الصوت . ثم حرفت كلمة أنبار إلى عنبر بالعين المهملة .

ومثال النزاع بين العربية واللغة العبرانية كلمة (شعر) اسماً للكلام المقفى الموزون . لاجرم أنها عربية مشتقة من شعر بالشئ إذا علمه ، وشعراء العرب هم علماءهم . وذهب

بعض المستشرقين إلى أن (شعر) عبرانية الأصل محولة عن كلمة (شير) التى هي في العبرانية بمعنى ترتيلة تسيحة ، وفي كتاب (فجر الإسلام) للعلامة أحمد أمين (جزء ١ ص ٦٩) ما يشعر بترجيح بعضهم لعبرانيتها . وأمثلة التنازع بين العربية وغيرها كثيرة كما أشرنا آنفاً ، وكثرتها وضيق الوقت يحولان دون الإفاضة فيها . فكلمات موسيقى وقهوة وقازوز وقرش وفرن وفانوس وبارود وبندقية وقبعة وسراب وميزاب وعسكر كلها عربيات ، واللغات الأخرى تنازعنا في عروبتها . فلنرجىء الكلام عليها وتحرير النزاع فيها إلى إحدى جلسات المجمع العادية . على أننا مهما تسامحنا في عروبة تلك الكلمات لا يحسن أن نتسامح في عروبة (القنال) ، لظهور أدلتنا على عروبتة . فلتستمسك بحقنا فيه مهما كلفنا الأمر .

هذه هى كلمتنا أيها السادة ، وخير ما فيها مقدمتها وماتضمنته من ذكرى أولئك الأشبال الأحرار الذين وفوا لربهم نذرهم ، وقضوا في سبيل وطنهم نحبهم ، سوى واحد منهم قد مد الله في عمره ، ليرى حسن عاقبة صبرهم وصبره ، وما أحقهم برثاء الشاعر الذى فجع بإخوان له مثلهم مذ قال :

هبت قبيل تبليج الفجر
هند تقول ودمعها يجرى

أقذى بعينك لايفارقها
أم عاثر أم مالها تدرى

أم ذكر إخوان فجعت بهم
سلكوا طريقهم على خير

فأجبها بل ذكر مصرعهم
لاغيره عبراتها يبرى

يارب أسلكنى طريقهمو
ذا العرش واشدد بالتقى أزرى

في الأدب الشعبي

كلمة العضو المحترم الأستاذ ليتان

الذي اسمه « ألف ليلة وليلة » موضوع مباحثات كثيرة عند علماء الغرب والشرق بعد ما ظنوا أنه يشمل خرافات فقط . وأما الأمثال العربية فعرف علماء العرب أهميتها فألفوا كتباً عنها . والأدب الشعبي العربي العصري نشرت قطع منه ، وهي جمعت في بلاد سوريا والمغرب خاصة ، وطبعت وترجمت إلى لغات أوروبية . ولأنه في مصر لم يجمع إلا قليل ، باحث عنه مراراً كثيرة ، فكتبت حكايات معروفة باسم حواديت في بيوت المصريين ، ونكتاً شائعة في السهرات ، وقصصاً مستعملة عند المداحين وروايات هزلية مثلها أحد الفار في البيوت قبل أربعين سنة ، ثم الأمثال المنتشرة عند العامة ، وكذلك الألغاز ، وكلام مناداة البياعين والمسحرين ، وأغاني أعياد العرس والتطهير ، وكلام النواحات ، وكلام شيخه الزار وصويحباتها ، ومنلوجات ، وهلم جرا . وكتبت كل هذه المتون بالحروف اللاتينية مع الإشارات المحتاج إليها ، وكتبت أيضاً الاصطلاحات المستعملة لأقسام الساقية ، والمراكب في بحر النيل لأنها مهمة في تاريخ اللغة . إنني وجدت بين تلك الاصطلاحات كلمات مصرية قديمة أو قبطية وكلمات لاتينية ويونانية . ولغة الأدب الشعبي عادة العامية ، ولكن بعض القصص ألف بلسان القصص . والآن أحيت أن أقدم لكم شيئاً قليلاً من كل الأنواع الموماً إليها .

يوجد بين الحكايات بعض ما نقل من زمان قديم عند أهل الشرق ، مثلاً حادثة « مكر

إني أحيت أن أبلغكم شيئاً من مباحثاتي عن الأدب الشعبي ، وما هو الأدب الشعبي ؟ هو الأدب المسمى Littérature populaire باللسان الفرنسي ، و folk literature بالإنجليزي ، و Volks literatur بالألماني . وله قسمان : الأدب الأعلى الفني كتب به مؤلفون مصريون مشهورون ، أذكر عائلة المرحوم تيمور باشا و « الأيام » لسيادة وزيرنا المحترم . وأتكلّم اليوم عن الأدب الشعبي الأدنى أي العامي ، وكان هذا الأدب في الزمان القديم يهان ويستحقّر عند العلماء وعند الأدباء في أوروبا حتى القرن الثامن عشر مع ما كانوا يتسلون بقراءته وسماعه . ولكن كان عالم ألماني اسمه هردر Herder في القرن الثامن عشر ، وهو اعتبر ثمن الأدب الشعبي ، فعرف أنه يدل على الأفكار الإنسانية الباطنية فجمع الأغاني العامية المعروفة عند كل أمم أوروبا تقريباً ، ومنه تعلم جوته Goethe الشاعر الألماني الكبير . ويشتمل هذا الأدب أيضاً على الحكايات والأمثال والألغاز (الفوازير) ومناداة البياعين والمسحرين والنكت المستعملة عند الناس ، ويخصّ تاريخ اللغة وتاريخ الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية . ولذلك اشتغل العلماء الأوروبيون منذ عصرين يجمع كل ما يحكى ويغنى وينادى به العامة ، ونشروه وأسسوا علماً خاصاً يسمى Folklore أي العلم الشعبي . وفي بلاد فنلندا يوجد The Folklore Society أي جمعية العلم الشعبي . وصار الكتاب الكبير الواسع

مولد الدسوقي التي قد كتبها كلها الأستاذ
كوينس (Kuentz) ولكن لم ينشرها
حتى الآن :

فتوى الدسوقي الى طلق مراته :
كان فيه راجل في ذاته
كان حالف على مراته
إن جابت له غلام
في السبوع يدبح خروف
لته سبعة أشبار .
الراجل دار خيران
في الأزهر دار غلبان .
قال له : إيه قصتك يا شيخ ؟
قال له : أنا حالف يمين
من بنت عمي بالتمكين
إن جابت لي غلام
أدبح في السبوع خروف
الليته سبعة أشبار .
قال له : يا شيخ دي مراتك طلقت
لين ما حرمت ذهبست .
طلقت سبقها الشيطان
قابل واحد في الليل
ودموه نازلة سيل
عليك يا شيخ بأبي العينين :
في دسوق يا شيخ وسره بان .
الراجل مشى وزعلان
لحد مركب عبد السلام
قال له يا شيخ ودينى للشيخ سره بان
في دسوق وسره مالى الوديان .
لما عدها الرئيس
وقابله في البر عيل
بتلات سنين .
قال له : مالك يا شيخ زعلان !

النساء» ، وغيرها حدوتة «العجوزة اللي غلبت
إبليس» ، وحدوتة «التاجر وامرأته وأخته البكر
صباح» ، وحكاية «بنت التاجر والقاضي» ،
 وحدوتة «البرغوت والقملة» ، وحدوتة «بنت
الملك اللي قتلت تسع وتلاتين نفس» ، وحكاية
«المزين وإبليس» ، وحدوتة «اللي جبل وولد» ،
 وحدوتة «الحطاب وبناته» ، وحدوتة «الشاطر
محمد مع ست الحسن» ، وعدة أخرى . وأما
المباحثة عن تلك الحكايات فتنبط نتائج علمية
تخص علم مقارنة الآداب .

ومن قصص المداحين قصص كتبت مديح
السيد أحمد البدوي وبيان كراماته العظيمة ،
ومديحاً في قصة زواج النبي بالسيدة خديجة
وذكر سفره في تجارة لها وما جرى من المعجزات
على يديه وسفره إلى الشام ، ثم قصة خضرة
الشريفة ، وقصة مولد الدسوقي وكراماته ،
وقصة السيدة مريم وابنها عيسى وكلامه في المهد
ومعجزاته ، وقصة السيدة سارة زوجة الخليل
وهاجر أم إسماعيل ، وقصة الضب والحجر
ومعجزات النبي عليه الصلاة والسلام ،
وقصة أو قصيدة الحمل والغزاة ومعجزات
النبي صلى الله عليه وسلم . والمعروف أن
قصص القديسين كثيرة عند المسيحيين وعند
الإسرائيليين ، وتشهد على اعتقادات دينية عند
الأمم . وقد نشرت مجموعات تلك القصص
في أوروبا ، وباحث العلماء عن أصلها ومعناها
وقارنوها بعضاً ببعض ، وأظن أنه مشتهى
أن تنشر مجموعات كل قصص الأنبياء والأولياء
المسلمين أيضاً ، والمعروف عندكم أنه في
القرن الخامس بعد الهجرة الكسائي والثعالبي
قد كتبا قصص الأنبياء .

فاسمحوا لي أن أقدم لكم قطعة من قصة

قال له : روح أبعد عني
إن قلت لك لح تفرج همى ؟
قال له : يا شيخ قل لي
وعليك الأمان
قال له : أنت قايل إيه ؟
قال له : يا بني قايل حالف يمين
من بنت عمي بالتمكين
إن جابت لي غلام
أدبح في السبوع بخروف
ليتة سبعة أشبار
الشيخ صاحب خرفة
كتب له فتوى
وقال له يا شيخ ودي دى جامع الإسلام
الراجل خد الفتوى وهو فرحان
دخل الأزهر لعلماء الإسلام
قال خد آدى فتوى من شيخ الإسلام
الشيخ خد الفتوى دا خريف
حتى بطل خط الديوان .

ثم سافر العلماء إلى دسوق ففسر الولي
فتواه وكان الفتوى (بشير المولود) .

والأمثال العربية معروفة عندكم وعددها
أكثر من خمسة آلاف ، منها باللسان الفصيح ،
ومنها بلغة العامة . إنى كتبت خمسمائة وبضعة
بالقاهرة . ويوجد فيها معان عميقة ولطيفة .
والمثل الأحسن والأجمل من كل الأمثال التى
سمعتها أو قرأتها هو المثل المصرى (ززعت
« لو » فى وادى « كان » طلع « ياريت ») .

وأما الألفاظ فتخص الطبيعة والحيوان
والنبات والأكل والشرب وحياة الناس .
أذكر منها لغزاً واحداً وهو :

(أربع أسامى فى الدنيا مسمية
لا لهم دكان ولا ميزان ولا طليبة
وإن فسرتهم أجيب لك أربعة أرطال طحنية)
ومن هم ، هم (أربعة المذاهب) .

ومن كلام مناداة الباعين جمعت مايفوق
خسرين وثلاثمائة مثل من العامة بالقاهرة ومن
كتب نشرت ، وهذا الكلام يوجد فيه
تشبيهات غريبة وظريفة ، ويمكن أن تكون
موضوعاً لبعض علم البيان . إن بيع الترمس
ينادى (يا أمباني مدد) . وبيع البرسيم ينادى
(ربع غزالك ربع) . والسقاء ينادى
(العوض على الله ، الغنى هو) ، وينادى أيضاً
(سبيل يعطشان عن روح النبي والإمام على
والحسن والحسين يعطشان سبيل) .

ونضيف هنا مناداة بيع القنب المحمص
فى دمشق الذى يصوت (ليلك يا برمكى) .
والبياعون الذين ينادون على الدندورمة
ينظمون أبياتاً مختلفة ، مثلاً :

(يابت يالى فوق السطوح
المسك منك عمال يفوح
أسستنى والا أروح
والنبي تنزلى تاخلى الدندورمة) .

وأبيات يباع الدندورمة فى طنطا كما يأتى :

(ياســــيدى إبراهيم
ترمى العجايز فى بير
وتتقل عليهم بحجر كبير
لأن العجايز بالفتنة شاطرين
وطول النهار فى الشمس متلقحين
أكل النمايس بالمعالتى
وأكل العجايز بللغارف)

نوم العجايز عا لحصير
ونوم النسايس عالسريير
قشطة يا دردرمة).

وغيرها

ومن كلام المسحر نذكر هنا مناداته فقط
وهي الآتية :

(يا عباد الله
وحملوا الله
آدى وقت الصلا والطلب
قوموا يا عباد الله
وحملوا الله
السحور السحور) .

ثم يضيف أبياتاً مختلفة :
وأغاني العرس عادة أدوار لها مطلع ،
مثلا :

(ياناس حيبى آهو جاني)
وهو المطلع . . . ثم
(جاب لى البدلة زيتى
قال لى : تعالى بيتى .
قلت له : أختك تدرى .
قال : وإيش راح يجرى)
وهلم جرا .

وكلام النواحات فيه أشفاق مؤثرة ،
وكثيراً مايكلم الميت أو ينخل أن الميت حى
كما هو فى الدور الآتى :

تقول أم الميت :
(ياعينى على صبحت عيانة
من تقل فكرى وأنا نائمة زعلانة
ياعينى على عيانة ولا أقول شى
وحالة المرار باينة على وشى .

ويقول الميت :
ياما اربطى لى قلبي بمنديل
والا هانى لى حكيم يداوينى

ثم تقول الأم :
جا الحكيم ودخلت قدامه
قال لى : عليك انفضت أيامه) .

وفى عيد التطهير تغنى أم المطاهر مع
صاحباتها أبياتاً ، منها الدور الآتى :
(دارى يامزين دارى
وادی سنه قاعده مجليه
لابسه الغواشات بميه
وادی خاله . شایل الصنية
والنقوط نازل عالغالى) .

وكتبت أيضاً أبياتاً تغنيها الأم لأولادها ،
منها ما يأتى :
(يا حلاوة بعد حين
يا عراجيل النخيل
يا عطية ربنـا
ياما ينول الصابرين
وهم يابنى الفايزين .

ولم تعبر محبة الأم أحسن مما فى البيتين
الآتين :
أحبك محبتين لا والله تلاته
ياشماريخ اللولى يادهب الوراته) .

ومسألة علمية تاريخية هى مسألة العروض
والقوافى فى الأدب الشعبي . إن اللسان الفصيح
محفوظ فيه بعض الأوقات ، ولكن أغلب
القطع المذكورة بلسان العامة ، ويوجد فيها
عروض قديم جداً وهو العروض المستعمل

عند الأمم السامية القديمة ، أى الأكديين في بلاد بين النهرين ، والفينيقيين في « أجرت » أى الشام الشمالية ، والعبريين في كتاب العهد القديم . وحتى اليوم يستعمله أهل الحبشة في شمال البلاد . وفي هذا العروض يعلى الصوت ثلاث مرات في كل بيت أو في نصف بيت فوجدته في قصص الأولياء خاصة ومثله :

الحمد لعلام الغيب
خلق الأشياء بلا ريب

والقافية هي كثيراً ما غير كاملة بل هي مشابهة الحركات فقط ، كما هي في بعض سور القرآن الشريف القصيرة . نجد القوافي الآتية (قريش — والصيف — جوع — خوف) وأيضاً (والعصر — خسر — بالصبر) . وفي قصة السيدة هاجر نجد (سافر — هاجر — أكابر) و (خوفك — يشوفك — قولك) .

ومن كل ماسمعه وكتبته بالقاهرة نشرت قطعاً وهي (مديح في قصة زواج النبي بالسيدة خديجة) و (مديح السيد أحمد البدوي) و (كلام شيخه الزار وصويحباتها) و (قصة القط والفار) ثم (الأمثال والألغاز) و (كلام مناداة الباعين) وأيضاً أناشيد وطنية مصرية بينها (يا عم حزة) و (نشيد الجامعة) . وطبعت الكلمات العربية بالحروف اللاتينية ، وترجمت الجميع إلى اللغة الألمانية وأضفت إليه تفاسير . والأناشيد الوطنية لسانها عادة الفصحى . والآن نرجع إلى اللسان الفصحى الذى يحرس مجمعنا طهارته وتطوره الصحيح مع مالا نتغافل عن عوائد العامة ولغتها وأدبها . إني أحببت في آخر كلمتى أن أكرر بيتين سمعتهما بالقاهرة في الأدب الشعبي قبل خمس عشرة سنة ، وهما :

دى المصرية كتر خيرها
فى الترية سبقت غيرها

جلسة استقبال العضوين الجديدين

الأستاذ عبد الحميد العبادي ، والدكتور أحمد عمار

واعتذر من التخلف السيدان : الدكتور
ظه حسين والدكتور فارس نمر عضوا المجمع.

وقد شهد الجلسة جمع غفير من الكبراء
ورجالات التعليم والأطباء والأساتذة الجامعيين
وعلماء الدين ولقيف من الأدباء والصحفيين
كما شهدها بعض فضليات السيدات المثقفات.

واشتركت الإذاعة اللاسلكية للحكومة
المصرية في إذاعة ما قيل في الجلسة من
محطة الإذاعة بالقاهرة .

وبعد أن أعلن السيد رئيس المجمع افتتاح
الجلسة ، ألقى الأستاذ إبراهيم مصطفى كلمة
في استقبال الأستاذ عبد الحميد العبادي ، وتلا
الأستاذ العبادي فآلى كلمته منوها فيها بذكرى
سلفه المرحوم الدكتور محمد شرف .

ثم ارتجل الدكتور منصور فهمي كلمة في
استقبال الدكتور أحمد عمار ، وتلاه الدكتور
أحمد عمار فآلى كلمته منوها فيها بذكرى
سلفه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني .

وبعد ذلك أعلن السيد الرئيس انفضاض
الجلسة ، وكانت الساعة قد بلغت منتصف
الواحدة بعد الظهر .

وهاهي ذى نصوص الكلمات :

حددت الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الاثنين الثامن من شهر شعبان سنة ١٣٧٠ هـ
(الموافق ١٤ من مايو سنة ١٩٥١ م) موعداً
للجلسة العلنية لاستقبال السيدين : الأستاذ
عبد الحميد العبادي والدكتور أحمد عمار ،
الذين صدر المرسوم بتعيينهما عضوين
في المجمع في المكانين اللذين خلوا ب وفاة
المرحومين الدكتور محمد شرف والأستاذ
إبراهيم عبد القادر المازني .

وقد عقدت الجلسة في الموعد المحدود ،
بدار المجمع ، برئاسة الأستاذ أحمد لطفى السيد
رئيس المجمع ، وحضور طائفة من أعضاء
المجمع هم : الدكتور منصور فهمي ، والأستاذ
على عبد الرازق ، والأستاذ أحمد البوامري ،
والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والأستاذ عباس
محمود العقاد ، والشيخ محمود شلتوت ،
والدكتور أحمد زكي ، والأستاذ إبراهيم
مصطفى ، والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ،
والأستاذ مصطفى نظيف ، والأستاذ خليل
السكاكيني ، والأستاذ زكي المهندس ،
والدكتور أحمد أمين ، والأستاذ أحمد حسن
الزيات ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
والأستاذ عبد الحميد العبادي ، والدكتور
أحمد عمار .

كلمة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم مصطفى

في استقبال العضو المحترم الأستاذ عبد الحميد العبادي

والمحاضرات ، ثم كان لا يخلو واحد منهما من اصطحاب كتاب جديد عربي أو انجليزي يتعجل استيعابه والإحاطة بما فيه غراماً بالجديد وبالنادر من الكتب .
ونشأ هذا الغرام بالكتب مع الشابين وشاب معهما .

كان أمين قنديل آخر الأمر مديراً لدار الكتب المصرية ، وكان للعبادي الأثر العظيم في إنماء مكتبة الجامعتين : جامعة القاهرة وجامعة الاسكندرية غير مكتبته الفريدة القيمة ، وقد ندب في بعثة إلى إستانبول ليتخير من تفائس الكتب المحبوسة بها ، وكان معه الأستاذان الجليلان أحمد أمين وعبد الوهاب عزام ، وقد فتحت لهم الأقباء التي قبرت فيها الكتب ، ونشروا منها آثاراً عظيمة قيمة .

فهذا من غرام الأستاذ العبادي بالكتب .
وكان له غرام آخر في اللغة العربية .

فقد كان الطلبة الذين تعلموا تعليماً شرقياً عربياً خالصاً يفخرون بحفظهم من اللغة وحفظهم لنصوصها وتمرسهم بفهمها ، ويسعون لاستكمال ما نقصهم من تعلم اللغات الأوربية .

والذين تعلموا في المدارس المدنية يزهدون بما عرفوا من اللغات الأوربية ويعملون على استكمال ما نقصهم من الاتصال باللغة العربية إذ كان مرجع البحث إلى نص متونها . وكان العبادي بين أولئك عجباً : استوفى حظه من

سيدى الرئيس . سادنى :
حول سنة ١٩١٢ كانت الجامعة المصرية الأهلية منشأة علمية للدراسة الحرة العالية : وكانت على قرب نشأتها قد تفردت بمكان سام بين معاهد التعليم بمصر . كان الراءون لها قد وقفوا توفيقاً عظيماً في اختيار أساتذتها من أئمة العلماء في أوربا ومصر ، فدعوا لها سنتلانه وجويدى ونلينو ولتمن والمهدى والخضرى وسليمان ورأفت وآخرين من صفهم .

وقصد إليها الطلاب من كل أوب ، ممن درسوا دراسة عربية شرقية خالصة في الأزهر ودار العلوم ، ومن اتصلوا بدراسة أوربية في غيرها من المعاهد العالية ، وآخرون ممن أرادوا أن يستمتعوا بالدرس والبحث وإرواء مواهبهم . وقد جذبهم جميعاً منهج قويم في البحث والتقصى واستكشاف المجهول .

كان من بين هؤلاء الدارسين شبان متلازمان يمتازان بطول القامة وفراة الجسم وعرض المنكبين . يسيران مصطحبين لا يفترقان كأنما ترى بهما ساقى جمل واحد .

كانا : أمين مرسى قنديل وعبد الحميد العبادي ، وكل منهما يتأبط كتبه . كانا قد أتيا يومهما الدراسى بمدرسة المعلمين العليا : وأسرعنا إلى الجامعة ومعهما كتب اليوم وكراساته . وكانا في سبيلهما إلى الجامعة ولا بد أن يستصحبنا ما يدونان فيه المذكرات

اللغات الأوروبية لأنها من أسلوب تعليمه ،
ولأنه كان طالباً بمدرسة المعلمين العليا ، بل
تفوق في هذه اللغات تفوقه بين إخوانه .

ثم كان في اللغة العربية واسع المعرفة ،
دقيق الفهم ، جدلاً في قواعد النحوية ،
وكان كثير الرواية للشعر والحفظ للمأثور ،
بل كان شاعراً أيضاً . وأعجب ما في الأمر أنه
كان يحفظ القرآن الكريم حفظ الشيوخ ويجوده
تجويدهم ، ولو شاء وضع يده على خده ورفع
بالقرآن صوته فكان مقرئاً مجوداً مجيداً يسامى
القراء أيضاً .

كان العبادي قد وجهه أبوه إلى تعلم القرآن
ناشئاً ، ثم صرفه إلى منهج التعليم المدني ،
فكنته مواهبه أن ينال مزية المنهجين . وكان
في الجامعة المصرية وأمام العلماء المستشرقين
هو الطالب المثالي الذي استكمل للبحث وسيلته ،
المتمكن في فهم النصوص العربية وحسن
الانتفاع باللغات الأوروبية ، ورفع ذلك من
قدره في أعين زملائه ، وقربه إلى أساتذته .

الحق أن الظروف هيأت لمصر بل للعالم
العربي أستاذاً قديراً للتاريخ الإسلامي ، مكنه
أبوه بتوجيهه للتعليم الأهلي من الاتصال بلغته
اتصالاً كافياً ، ومكنه تعليمه المدني أن يتصل
باللغات الأوروبية : الإنجليزية والفرنسية
والألمانية أيضاً ، ومكنه اتصاله بأساتذة الجامعة
في هذه الحقبة أن يرسم منهجه في البحث ويقوم
طريقته في الدرس : هذا إلى مواهب قوية
وطموح غير مغرق . فاستوى - كما شاءت
الآمال له - أستاذاً قديراً بصيراً مثبِتاً .

أتم العبادي دراسته على هذا الوجه المخصب
القوى ، وبدأ حياته العملية كما أعد لها ،
مدرساً ببعض المدارس الثانوية . ولكن الأمر
لم يطل ، فقد احتيج إلى مدرس للتاريخ الإسلامي
بمدرسة القضاء الشرعي ، وكانت من المدارس
العالية المرموقة ، وكان ناظرها وأبو نشأتها
المرحوم عاطف بركات شديد التحري في
اختيار أساتذتها . وقد شغل هذا الكرسي على
التوالي - كما أذكر - إمامان في التاريخ ،
هما : علي فوزي ، ومحمود فهمي . ولابد لمن
يشغل هذا الكرسي أن يصل سنتهما ، ويسد
ما خلا بعدهما : وانتهى تحري المرحوم
عاطف إلى اختيار الشاب عبد الحميد العبادي
لهذا الكرسي العتيق .

وكان انتصاراً للشباب وفوزاً للعلم ، وحقت
الأيام لعاطف - رحمه الله - سداد ما تحرى .

ثم انتقل الأستاذ العبادي أستاذاً للتاريخ
الإسلامي بمدرسة دار العلوم . ودراسة هذه
المادة فيها متصلة بالأدب وبالشرعية وبموجات
الحياة العربية والإسلامية ، وبواعت هذه
الموجات من عقيدة ورأي وأدب . وكون
الأستاذ فيها مدرسة تاريخية منهجية قوية
التقاليد ، ودعى ليدرس في كليات الأزهر ،
بل أكاد أقول في كل معهد مصري عال حاول
أن يدرس تاريخ الإسلام دراسة واسعة .

ثم أنشئت الجامعة المصرية الأميرية ، ودعت
الأستاذ العبادي ، فكان أستاذاً لكرسي التاريخ
الإسلامي بها . كان هدية من الجامعة الأهلية
إلى الجامعة الأميرية . على أن طموحه كلنه
عناء جديداً . فقد رأى أن يدرس القانون ،
فدرسه في كلية الحقوق ونال الليسانس وجعل

منه في دراسة التاريخ مدداً جديداً .

وأنشئت جامعة الاسكندرية ، فدعى الأستاذ ليكون عميداً لكلية الآداب ورئيساً لقسم التاريخ بها وأستاذاً للتاريخ الإسلامى .

وللأستاذ مدرسة تاريخية قديمة المنهج ، تلاميذها ظاهرون من كل جهة درس بها ، وله مذكرات يتداولها طلبته ويؤلفون منها أو يؤلفون على مثالها . وآراؤه في التاريخ تنتظر ويستمع إليها ويتناقلها الباحثون ، ولكنه على هذا قليل التأليف ، ضنين بالنشر ضناً يكاد يكون عن إصرار ورأى .

شهدت يوماً كان يراد له أن يرقى فيه من أستاذ مساعد إلى أستاذ ، وذلك يستوجب أن يكون قد نشر كتاباً في المدة بين الترقيتين ، وود أصدقائه ومحبيه لو حمله ذلك على نشر بعض مالمديه من بحوث مكتوبة ، ولكنه أبى على أصدقائه أمانيهم ، ورقى ، لأن مثل الأستاذ

في إمامته لا ينتظر به فحص بحث أو شهادة كتاب .

ولا أعرف سبب إصراره على الضن بالنشر فذلك رأيه الخاص ، ولكن الذى أستطيع أن أقدره أنى أعرف الأستاذ عظيم التروى ، شديد الثبوت ، عظيم الشك أيضاً ، وقد يرسل المقالة إلى مجلة لتنشر ، فإذا ما جمعت فزرع إلى التليفون يرجو ألا تنشر لأنه يريد أن يتحقق من رقم فيها ، فلا تنشر .

وأنا أرجو من مواهب الأستاذ وعلمه وجلده أن يفيد المجمع في فتوته ما أفاد العلم في شبابه ، وأقول في فتوته عن إرادة وقصد ، ولا أقول كهولته ولا شيخوخته ، لأن الأستاذ لم يتجاوز الستين إلا منذ شهران أو شهرين فقط (والنحاة يقولون منذ يومان ومنذ يومين) .

وسترون أن الستين لم تنل من الأستاذ ما نالت من ابن ثلاثين .

كلمة الأستاذ عبد الحميد العبادى

سيدى الأستاذ الرئيس

سيداتى - سادتى :

أبلغ ما أتمثل به في هذا المقام للتعبير عما تضطرم به جوانحى قوله تعالى حكاية عن نبيه سليمان عندما تحققت طلبته فرأى عرش ملكة سبأ ماثلاً بين يديه . قال تعالى « فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم » .

أجل أيها السادة هذا مقام الشكر الخالص

أزجيه جزيلاً موفوراً إلى حضرات الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية . أولئك الذين أحسنوا بى الظن ، فأولوني ثقتهم ورشحوني للجلوس معهم والانتظام فى سلوكهم . وإيس فيهم - علم الله - إلا من عدده وأعدده أستاذاً لى : نهلت من فيضه واحتديت بهديه واقتبست من نوره : أو صديق أحببته فى الله وفى حب العلم والأدب : فكان كذلك لى أستاذاً هدانى إلى الصراط المستقيم وأعاننى على الدرس والتحصيل .

وأخيراً أتوجه إلى الله بالحمد له والثناء عليه بما هو أهله وأسأله أن يهبني العون على النهوض بما حملت من أمانة ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

ثم إنى أستمطر سحائب الرحمة والرضوان على زميلنا العالم العامل المغفور له الدكتور محمد شرف . لقد طواه الموت منذ عامين ونحن أحوج مانكون إلى نشاطه الجلم وعلمه الغزير وفضله العميم .

ولما كان الفقيه قد زاول مهنة الطب علماً وعملاً ، وصناعة وتأليفاً ، فقد استهوانى موضوع التحدث إلى حضراتكم عنه مؤلفاً ، إلى أن أجول جولة في تاريخ الطب عند العرب وما اختلف عليه من أطوار وأحوال . لقد عرف المسلمون الأولون علوم الطب لأول قيام دولتهم وامتداد سلطانهم وبزوغ شمس حضارتهم ، ولعلمهم لم يوثروا عليه بعنايتهم علماً من علومهم عدا العلوم اللغوية والدينية . وكانت نظرهم إلى الطب نظرة عميقة بليغة ، فقد عرفوه على حقيقته ، عرفوه علماً من أشرف العلوم ، وصناعة إنسانية ينبغي أن يتعالى متعاطيها عن كل ما يحيط من مروءته وإنسانيته . ويطرح في مزاولتها كل أثر للهوى أو للعصبية المذمومة : قومية كانت أو اعتقادية أو مذهبية ، فهو خادماً الإنسانية وكفى . ألم يأخذ الأمير الأموي العربي المسلم خالد بن يزيد علم الكيمياء عن الكاهن الرومي السكندري ماريانوس ؟ ألم ينقل له اصطفان

النصراني كتاباً إغريقيا في الكيمياء ؟ ألم يكن يطبب الخلفاء والوزراء والأمراء والملوك من المسلمين ويقوم على صحة أبدانهم أطباء مختلفو الديانات والأجناس : من نصارى كآل بنخيشوع ، أو صابئة كسنان بن ثابت ، أو هنود مثل ممكنة ؟ ألم يعهد المتقدمون من خلفاء بني العباس إلى ترجمة السريان وهم نصارى في نقل كتب الطب الإغريقي القديم لاسيما كتب أبقراط وجالينوس ، فنقلوها إلى السريانية ثم إلى العربية ، فهدوا بذلك السبيل إلى ظهور أعلام الطب من المسلمين أمثال علي بن العباس طبيب عضد الدولة بن بويه وفيه يقول ابن العبري : « وصنف للملك عضد الدولة بن بويه كتابه المسمى بالملكي ، وهو كتاب جليل ، وكناش نبيل ، مال الناس إليه في وقته ، ولزموا درسه إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا ، فقالوا إليه وتركوا الملكي بعض الترك . والملكي في العمل أبلغ ، والقانون في العلم أثبت » . ومنهم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، ألف كتاباً في الطب أسماه المنصوري لأنه أهداه إلى الأمير أبي صالح منصور بن اسحق السلماني . ثم الشيخ الرئيس في الطب أرسطو الإسلام وأبقراطه أبو علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وقد وضع كتابه في الطب المسمى بالقانون ، وهو أهم ما عرف عند المسلمين في علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . ثم ابن البيطار النباني الذي نبغ في أواسط القرن السابع فتناول كتاب أبيقوريدس الذي نقل في أيام المتوكل — نقله عن الإغريقية اصطفان بن باسيل — فدرسه ابن البيطار

وتفهمه ، ثم جاب الآفاق شرقاً وغرباً دارساً للنبات ، ثم استقر بمصر في خدمة الملك الكامل الأيوبي الذي جعله رئيساً على العشابين . وبعد طول الاختبار ألف كتابه في علم النبات وسماه « جامع مفردات الأدوية والأغذية » . ثم يأتي خاتمة أعلام الطب بالمشرق داود الأنطاكي الضرير المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ ، وهو صاحب التذكرة المشهورة ، وهي موسوعة طبية تمثل الطب العربي القديم أحسن تمثيل .

أما في المغرب فنبت في العلوم الطبية أعلام طار ذكرهم في الآفاق شرقاً وغرباً ، نذكر منهم ابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وآل زهر ، وأبا القاسم الزهراوى المتوفى سنة ١٠٠٩ هـ .

ثم يدخل العالم الإسلامى في عصر تدهور وظلام دامس ، دام إلى مطلع النهضة الحديثة في مصر والشرق الأدنى . إلا أنه في تلك الحقبة عينها نقلت إلى أوربا كتب علماء الطب من المسلمين ، وصادف ذلك انبعاث النهضة الأوروبية الحديثة وبداية عهد الطباعة : فترجمت كتب الرازى وابن سينا وابن رشد وابن البيطار إلى اللاتينية : وطبعت غير مرة ، وصار عليها المعول في دراسة الطب ونهضة علومه بأوربا حتى مستهل العصر الحديث .

* * *

وفي إبان النهضة العامة المصرية أسست مدرسة الطب ، وأحضر لها من فرنسا لإدارتها والتعليم بها علماء أعلام . نخص بالذكر منهم

كلوت بك وبرون وبرنار ، فوضعوا كتباً تعليمية باللغة الفرنسية نقلت إلى العربية ، نقلها مترجمون أغلبهم من السوريين أمثال عنحورى ويوسف فرعون وغيرهما . ثم نبغ أفراد من خريجي مدرسة الطب أوفدوا إلى أوربا وحذقوا علوم الطب في جامعات فرنسا وإيطاليا والنمسا ، فلما عادوا عينوا معلمين بمدرسة قصر العيني . ومن هؤلاء إبراهيم النبراوى (١٨٦٢) ، وأحمد حسن الرشيدى (١٨٦٥) ، ومحمد على البقل (١٨٧٦) ، ومحمد الشافعى وغيرهم . وقد ترجعوا وألقوا كتباً انتفع بها الطلاب في دراساتهم الطبية . ومن نوابغ الأطباء المؤلفين في علوم الطب حسن عبد الرحمن (١٨٧٥) وأحمد ندا (١٨٧٧) وعثمان غالب ودري (١٩٠٠) وأحمد حمدى الجراحى (١٩٠٣) .

* * *

سيداتى سادق :

لقد وسعت اللغة العربية في عهد الخلفاء علوم الطب كما وسعت غيرها من العلوم الإسلامية : وذلك لغزارة مادتها ومرونتها ، ولامتيازها بمزايا الوضع والنحت والاشتقاق والتعريب . فكانوا إذا لم تسعفهم هذه الوسائل نقلوا اللفظ الإغريقى أو الفارسى أو البربرى أو الهندى بذاته : كما يلاحظ في مفردات ابن البيطار وتذكرة داود . وعلى هذا النهج سار المؤلفون والمترجمون في عهد محمد على وإسماعيل وإن كانت ملكة اللغة العربية عند هؤلاء أضعف منها عند القدامى . ثم إن العلوم الطبية ازدادت واتسعت اتساعاً عظيماً في القرن التاسع عشر : فأصبحت الحاجة ماسة

إلى معجم طبي شامل، يجمع شتات المصطلحات القديمة، ويضمن ما يؤدي إليه الاجتهاد أو يستقر عليه الرأي من المصطلحات الجديدة التي لم ترد في كتب العرب ومعاجمهم. وقد حاولوا سد هذا النقص، فعهدوا إلى مترجمي مدرسة الطب بترجمة قاموس طبي صغير من تأليف Nysten، ولكن وجد أنه غير واف بالغرض، فأحضر كلوت بك من فرنسا نسخة من قاموس القواميس الطبية Dictionnaire de Dictionnaires de Médecine لمؤلفه Fapre ويقع في ثمانية أجزاء، ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المتصلة بالطب إذ ذاك. وتعاونت مدرسة الطب بكل هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية. ومما جاء في مقدمته التي وضعها الشيخ التونسي هذه العبارة: «ففرق ناظر المدرسة إذ ذاك وهو الدكتور برون على مهرة معلمها وهم: حضرة إبراهيم النبراوي معلم الجراحة الكبرى وحضرة محمد علي معلم الجراحة الصغرى، وحضرة محمد شافعي معلم الأمراض الباطنية، وحضرة محمد أفندي الشباسي معلم التشريح الخاص، وحضرة عيشوي النحراوي معلم التشريح العام، وحضرة العلامة السيد أحمد الرشيدى معلم الطبيعة، وسعادة حسين غانم الرشيدى معلم الأقرباذين والمادة الطبية، وحضرة محمد السبكي معلم أمراض العين، وحضرة حسنين علي معلم النبات في ذلك الحين. فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيح لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه».

ولم يكتف الدكتور برون بهذا، بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعاً أيضاً للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة، فأتى بالقاموس المحيط ووزعه على أفراد هذه الهيئة، وأشرك معهم مصححي المدرسة، والشيخ محمد عمر التونسي، والشيخ علي العدوي، وأمر كلا منهم أن يراجع الجزء الذي بيده وينتقى منه «كل لفظ دل على مرض أو عرض، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان». ثم لم يقنع برون بهذا كله. يقول الشيخ التونسي واضع مقدمة هذا القاموس: «ثم خصني الناظر المذكور باستخراج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داود من كل معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة ومختار الصحاح، وما في المروى من التعاريف الصحاح، وضمنت لذلك أسماء الأطباء المشهورين وأسماء عقاير كنت رأيتها في بلاد السودان».

فلما تم كل ذلك عهد برون بهذا القاموس الجديد إلى الشيخ التونسي. فرتب الألفاظ والمصطلحات على حروف المعجم وراجعها مراجعة دقيقة. ولم يأل جهداً كما يقول «في تصحيح كلماته وتهذيب عباراته». فلما انتهى من هذا كله قابله معه وكيل مدرسة الطب الدكتور محمد شافعي، وسماه التونسي في النهاية «الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية» ولم يقصره على الألفاظ العربية بل ضمنه كما يقول «أسماء لاطينية وأخرى قرنساوية وأخرى فارسية وسواء استعملها العرب، أو كانت محدثة ودخلت في الألفاظ الطبية لأدنى سبب».

ولم يكد التونسي ينتهي من إعداد قاموسه

حتى أخذت الحياة العلمية في عهد عباس الأول في الركود . وخاف كلوت بك أن يضيق القاموس ، فاصطحبه معه إلى باريس وقدمه في سنة ١٨٥١ م هدية إلى المكتبة الأهلية .

وفي مفتتح القرن الحاضر أحضرت الحكومة المصرية نسختين من هذا القاموس مصورتين بالتصوير الشمسي أودعنا دار الكتب الخديوية . وفي سنة ١٩١٠ أخذت وزارة المعارف تفكر في طبعه ونشره ، وتقدمت في ذلك إلى المرحوم الدكتور أحمد عيسى ، فلم ينشر منه إلا مائة صفحة فقط ، لم تكد تستوعب حرف الألف وحده .

ولم يكتف الدكتور عيسى بنشر النص العربي كما تركه التونسي ، بل أعاد ترجمة كل لفظ من ألفاظ القاموس إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية . وقد طبعت هذه المائة صفحة في مطبعة المقتطف بالقاهرة في سنة ١٩١٤ ووقف الأمر عند هذا الحد .

سيداتي سادتي :

طوت يد القدر معجم التونسي لتنتشر معجماً آخر جديداً هو معجم فقيدنا المرحوم الدكتور محمد شرف .

والفقيد كما جاء في الكلمة القيمة التي أبته بها الدكتور علي توفيق شوشة من أسرة عريقة من أسر المنوفية . ولد في سنة ١٨٩٠ ، وأدخل الكتاب ليحفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة ، ثم نال الشهادة الابتدائية في سنة

١٩٠٣ ، والثانوية في سنة ١٩٠٨ ، ثم التحق بمدرسة الطب المصرية ، ولحماسه الوطنية سخط عليه ناظر المدرسة الإنجليزي إذ ذاك ، فاضطر إلى ترك مدرسة الطب والسفر إلى إنجلترا لإتمام دراسته بها ، وقد تخرج في بعض كلياتها الطبية في سنة ١٩١٤ ، فلما عاد التحق في سنة ١٩١٥ بالمستشفى العباسي . ويعمل الدكتور شوشة غرام الفقيه بتعريب المصطلحات الطبية إلى أنه منحدر من أسرة وردت مناهل العلم في الأزهر ، وإلى مزاملته في المستشفى العباسي للمرحومين الدكتور علي لبيب والدكتور أحمد عيسى ، وكلاهما ممن درس الطب باللغة العربية في قصر العيني قبل جعل الإنجليزية لغة الدراسة به ، وقد عكف المرحوم الدكتور شرف عشر سنوات كاملة في عمل معجمه ، مضجياً في سبيل إنجازهِ بكل ما كان يملك من جهد ومال . وقد لقي معجمه مايلقاه عادة كل عمل إنساني جليل من قبح ومدح .

سيداتي سادتي :

لقد صدر الفقيد الطبعة الثانية من معجمه التي ظهرت في سنة ١٩٢٩ بمقدمة مسببة أبان فيها الغرض من هذا المعجم وهو عبارة عن أمور أربعة :

أولاً - تعريف الناطقين بالعربية بالمفردات القديمة والمستحدثة والاصطلاحات الحديثة في الطب والطبيعات وما يتصل بها من فنون وعلموم .

ثانياً - نقل الأوصاف التي يكون لساننا خلوا منها ، أو لا مقابل ولا مرادف لها فيه .

ثالثاً - استيعاب أكثر الألفاظ العلمية في كتاب واحد يكون سراجاً يهتدى بنوره الطلاب ، ودليلاً يركن إليه العلماء .

رابعاً - إصلاح النقص البين في معاجم العربية ودواوينها لأنها لا تحتوى إلا الألفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أو التي عربت منذ وضعت هذه المعاجم .

ثم هو يبين لنا أن الطريقة التي اتبعها في تعريب المصطلحات كانت وسطاً بين طريقة المتزمطين المتشددین من حيث التزام ما سلفه دون أى انحراف عنه ، وبين طريقة اليساريين الذين يريدون الانسراح من قيود الماضي وأخذ الألفاظ الفرنسية الجديدة وأساليب صوغها ، وإدخالها في لغتنا كما هي . ثم سن الطريق التي عول عليها في التعريب ويراها جديرة بالاتباع ، ويضع لذلك قواعد منها :

(١) أن الألفاظ الأعجمية التي عرفنا لها مايقابلها أو يرادفها بالعربية ويؤدى معناها تأدية صحيحة يثبتها بمرادفات هذه .

(٢) بذل الجهد في البحث عن مرادفات عربية للمصطلحات الأجنبية التي يرجح أن لها مرادفات عربية .

(٣) الأعلام الفرنسية التي شاع استعمالها في العربية يحافظ على تصويرها بالرسم الذي رسمت به من قديم .

(٤) النكرات الحديثة العهد بالوضع والتي لا وجود لمقابل لها أصلاً في اللغة العربية والتي عربت من قبل وشاع استعمالها يثبتها كما هي ، كالأكسجين والهيدروجين والأزوت .

(٥) الألفاظ الفرنسية المأخوذة من أصل عربي أو فارسي وتغير رسمها يرجعها إلى أصولها القديمة كالكحول والإنبيق والسكر .

ثم يتكلم عن طريقة رسمه بالعربية لحروف العلة والحروف السالبة في اللغات الفرنسية ، كما يرى وجوب التوسع في استعمال الصيغ القياسية التي وضعها العرب لبعض المعاني ، كصيغ فُعَال وفَعَل وفَعُول الدالة على المرض ، وصيغة فَعُول الدالة على أسماء الأدوية ، ووزن أَفْعَل الدال على بعض الأوصاف والعاهات الجثمانية كأهدب وأوطف وأحذب وصيغة مفعول الدالة على بعض الأوصاف كمصدور ومفقود ، والصيغ الموضوعية لأسماء الآلة مِفعَال ومِفعَل ومِفعلة وفاعول ومستفعل ، والصيغ الواردة في الدلالة على المبالغة .

إذا عرفنا - سيداتي وسادتي - أن معجم شرف يحتوى على أكثر من ٧٠,٠٠٠ مصطلح علمي راعى في إيرادها القواعد التي تقدم ذكرها ، أدركنا مقدار الجهد المضني الذي بذله الفقيد في إعداد قاموسه ، ومقدار الشجاعة الأدبية التي كان يتحلى بها والتي ضمنت له إنجازها على النحو الذي أراد .

لقد قال الدكتور شوشة إن الفقيد كان في شبابه كلفاً بالصيد وحب الاستطلاع . وقد صحب السيدين يوسف كمال وكمال الدين حسين في رحلتهما إلى الهند والتبت والصحاري

وأنزله منازل السلف الصالح من أهل طائفته.
أولئك الذين لا أجد أبلغ في وصفهم من قول
فيلسوف المعرة :

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسير (١)

الإفريقية والأقطار الإفريقية الاستوائية .
ولاشك أن البحث العلمى ضرب من الصيد
وله ما للصيد من مشاق وأخطار . غير أنى
أقول إن فقيدنا قد عاد من متصيد العلمى
ممتلئ اليدين صيداً حلالاً طيباً . رحمه الله

كلمة الدكتور منصور فهمى

فى استقبال الدكتور أحمد عمار

ودبر . إذ سافر الدكتور أحمد زكى لبعض
المؤتمرات فى الخارج ، وعاد من السفر
مجهوداً على حال يتعذر معها أن يقوم
بالاستقبال .

وهكذا كان على كاتب سر المجمع أن يقف
اليوم مرتجلاً يستقبل الزميل الجديد . وكاتب
السر كما تعلمون ليس بالطبيب ، وليس بالعالم
وليس باللغوى . فلا غرو أن تشعرنا معى
بما أشعر به من حرج فى تقديم طبيب له
مكانته فى الطب ، وعالم له كفايته فى العلم ،
ولغوى له بصره باللغة .

لذلك أبحث لنفسي ألا أقدم الدكتور عمار
من ناحيته للطبية والعلمية ، مشيداً بآثاره ،

سيدى الرئيس . زملائي وإخوانى سادتي :
وإدعت لو أنى اليوم فى رعاية صديقى
النحوى الضليع الأستاذ إبراهيم مصطفى
الذى يستطيع بروحه الميسرة أن يصوب ما قد
يبدو من لحن لخطيب مرتجل قضت تصاريه
الأقدار أن يقدم اليوم عضو المجمع الجديد
الدكتور أحمد عمار .

قدر المجمع ودبر أن يتولى الاستقبال زميلى
الدكتور شوشة ، وذلك لأن من تقاليد المجمع
أن يستقبل العضو الجديد عضو يشاركه فى
ثقافته العلمية وفنه الخاص ، يتسنى له أن
يصور مكانته ويحلو كفايته من النواحي التى
يشارك معه فيها . ولكن كان المجمع يقدر
ويدبر وكان قضاء الله فوق تقديره وتديره ،
إذ اضطر زميلى شوشة إلى السفر ، فلم يكن
بد من إغفائه من القيام بذلك المهم المرسوم .

ومرة ثانية قدر المجمع ودبر أن يتولى
الاستقبال زميلى الدكتور أحمد زكى ، لما بين
ثقافته العلمية وفنه الخاص من صلة بثقافة
العضو الجديد وفنه ، ولكن تقدير الله فى
هذه المرة أيضاً كان على غير ما قدر المجمع

(١) مراجع هذه الكلمة :

- ١ - مفكر الإسلام لكارا دى فو .
- ٢ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان .
- ٣ - مقال الدكتور دن فى النقل والترجمة فى
مصر الحديثة .
- ٤ - رسالة الدكتور جمال الدين الشيال فى
الترجمة فى عهد محمد على .
- ٥ - مقدمة معجم الدكتور محمد شرف .
- ٦ - تايين الدكتور على توفيق شوشة للدكتور
محمد شرف (الجزء السابع من مجلة المجمع ص ٣٩٤)

من عالم الغيب ، أو قل إنها هبة من الله مانح الهبات ، أتيح لها على الأيام أن تستكمل النماء والازدهار ، بما اتصل بها من الأسباب .

للدكتور عمار حياة طريفة تتلخص في أنه ولد سنة ١٩٠٤ في قرية مناوهلة في المنوفية ، ودخل مكتب القرية صبياً ، فحفظ القرآن وجوده ، وهو في سن باكرة لم تبلغ الثامنة بعد . ثم ألحق بالمدرسة الابتدائية الأميرية في شين الكوم سنة ١٩١٣ ، وكان الخديو عباس في تلك السنة يزور الأقاليم ، فوقع اختيار المدرسة على التلميذ أحمد عمار وهو دون التاسعة ليلقى قصيدة الترحيب بالزائر الكريم . ولم يكن عبثاً أن يختار صبي في السنة الأولى الابتدائية لهذه المهمة الدقيقة ، فإن في ذلك برهاناً على أن الصبي كان مثلاً طيباً لحسن الإلقاء وإجادة التعبير ، حتى إنه ليليق للتكلم في حضرة أمير البلاد . ولعل لهذه المناسبة بعيد الأثر فيما كان من حب الدكتور عمار للغة ، وفيما كان من تعصبه لها ، فقد زهاه وأرضى طموحه أن تبوئه موهبته اللغوية والتعبيرية لهذا المقام .

وقد تعلق منذ ذلك اليوم بالأدب العربي ، ولم تكن تسعفه المدرسة بمراده في هذا الباب ، فكان يعتمد إلى لداته وإخوانه من الأزهرين أبناء قريته ، مشاركاً إياهم في الدرس ، راغباً في التفوق على طائفة المعممين الذين كانوا يتفخرون على المطربشين بتمكنهم في اللغة وامتلأ بهم ناصية الأدب ، ولا سيما في سوامر رمضان حيث يجلس أهل القرية مستمعين للقرآن ، مستذكزين ألواناً من المواعظ والحكم

باسطاً ماله من مكانة جليلة في هذا الصدد ، وحسبي غنية عن ذلك ما للدكتور عمار من شهرة واسعة في فنه تعلمونها ويعلمها الناس .

بيد أني أجتزئ بالإشارة إلى تلك الكراسات التي كان يوافينا بها الدكتور عمار قبيل اختياره لعضوية المجمع ، مشحونة بدراساته وبحوثه لمصطلحات طبية دقيقة يكتشف لها كلمات عربية صميحة تؤدي مدلولها في دقة وضبط ، على أني سأترك تقدير هذه الكلمات لعلماء اللغة يحسبونها له أو يحاسبونه عليها ، فمنا لاشك فيه أن سيكون بينهم وبينه في شأن هذه المصطلحات حساب يسير أو غير يسير .

سأترك هذا كله ، منصرفاً إلى ناحية من نواحي شخصية الدكتور عمار ، ناحية أحسها وأجدها واضحة فيه ، وهو يتميز بها كل التمييز . تلك هي ناحية العصبية للغة . وليست عصبية هذه من ذلك النوع الذي يستطيعه كل إنسان ، وإنما هي عصبية كريمة قادرة ، أساسها نوع من الحب أو الشغف بما يتجلى في اللغة من خصائص القوة والحياة ، ومن ميزات يتذوقها عشاق الجمال في موسيقى الحروف والصيغ والأصوات ، وقد تتصل هذه العصبية كذلك بلون من ألوان الوطنية الكريمة والقومية الرشيدة يدعو إلى الاعتزاز بتلك اللغة التي تكمن فيها عناصر أصيلة من ذاتية الأمة وشخصيتها .

كيف نشأت هذه العصبية للغة عند الدكتور عمار ؟

لك أن تقول إنها أمر من الله . أو قضاء

الوثيقة الصلة بنصوص الأدب العربي .

وذلك كله حفظ الدكتور عمار على أن يحفظ الألفية في النحو ، والمعلقات والمفضليات وغيرها في الأدب ، مما أرسى في نفسه التمكن من اللغة ، وأدكى في قلبه الشغف بأدب العرب .

ولما كان في المدرسة الثانوية ، يشغله ذلك الاتجاه الأدبي ، أقبل على الشعر يقرضه ، وجعل يروض القول ، فظهر امتيازه على أقرانه بهذه النزعة وذلك الشغف .

وكان طبيعياً أن يحدوه ذلك الامتياز الأدبي على أن يتجه في تعليمه العالي اتجاهاً يلائم ذلك الامتياز ، لولا أن شقيقه الأكبر سبقه إلى ذلك الاتجاه عينه ، فرأى ولادة أمره من أهله وعشيرته أن يعدلوا به إلى اتجاه علمي ، حتى لا يكون الأخوان في معسكر واحد ، وعلى ذلك كان نصيبه أن يلحق بكلية الطب . ومن عجب الأمر أن هذا اليافع الذي وجه وجهه غير التي يرتضيها ، لم يلبث أن أظهر تفوقاً وبروزاً في ذلك الاتجاه العلمي الجديد .

والامتياز موهبة جوهرية أصيلة يبدو أثرها أينما حلت ، وحيثما اتجهت ، فهي تعين الموهوبين على أن يبرزوا ويتفوقوا فيما يزاوون من علم أو أدب ، وهكذا تخرج الدكتور عمار في مدرسة الطب أول فرقته ، وأصغرهما سناً ، حاملاً ثمانى جوائز في مختلف الفروع الطبية .

ويحلون هنا أن أقف وقفة قصيرة أرجع فيها إلى الماضي حيث ذكريات الحضارة

الإسلامية ، وما يتخلل التاريخ العربي من شخصيات برزت في اللغة والأدب إلى جانب تميزها في العلم والطب ، وما أكثر الأسماء التي يذكر لها تفوقها في الكيمياء والطب والرياضة والفلak والفلسفة ، مع ما يذكر لها من تثبت وتمكن في العلوم اللغوية والأدبية . وإن هذا الجمع بين مختلف الكفايات ليفيد أكبر الفائدة . فمما لا ريب فيه أن ميدان العلم المتصل بدقائق الحياة فيه من الغموض والخفاء ما فيه ، لاتصاله بأسرار الطبيعة وكوامن الروح التي ما تزال خلف الأستار ، وإن الذين جمعوا بين التبحر في العلم والبصر باللغة لهم أقدر على تجلية تلك الغوامض والكوامن ، واستشفاف تلك الأسرار ، بما تذوقوا من جمال التعبير ، وما أوتوا من موهبة الإبانة والإفصاح .

وإذن فالدكتور عمار بما أتقن من اللغة ، وبما درس من علوم الطب والحياة ، كأنما صنعتته الأقدار هذا الصنع الحكيم ، وادخرته لهذا المجمع عوناً له على تجلية المصطلحات الطبية والعلمية في معرض عربي يزيد اللغة ثروة ، ويكسب العلم لأهل العربية وضوحاً وحسن بيان ، وبذلك يتحقق للمجمع ما هدف إليه من سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب الحياة العلمية .

وأما بعد فلست أريد أن أطيل ، لأنني مريض أتحدث عن طبيب ، وقد لا يسمح الطبيب للمريض بالإطالة في القول ، وبذل المجهود ، فأنا أختصر في الحديث عن ذلك الطبيب النابغ النافع الذي لمحت فيه الدولة

زميلي الأستاذ إبراهيم مصطفى في استقباله لزميلنا العبادي أنه كان ممن يحفظون القرآن ، وقد أسلفت أن زميلنا عمار كان كذلك من حفظة القرآن . فلتستبشر ببركة هذا الكتاب الذي هو الإمام العربية والعروبة ، والذي هو دستور أدباء العرب على اختلافهم مذاهب واتجاهات .

وأما كلمتي للدكتور عمار فهي أنه أصغر زملائه المجمعين سناً ، وفي القديم والحديث : خير من يتخذ للاضطلاع بالأعمال القوي الأمين . وزميلنا الحديد موفور الحظ من القوة ، موثوق بأمانته ، فسيحمله المجمع الكثير من العمل ، وينظر إليه نظرة الأمل الباسم ، والزميل إن شاء الله كفء لجسام الآمال ، والسلام .

نبوغه ، فبعثت به سنة ١٩٢٧ إلى إنجلترا مبعوثاً للدرس والتزود ، متخصصاً في أمراض النساء والولادة ، فعاد إلى وطنه سنة ١٩٣١ حاصلاً على مؤهلاته العلمية التي تتوجها زمالته بكلية الجراحين الملكية ، وهو الآن أستاذ لأمراض النساء والولادة بكلية الطب بجامعة عين شمس ، وهو لا يفتأ يعمل ناشطاً في خدمة الإنسانية وخدمة العلم والأدب ، منقطعاً بعض الوقت للمحاضرة وللبحث في المصطلحات وللإطلاع .

وختاماً عندي كلمة أقولها للمجمع ، وأخرى للزميل الحديد . فأما كلمتي للمجمع فهي أن يتفائل ويستبشر بهذا اليوم الذي يستقبل فيه عضوين جديدين ، هما الدكتور عمار والأستاذ العبادي ، وقد سمعت من

كلمة الدكتور أحمد عمار

عليها سنياً ، وأوفيتم الكيل سمحاً سخياً ، بل جاوزتم بجزائي عليها كل مقدور وكل منظور وكل مشكور ؟

أم أشكر لكم أكرامة العمر : أعجزتموني عن قضاء حقها مهما جهدت ، وعن القيام بحرمتها ماحيت ، بأن أزلتموني إلى محرابكم عضواً رهواً ، وإنه المحراب الكوؤود المطالب ، المستصعب الدرك ، وبأن عددتموني بينكم واحداً منكم ، وإنكم لسدنة هذا المحراب ، بل حضنة لغة الكتاب ، وما اقتاس إليكم إلا قياس الحواريين من المرسلين ؟

ألا لأسترحن الله لنفسي بأن أعرف قدرها فليس هذا المقعد العلي بمقعدى مهما تطاولت ،

سيدى الرئيس المبجل . سادنى الأعضاء الأجلاء . حضرات السيدات والسادة :

أوليتموني شرف العمر ، وآتيتموني أمنية الدهر ، وطوقتم جيدي بمنة كانت غاية التمني ، وحبوتموني مرجواً تناهى إليه الترجى ، وكلامت جيبني بإكليل الفار ، وسموتم بي إلى قمة التفخار ، إذ بوأتموني بينكم ميوأ مجد ، وأقعدتموني معكم مقعد خلد ، وتوقلتم بي صعداً إلى سماوة أولمبيا أنتم فيها خالدون .

أفأحمد الله إليكم على نعمة أولانيها في أعينكم : أن اجتزأتم في جزائي عن أعمال وجدتموني منها صفر اليدين بنيات توسمتموها تفضلاً ، ولا أقول توهتموها زلفة ، فأجزأتم لي الجزاء

وليس هذا الكرسي الرحب بكرسى كيفما استوثقت ، ولكنما أبيع لنفسي أن أقعد هذا المقعد بينكم لأنهل من علمكم ، وأغترف من فضلكم ، فانما أنتم جامعة في مجمع ، بل إنما كل منكم في ذاته مدرسة أو معهد ، وإنما أنا في حلقنكم متعلم منكم ، متلق عليكم ، حقيق إن سرت على درب عبدتموه ومهدتموه أن أصل إلى ما أحسنتم بي الظن فقد رتموه .

أيها السادة الأكرمون :

إني إذ أحل اليوم بينكم محل سلف عبقرى ألمعى ، خالد الذكر ، باقى الأثر ، هو المأسوف على بلوغه الميقات قبل الأوان ، المغفور له الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ليتعاطمنى أن قد شرفتموني فعزوتوني إليه خلفا . إذ كيف تصح في الأذهان هذه العزوة البعيدة ، إذا ذكرنا من أستاذيته القادرة ، بل فحولته العارمة : أنه قاد فكر المائل بين أيديكم ، فيمن قاد من جمهرة المثقفين في الشرق العربى ما يربو على ثلث القرن ، لم يغيبهم يوماً على مداه من مقال محكم رصين :

تزين معانيه ألفاظه

وألفاظه زائنات المعاني

فإذا المقال قبس من ضياء ، بل مشعل من نور ونار ، يبدد ديجورا من ظلمة : ويهتك غيبها من جهالة : ويوقد جذوة من حق ، ويهدى جمحفا من رأى عام : وإذا المقالات فى جملتها — إن هى قدر لها أن تجمع بين دفتى كتاب — تؤلف سفرأ جسيما ضخماً . يجاؤ تاريخ نهضتنا الجلية الآثار : اليا نعة الثمار . التى نتفياً اليوم ظلالها . ونستطيب جناها :

أنى ولينا الوجوه . وأينما أدرنا الأبصار .

هذا مجد عريض — أيها السادة — فى أدب المقالة اليومية ، قد صب فيه المازنى من عقله الراجح أذواباً موصولة المداد ، طالع بها القارئ شموعاً ما فتئت تماسيهم على كر العشى جيلا من الزمان . على أن هذا المجد العريض الذى أغفله أستاذنا العقاد عامداً فى تأبين زميله الكريم ، تواضعاً منه فى حق أهل هذه الصناعة إذ هو من أربابها المبدعين المجابن ، هذا المجد الأدبى المين ، إن هو إلا أيسر مانقراً فى كتاب المازنى إذا ما قال : هاؤم اقرأوا كتابيه ، فإن له — ناثراً وناظماً ، وقاصاً ومترجماً ، وفيلسوفاً وحكماً : وجاداً ومتهكماً — لمفاخر خالداً ، وصحائف باقيات ، قال فيها العقاد ما لا يدع لمثل من بعده مجالاً لقول .

سادنى الأمائل :

إننى وأنا أقف الساعة بينكم هذا الموقف الوجدانى الرهيب : موزع المشاعر بين آية الخلد أستجايها على أسارىكم المستبشرة الناضرة ، وآية الموت أخشع لها إذ أسترجم وأترجم للمازنى : لتستهيبنى من مثوره أو مأثوره فى فلسفة الموت والخلود ، براعة من براعاته هى أجدر مقال بهذا المقام .

ذلك إذ يستشهد فى كتابه « حصاد المشيم »

بأبيات أبى الطيب :

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها
منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالب
وفارقها الماضى فراق سليب

ولافضل فيها للشجاعة والندى
وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فيقول بأسلوبه المعجب المطرب :
« إن المتنبي أصاب كبد الحقيقة حين قال
إن الموت هو علة الشجاعة والكرم والصبر ،
ولو اتسع مصراعا البيت لقال إنه مبعث كل
الصفات والعواطف والغرائز الإنسانية ،
جليها ودقيقها ، وشريفها ووضعها . وما
على من شاء إلا أن يتصور أن الله حبا للناس
الخلود ، وحمام الموت ، أتظن أن غرائز
الإنسان يكون لها حينئذ محل أو عمل ؟ المرء
خالد ، ومتى كان الخلود مضموناً والموت
مأموناً فلا عمل لغريزة حفظ الذات ، ولا
لزوم للسعى والكدح ، والاجتهاد يبطل ،
ولا يبقى ثم فرق بين إنسان وإنسان . لاشجاعة
إذ ليس هناك خطر ما ، ولا كرم لأن الفقر
والغنى سيان ، ولا بخل إذ لا كرم ، والشهرة
والحكم والبطولة والطمع ، وكلها ليست
إلا مظاهر للتعزى عن الخلود الممتنع في الحياة
بخلود الذكر بعد الموت ، من ذا يكثر لها
إذا ضمن الخلود ؟ والحكومات لماذا تقيمها ؟
وليس لنا أمور أو شئون تنظيم ، ولا آداب
ولا علوم ولا صناعات ، ولا اختراعات ،
ولا شيء على الإطلاق إلا جسم خامد لا يحفزه
حافز حتى إلى تحريك أصبعه . »

فالغنى الذى جلاه لنا المازنى : هو أن
الموت سبيل الحياة ، بل لولاه لما كانت الحياة ،
بل لما كان الخلود .

ولقد تمثل المازنى بالرئيس ابن سينا حيث
يقول :

« اللهم لا أسألك حياة طويلة ، ولكن
أسألك حياة عريضة » وعقب على دعاء ابن
سينا هذا بقوله : « من ملأ الأجل القصير
بالجلال ، فكأنه عاش بأعماله ، وبما أحس
وأدرك ، وتفطن إليه وحصله ، أجيالا عدة ،
لاسنوات قليلة . »

على أن المازنى ، إن تواضعا لله ، وإن برما
بالحياة ، كتب مرة في ساعة من ساعات الضجر
يقول :

« وأنا أيضاً أكتب ، وأقرض الشعر ، فما
مصير كل هذا الذى سودت به الورق ،
وشغلت المطابع ، وصدعت القراء ؟ إنه كله
سيفنى ويطوى بلا مرأ ؟ فقد قضى الحظ أن
يكون عصرنا عصر تمهيد ، وأن يشغل أبنائه
بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وبتسوية
الأرض لمن يأتون من بعدهم ، ومن الذى
يذكر العمال الذين سوا الأرض ومهدوها
ورصفوها ؟ ومن الذى يعنى بالبحث عن
أسماء هؤلاء المجاهيد ، الذين أدموا أيديهم في
هذه الجلاميد ؟

وبعد أن تمهد الأرض ، وينتظم الطريق ،
يأتى نفر من بعدنا ويسرون إلى آخره ،
ويقومون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ،
ويذكرون بقصورهم ، ونسى نحن الذين
أتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة ، والذين
شغلوا بالتمهيد عن التشييد ؟

فلندع الخلود لإذن ولنسأل : كم شبرا
مهدنا من الطريق ؟

أيها السادة :

ها هنا وقفة عبرة وذكرى ، تقتضي
— إذ أخلف سلفي الكريم — أن أناجي روحه
قائلاً :

« إن انقضت تماثيل الدنيا قاطبة ، حجراً
إثر حجر ، وإن درست معالم التاريخ جميعاً ،
معلماً تلو معلم ، فإن بناء واحداً سوف يبقى
ماتحرك في فم آدمي لسان ، ذلك البناء هو
الكلمة . وإن تاريخاً واحداً لن تقوى عليه غير
الزمان ، ذلك التاريخ هو تاريخ اللغة . وإن
الكلمة التي عشقتها بضاعة حياة قصيرة لكنها
عريضة ، واللغة التي كلفت بها وحييتها رسالة
رمت عليها في الشهداء . إن هذه الكلمة هي
الخلود لك : وإن هذه اللغة لشد ما افتقدتك
ألا فاخلد في الدنيا اسماً وذكرى : واسكن
الجنة إلى جوار من اصطفاهم ربهم من أئمة
هذا المجمع المعظم خالدين فيها أبداً » .

سيدي معلم الجليل . سادتي أئمة اللغة :

لقد استدرجني الأدب الذي شغف حبه
قلبي منذ الصغر . فأطلت فيه كلامي ،
ولعلني أملت . على أنكم وإن كنتم قد ارتأيتم
لي أن أخلف في المكان أديباً . فما كنت
بمصنعتي إلا طبيباً . وما كان الأدب لي إلا
متاغ نفس . وغذاء روح . ومطلب فن
وجمال .

ولكن ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه .
والله يحب إذا عمل أحدنا عملاً أن يحسنه . ومن
ثم فإن أشرف ما تستشرف إليه همتي — وقد
شرفتموني بالانضمام إليكم — أن أتابع ما كنت

منه بسبيل ، وهو أن أخدم اللغة بالطب ،
والطب باللغة . مستمداً فيها أستشرف إليه
كريم مناصرتكم ، وصادق مؤازرتكم ،
وسديد توجيهكم ، بل حسن تقويمكم .

ولقد جرت تقاليد هذا المجمع الموقر على
أن يضمن عضوه الحديد خطبته البكر ما يعن
له من رأى في خدمة اللغة أصيل . وإنني لمهتبل
هذه الذرصة الثمينة الفريدة لأعرض على كريم
مسامعكم مقترحاً إن بدا على البديهة جريئاً ،
فعسى على الروية أن يصادف منكم قبولاً .

لقد كان لما قرره هذا المجمع الموقر من
ضروب التوسعة في قواعد الاشتقاق أثر لن
يخفى على مر الأيام ، في تهيئة أسباب النهوض
باللغة العربية لتساير الحضارة الحديثة .
إذ بهذه التوسعة التي أكسبت وسائل الاشتقاق
مرونة وطواعية كانتا مطلوبتين : سوف يتسنى
اشتقاق مئات الكلمات العربية ، ما كان من
الميسور اشتقاقها لولا مزينة هذه التوسعة .
وتلك سنة حميدة من سنن المطابقة لمقتضيات
العصر : قد استنها المجمع ملحوظاً بالتوفيق ،
فكانت آية من آياته ، بل فتحاً من فتوحه ،
في حسن الموازنة بين القديم والحديد .

بيد أن أكثر مصطلحات العلوم في اللغات
الأجنبية ليست من بساطة التركيب بحيث يمكن
الاقتصار في ترجمتها على وسيلة الاشتقاق
وحدها . مهما استوسعت قواعده : وإنما
هذه المصطلحات في حقيقة تركيبها : منحوتة
من كلمتين فأكثر . لكل منها معنى مستقل
فلا سبيل إلى ترجمتها بكلمات مفردة تقابلها ،

وتجزئ مجزأها المعنوى بأكمله ، إلا إذا لجأنا في ترجمتها إلى مضاهاة تركيبها بمثله ، مستعينين بوسيلة النحت .

وليس يخاف أن ترجمة اللفظ المفرد بمفرد مثله ليست أمراً مستحباً فحسب ، ولكنه مستلزم متطلب . ولا سيما إذا اقتضى سياق العبارة استعمال المصطلح المقصود في صيغة صفة ، أو نسبة ، أو إضافة ، أو ما جرى هذا المجرى من صيغ الاستعمال . وإذن فلا مناص من أن نستخدم النحت في العربية وسيلة لترجمة المصطلح الأجنبي المنحوت . ولسنا في هذا الذي ندعو إليه دعاة بدعة ، وإنما دعاة توسعة إذ كان النحت مما استخدمه قدماءنا غير مضطرين إليه شدة اضطرارنا ، وإذ أباحه الكوفيون والبصريون على السواء ، وإذ جرت به ألسنتهم في عشرات الأمثلة المعروفة : كالإسملة لبسم الله ، والحمدلة للحمد لله ، والسبحلة لسبحان الله ، والحسيلة لحسبي الله ، والسمعة لسلام عليكم ، والمشكنة لما شاء الله كان .

وإني لمجزيء بهذه الإلمامة اليسيرة في هذا المقام ، مرجئاً تفصيلها إلى حين عرضها عليكم للبحث بعون الله .

أيها السادة الأجداد :

أكرر لكم من صميم القلب شكراً إن أفتأ أبدأ أردده وأجده على ما أحسنتم بي من ظن أسأل الله أن أحققه ، وما أحلتتموني بينكم من محل أستعين الله على أن أملاه ، وما حملتموني معكم من أمانة لا قوة لي عليها ولا توفيق إلا بالله .

أشكر لحضراتكم فرداً فرداً ما أجمعتم فتلطفتم به على مما يحل بالقلب ويحل عن اللسان وأستاذن حضراتكم أن أخص بشكري أستاذنا الأكبر رئيس المجمع وأساتذتنا الأجداد الأساتذة الدكتور منصور فهمي والدكتور على توفيق شوشة ، والدكتور أحمد زكي ، على ماتفضلوا به على من كريم الرعاية ، وشريف التزكية وجيل الاستقبال .

وأدعو الله أن يهب لنا جميعاً من لدنه حسن التوفيق .

قرارات المجمع في هذه الدورة

قرار لغوى

إباحة المد عند التقاء الساكنين لدفع اللبس

قدم العضو المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات اقتراحاً إلى مؤتمر المجمع لزيادة موضع على المواضع الثلاثة التي يغتفر فيها التقاء الساكنين ، وذلك في مثل قولهم : اجتمع ممثلو العراق بممثلي الأردن ، واتصل محامى بمحامى الخصم (عند إرادة الجمع في الثانى) . وقد أحال المؤتمر هذا الاقتراح إلى لجنة الأصول (١) . وعرضت اللجنة نتيجة بحثها على المجلس فوافق على القرار الآتى :

« لايخرج على من يدفع اللبس بمد عند التقاء الساكنين في مثل قولهم : اجتمع مندوبو العراق بمندوبى الأردن » (١) .

وفما يلي نص الاقتراح الذى قدمه الأستاذ أحمد حسن الزيات ، ثم نص التقرير الذى عرضته اللجنة :

اقتراح زيادة موضع على المواضع الثلاثة التي يغتفر فيها التقاء الساكنين

للأستاذ أحمد حسن الزيات

من طبيعة العربى ألا يلتقى الساكنان على لسانه ، فان التقيا في الكلام تخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول إذا كان حرف مد ، أو بتحرزيكه إذا لم يكن كذلك ، وحذف حرف المد يكون لفظاً وخطاً إذا كان الساكنان في كلمة نحو « خف » و « قُل » و « رِبع » ، ويكون لفظاً لا خطاً إذا كانا في كلمتين نحو « اصنعوا المعروف » و « اعمل الخيز » و « وكيلا المجلس » و « موظفو الدولة » و « ممثلى الأمة » وقد اغتفروا التقاء الساكنين في ثلاثة مواضع : أَوْحاً إذا كان الساكنان في كلمة وكان الساكن

الأول حرف مد والثانى مدغماً في مثله : نحو « عام وخاص » و « مادة ودابة » . وثانيها ما قصد سرده من حروف الهجاء ، نحو « نون قاف ميم » . وكان من الجائز أن تحرك أو آخر هذه الحروف لولا أنها وردت في القرآن الكريم على هذا الوضع في فواتح بعض السور . وثالثها ما وقف عليه من الكلمات : نحو « سماء » و « مسكين » و « محروم » .

والذى يعيننا من المواضع الثلاثة الموضع

(١) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (٢١)

من مايو ١٩٥١ .

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢٨) من يناير

١٩٥١ .

اسم محلي بآل في حالة الرفع والجرح ، والاسم المنقوص إذا جمع هذا الجمع وأضيف إلى ياء المتكلم في أحوال الرفع والنصب والجرح ، وإلى الاسم المحلي بآل في حالة الجرح . فنقول « ممثلو الشعب » و « مندوبو الحكومة » و « محامي » و « محامي الخصم » بإثبات الواو والياء فيها لفظاً كما ثبت خطأ . والذي أعتمد عليه في تأييد هذا الاقتراح القياس والسمع : قياس هذه الأحوال على ما اغتفروه من التقاء الساكنين في مثل « عام وخاص » لاتحاد العلة فيها وهي دفع اللبس . والقياس على ما قاسه العرب من المبادئ التي أقرها المجمع ، ثم سماع التقاء الساكنين فيها من المحدثين فان أثر المثقفين يقولون : « مقرر اللجنة » و « موظفي المجلس » بإثبات الواو والياء . وقبول السماع من المحدثين مبدأ قرره المجمع في دورته الأخيرة . وفي اعتقادي أن المجمع الموقر سيجد في هذا الاقتراح اتجاهاً إلى ما يقصد من تبسيط اللغة وتوضيحها ، فيقبله .

الأول ، لأن اغتفار الساكنين فيه قائم على أصل من أصول البيان وهو دفع اللبس في الكلام ، فانهم لو حذفوا حرف المد من نحو قولهم : عام وسام وبجاد ومادة ومارة لالتبس العام بالعم والسام بالسم والجاد بالجد والمادة بالمد والمارة بالمرّة وهلم جرا . وكان ينبغي أن يطرد هذا الاغتفار كلما خيف اللبس من حذف الساكن الأول ، ولكنهم وقفوا عند ذلك فدارت على الألسن عبارات لا يستطيع السامع أن يتبين مراد المتكلم منها ، كقولنا مثلاً : « اجتمع ممثلو العراق بممثلي الأردن » ، و « اتصل محامي بمحامي الخصم » ، فان السامع لا يدري أقصد المتكلم أفراد الممثل والمحامي أم قصد جمعهما . ومثل ذلك « مدرسو التاريخ » و « مفوضو الشركة » و « مفتشو الوزارة » .

لذلك أقترح أن يزداد على هذه المواضع الثلاثة موضع رابع ، وهو الاسم الصحيح الآخر إذا جمع جمع مذكر سالماً وأضيف إلى

تقرير لجنة الأصول

المحلي بآل في حالة الجرح ، فيقال : « ممثلو الشعب » و « مندوبو الحكومة » و « محامي » و « محامي الخصم » بإثبات الواو والياء فيها لفظاً كما ثبت خطأ . وقد قرر المؤتمر إحالة هذا الاقتراح إلى لجنة الأصول لدراسته .

وعقدت اللجنة عدة جلسات راجعت فيها تفاصيل الاقتراح : وكتب اللغة والنحو ، وتقرير الأستاذ إبراهيم مصطفى عن هذا الاقتراح ونصه :

بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٥١م ألقى حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات على مؤتمر المجمع بحثاً ضمنه اقتراح زيادة موضع على المواضع الثلاثة التي يغتفر فيها التقاء الساكنين .

وهذا الموضع : هو الاسم الصحيح الآخر إذا جمع جمع مذكر سالماً وأضيف إلى اسم محلي بآل في حالة الرفع والجرح ، والاسم المنقوص إذا جمع هذا الجمع . وأضيف إلى ياء المتكلم في أحوال الرفع والنصب والجرح . وإلى الاسم

التقاء الساكنين

يقول النحاة : إن التقاء الساكنين يغتفر في موضعين : الأول في الوقف وما في حكمه فالوقف مثل بكر وبشر وناس ومؤمنون ومؤمنين .

وشبه الوقف في سرد أسماء الحروف مثل : نون ، قاف . وسرد أسماء الأعداد مثل : اثنان ، ثلاثة ، أربعة .

الموضع الثاني : أن يكون الحرف الأول حرف مد ، والثاني مدغماً وهما في كلمة واحدة مثل « الضالين » ، و « تسود الثوب خويصة » في التصغير .

ومنعوا التقاء الساكنين إذا كانا في كلمتين . ولاحظ حضرة الزميل الأستاذ أحمد حسن الزيات أن ذلك يستوجب لبساً في بعض المواضع . واقترح لتلافي هذا اللبس أن يغتفر التقاء الساكنين في موضعين آخرين :

الأول : في الاسم الصحيح الآخر إذا جمع جمع مذكر سالماً وأضيف إلى اسم محلي بآل مثل « اجتمع ممثلو العراق بممثلي الأردن » ، فرأى إثبات الواو والياء في مثل هذين الموضعين دفعاً للالتباس بالمفرد .

الموضع الثاني : في الاسم المنقوص إذا جمع هذا الجمع وأضيف إلى ياء المتكلم أو إلى المحلى بآل مثل « محامي » و « محامي الخصم » .

ويرى هنا إثبات الياء التي هي لام المنقوص وإن التقى الساكن مع مابعده .

أما الموضع الثاني فانه يلاحظ أن النطق فيه حسر ، غير مقبول . تقول « محامي » بمد وبعده الياء المشددة . ويلاحظ مع ذلك أن ياء المنقوص لم تثبت مع علامة الجمع في موضع مامن كلام العرب ، فلا أرى ما ذهب إليه الأستاذ في هذا الموضع من اقتراح باغتفار التقاء الساكنين .

أما الموضع الأول ، فقد حاولت أن أجِد من كلام النحاة ما يبرره أو يثبت جريانه ولو في بعض اللهجات ، فوجدت أن من النحاة من أباح التقاء الساكنين وهما في كلمتين في نحو أحسن عندك ؟ أجازته جماعة من النحاة منهم ابن الحاجب والرضي وقالوا يغتفر التقاء الساكنين هنا دفعاً للباس الخبر بالاستخبار وكذلك وجدت أن من النحاة من أباح التقاء الساكنين في مثل روى عن العرب وهو : « التقت حلقتا البطان » في معنى اشتد الأمر وضاق .

وكل الكتب التي بأيدينا تنص على شذوذ هذا الموضع ، وأنه لا يقاس عليه إلا ما جاء في كتاب « الارتشاف » لأبي حيان وهو مخطوط ، إذ ورد فيه في باب التقاء الساكنين مانصه :

« فأما التقت حلقتا البطان بإثبات الألف فنادر عند البصريين لا يقاس عليه ، وجائز عند الكوفيين يقاس عليه » .

ومن الممكن أن نتخذ من هذا سنداً . لأن العرب قد اغتفرت التقاء الساكنين في كلمتين لدفع الالتباس كما في الأمثلة الأولى ، أولانص

ثم درست اللجنة رأى الدكتور إبراهيم أنيس ونصه :

« إن اختلاف القراء في قدر المد ومراتبه يصحح أن يكون مبرراً لإباحة المد فيما يدعو إليه الأستاذ صاحب الاقتراح ، ولا سيما إذا جعلت مثل هذه الرخصة كوسيلة تعليمية ، وقد كان من القراء من يبيحون للمتعلمين أن يزدوا في المد تنبيها لهم على هذا المد ، فقد جاء في «النشر في القراءات القرآنية العشر» (جزء أول صفحة ٣٢٤) مانصه : « حدثنا سليم قال سمعت حمزة يقول : إنما أزيد على الغلام في المد ليأتى بالمعنى » .

وبعد الانتهاء من دراسة الآراء المختلفة اتخذت اللجنة القرار الآتي ونصه :

« ترى اللجنة أنه لا حرج على من يدفع اللبس بمد عند التقاء الساكنين في مثل قولهم : اجتمع مندوبو العراق بمندوبي الأردن » .
وهي تتشرف بعرض الأمر على هيئة المجلس الموقر لمناقشته » .

على المراد كما في المثال السابق ، ولكن في هذه الحالة سنتوسع فنقيس الواو والياء على الألف وكل ماورد عن العرب أو النحاة من جواز التقاء الساكنين إذا كان أحدهما ألفاً ، فالأمر أخف لكثرة المد في الألف ، إذ هو مد فقط ، ولذا كان ماداً وشاداً أكثر من تمرد .

وقالوا : إن العرب عدت الألف في « يضربان » كأنها مع ما بعدها في كلمة واحدة ولم يروا ذلك في « اغزُنْ وارْمُنْ » .

وقد رأيت من الواجب أن أضع هذه النصوص أمام حضرات الزملاء حين البحث ليكون واضحاً لديهم ما فرق النحاة به العرب بين الألف وبين الواو والياء .

وإن كنت أميل إلى إقرار اقتراح الأستاذ في اغتفار التقاء الساكنين في نحو « اجتمع ممثلو الحجاز بممثلي العراق » . دون الموضع الآخر في مثل « محامي » و « محامي الخصم » .

قرارات تنظيمية

(١) إعداد أعمال المؤتمر :

وافق المجلس في مستهل دورته (١) على تأليف لجنة من السيد الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع ، والسادة الأعضاء : الدكتور إبراهيم بيومي مذكور ، والدكتور أحمد أمين ، والأستاذ أحمد حسن الزيات ، والدكتور أحمد زكي ، لإعداد أعمال المؤتمر في هذه الدورة .

وقد عرضت اللجنة مقترحاتها على المجلس فناقشها ووافق على القرارات الآتية :

أولاً - تعقد أولى جلسات المؤتمر في يوم الاثنين ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

ثانياً - حفلة الافتتاح :

(١) كلمة رئيس المجمع .

(٢) كلمة وزير المعارف .

(٣) كلمة كاتب سر المجمع .

(٤) محاضرة للأستاذ أحمد حسن الزيات أو

محاضرة للدكتور أحمد أمين عن جمع اللغة العربية من القبائل .

(٥) كلمة للأستاذ عبد القادر المغربي .

(٦) كلمة لأحد الأعضاء المستشرقين

(الأساتذة جب أو ليمان أو ماسينيون) .

ثالثاً - أعمال المؤتمر :

(١) عرض المصطلحات التي أقرها المجمع

في الدورة الماضية أو الدورات السابقة ولم تنظر في المؤتمر .

(٢) عرض مواد من معجم ألفاظ القرآن الكريم .

(٣) بحوث لحضرات الأعضاء :

أ - الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة

العامة المصرية للدكتور عبد الوهاب عزام .

ب - ضبط الكتابة العربية للأستاذ محمود تيمور .

ج - نموذج من تكوين المصطلح الفلسفي للدكتور إبراهيم بيومي مذكور .

د - بحوث أخرى تتصل بأغراض المجمع وأهدافه يلقيها كل من حضرات : الأستاذ إبراهيم مصطفى ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ مصطفى نظيف ، والشيخ محمود شلتوت ، والأستاذ محمد رضا الشبيبي ، والأستاذ ل. ماسينيون . ويختارون موضوعاتها .

هـ - بحوث أخرى لمن يشاء من حضرات الأعضاء على أن يتقدموا إلى لجنة تنظيم أعمال المؤتمر بأبحاثهم قبل جلسة الافتتاح بوقت كاف ليتسنى وضعها في منهاج أعمال المؤتمر .

رابعاً - يكتب لحضرات الأعضاء المراسلين بأن يبلغوا المجمع مقترحاتهم العلمية وأبحاثهم لعرضها على المؤتمر في هذه الدورة (١) .

ونظر المؤتمر بعد ذلك في قرارات المجلس وماجد من مقترحات الأعضاء ، فأقر منهاج الآتي (٢) :

(١) الجلسة الرابعة للمجلس (٢٣ من أكتوبر ١٩٥٠)
(٢) الجلسان الثانية والرابعة للمؤتمر (٣١ و٢٥ من ديسمبر ١٩٥٠) .

(١) الجلسة الأولى للمجلس (٢ من أكتوبر ١٩٥٠) .

(١) أثر اللغة البربرية في عربية المغرب .
الأستاذ شارل كوينتس (خبير لجنة اللهجات)
(٢) بحث في (أى) وتوجيه قولهم (لم
يصدر عنى أى تصريح) .
(٣) الشواهد على توم زيادة الحرف
الأصلي .
لفضيلة الشيخ عبد القادر المغربي .

الجلسة الثامنة (الاثنين ١٥ - ١ - ١٩٥١):
(١) مصطلحات علم الرياضة التي أقرها
المجلس في الدورة السادسة عشرة .
الأستاذ عبد الحميد لطفي (خبير اللجنة) .
(٢) الألفاظ الأيوبية .
السيد محمد رضا الشيبى .

الجلسة التاسعة (الأربعاء ١٨ - ١ - ١٩٥١):
(١) رأى في تحديد العصر الجاهلي .
الأستاذ إبراهيم مصطفى .
(٢) ضبط الكتابة العربية .
الأستاذ محمود تيمور

الجلسة العاشرة (الاثنين ٢٢ - ١ - ١٩٥١):
(١) مصطلحات الفلسفة التي وافق عليها
المجلس .
(٢) مشكلة عدد الأصول الثلاثية في اللغة
العربية وكيفية تحليلها .
الأستاذ ل. ماسينيون .

الجلسة الحادية عشرة (الأربعاء ٢٤ - ١ - ١٩٥١):
(١) نموذج من تكوين المصطلح الفلسفى .
الدكتور إبراهيم بنوى مذكور .
(٢) عرض قرارات المجلس في شأن معجم
الدكتور فيشر .

الجلسة الأولى (الاثنين ١٨ - ١٢ - ١٩٥٠)
الافتتاح .

الجلسة الثانية (الاثنين ٢٥ - ١٢ - ١٩٥٠):
مصطلحات علم النبات التي أقرها المجلس .
الدكتور عبد الحليم منتصر (خبير اللجنة) .

الجلسة الثالثة (الأربعاء ٢٧ - ١٢ - ١٩٥٠)
(١) كلمات عربية بين الحقيقة والحجاز .
الأستاذ عباس محمود العقاد .
(٢) بحث في الارتجال في ألفاظ اللغة العربية
(لجنة الأصول) .
الدكتور إبراهيم أنيس (خبير اللجنة) .

الجلسة الرابعة (الاثنين ١ - ١ - ١٩٥١):
مصطلحات القانون الدولى العام التي نظرها
المجلس .
الدكتور حامد سلطان (خبير اللجنة) .

الجلسة الخامسة (الأربعاء ٣ - ١ - ١٩٥١):
(١) الصفات الجارية مجرى أسماء الأعيان
في كلام العرب والمعاجم .
فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين .
(٢) خواطر في اللغة .
الأستاذ خليل السكاكيني .

الجلسة السادسة (الاثنين ٨ - ١ - ١٩٥١):
(١) مواد معجم ألفاظ القرآن الكريم .
(٢) بحث في فعل (ألغم) واقترح بصحة
(ملغم) .
فضيلة الشيخ عبد القادر المغربي .

الجلسة السابعة (الأربعاء ١٠ - ١ - ١٩٥١):

حضرة الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية المحترم .

بعد التحية - نرسل إلى سيادتكم صورة من مذكرة سكرتير المجمع العلمي بشأن التعاون بين المجمع العلمية ونسخة من القرار الذي اتخذته المجمع العلمي العراقي بهذا الشأن . راجين درس الاقتراح المذكور وموافقتنا برأي مجمع اللغة العربية الموقر بخصوص أنجع طريقة تتبع للتعاون بين المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية ، والمجمع العلمي العربي بدمشق . وبهذه المناسبة نرجو التفضل بتزويدنا بخطط المجمع ، ومنهاج عمله لسنة ١٩٥١ ، وما سيتخذ من مقررات ، ونسخة من النظم التي يضعها ، والكتب والرسائل التي يطبعها وغير ذلك مما يعود إلى أعمال المجمع . هذا ، وتقبلوا في الختام فائق الاحلال والاحترام .

رئيس المجمع العلمي العراقي
(امضاء)

وبعد مناقشة في وسائل التعاون بين المجمع الثلاثة وطرقه ، وافق المجلس على القرار الآتي :

« يرسل إلى المجمع العلمي العراقي نسخة من مطبوعات المجمع جميعها ، ومنهاج عمله ، ومحاضر جلساته في سنة ١٩٥١ (١) » .

(٤) تأليف لجنة لتنظيم الجزازات : وافق المؤتمر بعد أن استمع إلى بحث للأستاذ ل. ماسينيون عن « مشكلة عدد

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢) من أبريل

(١٩٥١) .

الجلسة الثانية عشرة (الأحد ٢٨-١-١٩٥١) :

- (١) مقترحات حضرات أعضاء المجمع .
- (٢) مقترحات حضرات الأعضاء المراسلين
- (٣) تلخيص أعمال المؤتمر - والقرارات .
- (٤) برنامج المؤتمر القادم .

(٢) موعد انعقاد المؤتمر التالي ومنهاج أعماله :

تقرر أن يعقد مؤتمر الدورة الثامنة عشرة في النصف الثاني من ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ووفق على المنهج الإجمالي لأعماله (١) وهو كما يلي :

- ١ - نظر المصطلحات التي أقرها المجلس في الدورة السابعة عشرة .
- ٢ - عرض نماذج من المعاجم المختلفة .
- ٣ - عرض نتيجة مقترحات تيسير الكتابة العربية .

٤ - إلقاء بحوث ومحاضرات تتصل بأغراض المجمع وأهدافه .

٥ - نظر المقترحات التي يتقدم بها حضرات الأعضاء العاملين والمراسلين .

(٣) التعاون بين المجمع والمجامع اللغوية في البلاد العربية الأخرى :

ورد المجمع كتاب من المجمع العلمي العراقي في شأن التعاون بينهما وبين المجمع العلمي العربي بدمشق ، فعرض على المجلس ، وهذا نصه :

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢٨) من يناير

(١٩٥١) .

الأصول الثلاثية في اللغة العربية وكيفية تحليلها» على تأليف لجنة لتنظيم الجزازات في المجمع ، من الأساتذة : ابراهيم بيوى مذكور ، وإبراهيم مصطفى ، واحمد أمين ، ول. ماسينيون (١) .

(٥) تأليف لجنة خاصة للنظر في مقترحات تيسير الكتابة :

بعد أن تناقش المؤتمر في بحث للأستاذ محمود تيمور حول « ضبط الكتابة العربية » وعرض للخطوات التي مرت بها مسابقة تيسير الكتابة العربية ، وافق على تأليف لجنة خاصة لبحث مقترحات تيسير الكتابة العربية من السادة أعضاء المجمع : الشيخ إبراهيم حمروش ، والدكتور إبراهيم مذكور ، والأستاذ إبراهيم مصطفى ، والأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد العوامري ، والأستاذ زكي المهندس ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ، والأستاذ محمود تيمور (٢) .

(٦) تأليف لجنة للمصطلحات الجيولوجية :

عرض على مجلس المجمع كتاب من الدكتور إبراهيم عبد القادر محمد فرج أستاذ الجيولوجيا المساعد بكلية العلوم بجامعة القاهرة ، يقول

فيه : إنه قام بوضع ألفاظ عربية لقسم كبير من مصطلحات علم الجيولوجيا ، وإنه ينقصه اعتمادها من هيئة لغوية ، ويرجو من المجمع النظر فيها ، ويبدى استعدادة لعرض الجزء الذي أعده على هيئة المجمع في أى وقت تشاء. وقد وافق المجلس على تأليف لجنة من العضوين المحترمين ، الدكتور منصور فهمي ، والدكتور أحمد عمار ، يضم إليهما الدكتور إبراهيم عبد القادر محمد فرج والدكتور محمد إبراهيم فارس خيرين ، للنظر في المصطلحات الجيولوجية المشار إليها ، على أن تكون هذه اللجنة مؤقتة ينتهي عملها بانتهاء هذه المصطلحات (١) .

(٧) اشتراك العضوين الجديدين : الأستاذ عبد الحميد العبادي والدكتور أحمد عمار في لجان المجمع :

ووفق على أن ينضم الأستاذ عبد الحميد العبادي إلى لجنتي المعجم الوسيط والمصطلحات الجغرافية والتاريخية ، وأن ينضم الدكتور أحمد عمار إلى لجنتي الطب وألفاظ الحضارة الحديثة (٢) .

(٨) تحويل المصطلحات الرمزية التي وضعها الدكتور فريد مسعود إلى لجنة الطب

عرض على المجلس كتاب من الدكتور فريد مسعود المتخصص في أمراض العيون ، ومدير

(١) الجلسة العاشرة للمؤتمر (٢٢ من يناير ١٩٥١) . إنظر نس البحث في هذا الجزء .

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٢٤ من يناير ١٩٥١) . ونس البحث في هذا الجزء .

(١) الجلسة الرابعة والعشرين للمجلس (٢١ من مايو ١٩٥١)

(٢) الجلسة الرابعة والعشرين للمجلس (٢١ من مايو ١٩٥١)

وافق المجلس على أن يقوم الدكتور منصور فهمي والدكتور إبراهيم بيومي مدكور بتمثيله في هذا المهرجان (١).

(١١) المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥٢ و ١٩٥٣ :

عرضت لجنة الأدب على المجلس قراراتها في شأن موضوعات المسابقة الأدبية وشروطها لسنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، فوافق عليها في صورة الإعلان الآتي نصه :

اعلان من مسابقات مجمع اللغة العربية لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣

قرر مجمع اللغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو الآتي :-
أولاً : تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم :-

(١) ١ - أحسن ديوان شعري لا يقل عن ألف بيت ..

٢ - أحسن قصة تتناول بعض المشاكل الاجتماعية في العصر الحاضر بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) أحسن بحث مستوفى مبتكر يسير على المنهج العلمي الحديث في :

(١) الجلسة الخامسة والعشرون للمجلس (٢٨ من مايو ١٩٥١) .

الأبحاث بوزارة المعارف يقول فيه : إنه يقوم منذ سنوات بتعريب ما ينشر في المجلات الأجنبية من البحوث الطبية المتعلقة بالعين وأمراضها ، وأمراض الجسم المتصلة بها ، وأرفق بكتابه مصطلحات يقول إنه عربها بما يتفق مع المعنى المقصود منها في اللغات الأجنبية إذ رأى ترجمة المجمع لها لا تؤدي هذا الغرض في بعض الأحيان ، ويلتبس بها المعنى في أحيان أخرى .

وقد وافق المجلس على إحالة هذه المصطلحات إلى لجنة الطب لدرسها (١).

(٩) تمثيل المجمع في المؤتمر الطبي العربي العشرين :

تلقى المجمع دعوة من الجمعية الطبية المصرية لاختيار ممثل له في المؤتمر العربي العشرين الذي تقرر عقده في مصيف « ظهور الشوير » بלבنا في المدة من ٤ إلى ٨ يولية سنة ١٩٥١ ، وقد وافق المجلس على اختيار الدكتور منصور فهمي نائباً عنه في هذا المؤتمر . (٢)

(١٠) تمثيل المجمع في العيد الألفى لابن سينا :

ورد المجمع كتاب من اللجنة الثقافية بالجامعة العربية لاختيار مندوبين عنه في المهرجان الألفى لابن سينا ، الذي تقرر أن يقام في بغداد ثم في طهران في شهر مارس سنة ١٩٥٢ . وقد

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢ من ابريل ١٩٥١) .

(٢) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (٢١ من مايو ١٩٥١) .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازته المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة أخرى أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

وسيحفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع اللغة العربية بشارع قصر العيني رقم ١١٠ القاهرة (١)

(١٢) انتخاب رئيس المجمع :

أجرى انتخاب رئيس المجمع طبقاً للمادة الخامسة من المرسوم المعدل لرسوم إنشاء المجمع ، والمادة الخامسة عشرة من اللائحة ، فأُسفر الانتخاب عن فوز السادة الآتية أسماءهم بأكثر الأصوات :

الأستاذ أحمد لطفي السيد : نال اثنين وعشرين صوتاً ،

الدكتور عبد الحميد بدوي : نال أحد عشر صوتاً ،

الأستاذ علي عبد الرازق : نال ثمانية أصوات .

وتقرر إبلاغ هذه النتيجة إلى وزير المعارف لتعيين الرئيس من بينهم وفقاً لأحكام المرسوم (١) .

١ - السيد محمد مرتضى الزبيدي .

٢ - تميم بن المعز الخليفة الفاطمي المصري . على ألا يقل عدد صفحات كل من هذين الباحثين عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن مائة وثمانين كلمة .

(ج) أحسن تحقيق علمي على النقط الحديث لكتاب عربي قديم قيم في اللغة أو الأدب لم ينشر من قبل ، على أن تقدم له مقدمة علمية في قيمة الكتاب والتعريف بمؤلفه ونسخه التي روجعت الخ .

ثانياً : تخصص لأدباء البلاد العربية عامة جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يقدم أحسن بحث في النقد الأدبي في القرن العشرين على ألا يقل عدد صفحات هذا البحث عن ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ويشترط في مسابقة تحقيق كتاب قديم ألا يكون قد نشر من قبل .

ويشترط في غيره من الموضوعات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٧ .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عناواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

(١) الجلسة الثامنة للمؤتمر (١٥) من يناير (١٩٥١) وقد صدر المرسوم بتعيين الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيساً للمجمع في ٢٩ يناير ١٩٥١ .

شرف ، وترشيح الدكتور أحمد عمار للمكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني . وتقرر تأجيل الانتخاب للكرسي الثالث (١) .

(١) الجلسة السادسة عشرة للمجلس (١٩ من مارس ١٩٥١) وقد صدر مرسوم تعيين الأستاذ عبد الحميد العبادي والدكتور أحمد عمار في ٢٣ أبريل ١٩٥١ ، واستقبلا في ١٤ مايو ١٩٥١ .

(١٣) انتخاب عضوين عاملين :

أجرى الانتخاب لشغل الكراسي التي نلت في المجمع بوفاة أعضائه العاملين المرحومين : الدكتور محمد شرف ، والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، والأستاذ أحمد حافظ عوض . وقد أسفرت عملية الانتخاب عن ترشيح الأستاذ عبد الحميد العبادي للمكان الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور محمد

معجم فيشر

وماتم منها لم يرتب ، والكتب التي روجعت وجمعت منها المواد لم يتبين ماقري منها ، وما بقي بلا قاعة ، فالعمل مع ماتم منه لم يزل في حاجة إلى جهد عظيم ليس من اليسير تحقيقه وتنظيمه بعد كارثة المعجم بوفاة الدكتور فيشر ، وكان أساس النظام في إتمام هذا العمل .

وقد كان رحمه الله حريصاً على ألا تخرج صفحة من هذا المعجم إلا بمراجعته وإقراره ، فليس في استطاعتنا أن ننشره قبل إتمامه وعلى غير مارسيمه مؤلفه .

وإن الوسيلة التي يحفظ بها هذا الأثر وينتفع به ، ويسجل للمرحوم الدكتور فيشر مجهوده العلمي :

أولاً - ترتيب الجزازات الموجودة في المعجم .

ثانياً - السعي لاسترداد الجزازات الناقصة والتي اصطحبها الدكتور معه إلى أوروبا .

ثالثاً - أن تنسخ هذه الجزازات بعد ترتيبها وتدون في كتاب جامع ليقي محفوظاً للرجوع إليه والانتفاع بشئ منه .

رابعاً - وعلى سبيل الاحتفاظ بقدر الإمكان بآثار الدكتور فيشر تشير اللجنة بأن تنشر المقدمة التي راجعها والجزء الذي راجعه في مجلة المعجم .

وتقدر اللجنة أن هذا العمل الذي أشارت به من ترتيب الجزازات ومن تدوين ما فيها ، يمكن أن يتم في نحو سنتين إذا كلفه خمسة من الموظفين القادرين على هذا العمل .

وافق مجلس المجمع على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ إبراهيم مصطفى ، والأستاذ أحمد العوامري ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، لمراجعة المقدمة والمواد التي أعدت للطبع من معجم المرحوم الدكتور فيشر ، والاطلاع على صناديق الجزازات المحفوظة بالمجمع ، على أن تقدم اللجنة إلى المجلس تقريراً بما تراه في شأن هذا المعجم (١) .

وقد قدمت اللجنة تقريرها ، وهذا نصه :

قرارات لجنة فحص جزازات

الدكتور فيشر

استجابة لقرار المجمع بجلسته في تاريخ ١٥ - ٥ - ١٩٥٠ ، اجتمع كل من الأساتذة أحمد العوامري ، عباس العقاد ، إبراهيم مصطفى ، ونظروا في الصناديق التي حفظت فيها الجزازات المعدة لعمل المعجم التاريخي الذي كان يقوم به المرحوم الدكتور فيشر .

وقد كان من أكبر أمانى اللجنة أن ترى وسيلة لإتمام هذا العمل العلمي العظيم . فان إعداد معجم تاريخي من أول أغراض المجمع . وإن جهد الدكتور فيشر طول حياته في إعداد هذا المعجم جدير أن يسجل وألا يضيع شئ منه ، ومع هذه الرغبة القوية في التماس الوسائل لإتمام هذا المعجم تأسف اللجنة إذ ترى استحالة تحقيق هذا الغرض الآن لأن الجزازات لم تتم ،

(١) الدورة السادسة عشرة : الجلسة السادسة والعشرون للمجلس (١٥ من مايو ١٩٥٠) .

سادساً : ينظر مكتب المجمع في تعيين خمسة من الموظفين لترتيب هذه الجزازات وتدوينها ، على أن يتم هذا العمل في نحو سنتين كما قدرت اللجنة (١) .

وبدئ في تنفيذ هذه القرارات بترتيب الجزازات المحفوظة في الصناديق وترقيمها ، ونسخ ما يتم ترتيبه منها ليدون في كتاب ، ثم عرضت قرارات المجلس على المؤتمر في الدورة السابعة عشرة ، مع نماذج من الصفحات المنسوخة ، فوافق المؤتمر على قرارات المجلس وعلى الطريقة التي تتبعها اللجنة في ترتيب الجزازات وتسجيلها (٢) .

(١) الدورة السادسة عشرة : الجلسة السابعة والمشرور للمجلس (٢٢ من مايو ١٩٥٠) .
(٢) الدورة السابعة عشرة : الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٢٤ من يناير ١٩٥١) .

وقد انتهى المجلس من مناقشة هذا التقرير إلى القرارات الآتية :

أولاً : ترتيب الجزازات الموجودة في المجمع .

ثانياً : السعى لاسترداد الجزازات الناقصة والتي اصطحبها الدكتور فيشر معه إلى أوروبا .
ثالثاً : أن ننسخ هذه الجزازات بعد ترتيبها وتدون في كتاب جامع ليبقى محفوظاً للرجوع إليه والانتفاع بشئ منه .

رابعاً : وعلى سبيل الاحتفاظ بقدر الإمكان بآثار الدكتور فيشر تنشر المقدمة التي راجعها والجزء الذي راجعه في مجلة المجمع وتطبع منهما مجموعات خاصة توزع على الهيئات .

خامساً : تعرض هذه القرارات مع تقرير اللجنة على المؤتمر في دورته القادمة .

جوائز المجمع الأدبية لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١

(ب) البحوث الأدبية واللغوية :

قررت اللجنة أن يمنح الأستاذ سليمان محمد سليمان الجائزة الأولى للبحوث الأدبية واللغوية وقدرها ٢٠٠ جنيه عن بحثه « العامية في ثياب الفصحى » .

وأن يمنح الأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهرى ١٠٠ جنيه عن كتابة « الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي » ، لما بذل فيه من جهد في محاولة توضيح موضوع غامض .

وقد أقيم حفل على إعلان هذه النتيجة وتقديم الجوائز للفائزين في مساء يوم الخميس ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ هـ . (الموافق ٢٢ من مارس سنة ١٩٥١ م) . شهده عدد من أعضاء المجمع وجمهور من المعنيين بالحركة الأدبية .

واشتمل الحفل على كلمة ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات عن الشعراء المجازين ، وكلمة أخرى ألقاها الأستاذ إبراهيم مصطفى عن الأبحاث المجازة ، ثم تلا المراقب الإدارى للمجمع قرارات اللجنة وانتهى الحفل .

وفيما يلي نص الكلمتين اللتين ألقاهما الأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ إبراهيم مصطفى .

وافق مجلس المجمع في جلسته الثالثة عشرة (١) على تقرير لجنة الأدب عن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ . وهذا نصه :

انتهى الميعاد المحدد لقبول الإنتاج الأدبي في أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ م ، فأخذت لجنة الأدب تتابع دراسة كل ما قدم إليها من القصص وعددها ست ، والدواوين الشعرية وعددها عشرة ، وما قدم للمسابقة عن ترجمة ابن سينا وهو بحث واحد ، والبحوث الأدبية وعددها أربعة .

وقد عقدت اللجنة عدة جلسات ، ثم انتهت في جلستها الختامية المنعقدة في ١٩ - ٢ - ١٩٥١ م إلى البت في المسابقات الأدبية بالاقتصار على منح الجوائز الآتية للمتسابقين المذكورة أسماؤهم بعد :

(١) الشعر :

١ - قررت اللجنة أن يمنح الأستاذ كمال النجمى الجائزة الأولى للشعر ، وقدرها ٢٠٠ جنيه عن ديوانه « الأنداء المحترقة » .

٢ - وأن يمنح الأستاذ محمود محمد صادق ١٠٠ جنيه عن مجموعة شعره المقدمة للمسابقة والأستاذ فريد عين شوكة ١٠٠ جنيه عن ديوانه « وحي الشباب » .

كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات

عن الشعراء المجازين

وفتح عينا في الدنا فاذا بها
مضى مجده منها وولى تليده
وأغرى به أهل الطاعة أنهم
غزوه فلم تزار عليهم أسوده
فنادى بنيه الفرهبوا فأوفضت
جحاحجه المستقلون وصيده
أهاب بشطريه فلباه بيضه
سيوفاً جرى فيها المضاء وسوده

وسمعت الثاني يقول :

أبناء مصر ضنيت مما اکتوى
لا الصبر في طوق ولا إجماله
برح الخفاء فما النقاب بمسدل
كلا ولا من حكمة إسداله
أدواء مصر أقلها قتالها
فزن المصير ولايفتك وباله
الطير تلهم قبل عصف رياحها
والقطر ينبي إن دنا مطاله
وعجيب قومي أن أنو بنصحهم
والنصح أدمى مادهم إهماله
عزت هدايتهم على بموطن
المرء فيه جاهه أو ماله
لا أصغراه قلبه ولسانه
بل أكبراه عمه أو خاله

وسمعت الثالث يقول :

قد صحنونا اليوم من طول المهجوع
ونفضنا النوم عنا والكري

أعلن المجمع في العام الماضي عن مسابقة في
الانتاج الأدبي شملت الشعر والقصة والبحث
فتقدم إلى حلبة القريض منها عشرة من شعراء
الشباب ، أمتعوا بلجنة الأدب حيناً من الزمن
بأغاريد متسقة الوزن منسجمة اللحن صافية
الرين ، ولكن في بعضها التوقيع المتنوع وفي
بعضها الترجيع المتجانس ، فاستمعت اللجنة
إلى الأصوات جميعاً ، ثم أرهفت أسماعها
لثلاثة من هؤلاء الشعراء رأت أنهم خرجوا
من فناء العش إلى فضاء الأفق ، وجاوزوا
طور الزقزقة إلى طور الشدو ، فسمعت
الأول يقول :

دهى النيل ليل فاستطال هجوده
وأورث جنبيه كلالا رقوده
بسائنه باتت نواعس حوله
وأغفت بها أطياره ووروده
فلا ساجعات الأيك فيها صوادح
ولا الورد ذو النفع ريان عوده
ولا النبت مطراف على الأرض سابغ
قشيب ولا صوب الربيع يجوده
ولا الصبح طلق الوجه نضر ولا الضحى
ضحوك السنا ضاحي الحياسعيده
ولا النيل تأتبه إذا نصل الدجا
صباياه يملأن الجرار وغيسده

...

فلما دجا ليل الخطوب توثبت
تهائم واديه وهبت نجموده

بعد ما أصبح وادينا المنيع
مرتعا يرعى به كل الورى
وحسنا الستر عن أبصارنا
لنرى الدنيا وما صارت إليه
فاذا المجد الذى كان لنا
قد طواه الناس واستعلوا عليه
وإذا من كان غفلا فى الشرى
قد سما بين الورى وارتفعا
وتوانينا فعندنا القهقرى
وخسنا اليوم والأمس معا
فارتقب يا نبيل إنا سنعيد
مامضى من ثالد المجد وغاب
واهتنى يامصر بالماضى المجيد
فغدا يحيا على عزم الشباب
نحن أبناء الفراعين الألى
ملكوا الدنيا وشادوا الهرما
وعلوا بالمجد آفاق العلا
وتخطوا فى الخلود الأبا
وسليل المجد لا يرضى الصغار
أو يطيق الضيم يطغى فى حماه
وإذا ما هاجه الظلم فثار
هانت الدنيا عليه والحياه

ثلاثة أصوات تتفق فى الموضع والغاية ،
وتختلف فى الشكل والطريقة : شعر الأول
جزل اللفظ فخم العبارة محكم السرد ، يجرى
أكثره فى البحور الطويلة ، يؤثر لغة الأوائل
فيذكر التهاشم والنجد والجحاجح والصيد .
وشعر الثانى والثالث مأنوس الكلم سلس
الأسلوب ، متنوع القوافي ، حتى يسبق إلى
ظن المقارن أن هناك مذهبين للتعبير قديماً

اتبعه صاحب « الأنداء المحترقة » ، وجديداً
اتبعه أخواه صاحب « أدب الثورات القومية »
وصاحب « وحى الشباب » ، وهى الدواوين
الثلاثة التى أجزت . فهل فى تاريخ الشعر
العربى ما يسوغ هذا الظن ؟ الواقع أن ليس
للقديم والجديد فى الأدب العربى ما لها من
الدلالة فى الآداب العالمية الأخرى . قديم
الفرنسية أو الانجليزية مثلاً قد استحال أو
اندرس ، فلا يستعمل اليوم ، وإذا استعمل
لا يفهم ، وإذا فهم لا يقبل ، لأن هاتين اللغتين
تطورتا مع الزمن تطوراً شديداً حتى اتسع
الحلاف بين حاضرهما وماضيهما فى النطق
والنحو والبيان . ثم تغيرت عقلية قوميهما
بتقدم العلوم وارتقاء الحضارة فتغيرت
الأساليب واختلفت طبيعة أدبيهما لاتصالهما
بحياة الناس عن طريق القصص والتمثيل
فاختلفت المذاهب . أما قديم العربية فهو
جديد أبداً ، وأما جديدها فهو قديم أبداً .
لانجد فرقاً جوهرياً بين أساليب القرن العشرين
وأساليب القرن السابع : الألفاظ هى الألفاظ
والنسيج هو النسيج ، والإعراب هو الإعراب .
فما يمتعنا من خطب زياد وسحبان وشيب ،
هو ما يمتعنا من خطب النديم ومصطفى كامل
وسعد زغلول . وما يعجبنا من نثر الجاحظ
وأبى حيان والبديع ، هو ما يعجبنا من نثر
المازنى والمنفلوطى والمويلحى . وما يطرنا من
شعر البحرى وأبى فراس والمتنبى ، هو
ما يطرنا من شعر البارودى وشوقى وحافظ ،
كأنما نشأ هؤلاء جميعاً فى عصر واحد وشبوا
على ثقافة واحدة ، ولعل تعليل ذلك أن الشعر
الجاهلى بأصالة ، والقرآن الكريم ببلاغته ،

على اللفظ الجزل والركيك ، والأسلوب الصنيق والمهلل ، والمعنى المسروق والمطروق والمطلع الجيد والردئ ، والتخلص الحسن والتقيح. وعذرهم في ذلك أن الشعراء ، لأسباب فطرية واجتماعية ، لم يقدموا إليهم إلا نوعاً واحداً من الشعر هو ما يتصل بالوجدان والعاطفة ، فكان النقاد أمام وحدة الشعر العربي ونقصه ، مسوقين إلى أن يقصروا جهودهم على لفظه . فلو أن الشعراء ألهموا أن ينظموا في القصص الحكائي والتمثيلي ، لاختلّفوا في الموضوع وما يصدر عنه من أغراض ، وفي اليبوع وما يؤدي إليه من مسالك ، كما اختلف فيهما الشعراء الفرنسيون فظهر في أدبهم الاتباعية والابتداعية والواقعية والرمزية وغيرها من المذاهب المقبولة والمرذولة . ولم يسمع التاريخ فيما سمع أن العرب اختلفوا يوم تركوا علبة الخشب إلى زق الجلد وكوز الفخار وقدر الزجاج وجام الفضة ، لأن الموضوع وهو الماء أو اللبن لم يتغير بتغير الآنية ، ولكنه سمع أن الخلاف حدث وأن الرأي تشعب حين تغير الشراب من اللبن إلى الخمر . فالقول بأن في الشعر العربي قديماً وجديداً وهو لا يزال واحداً في لغته وطريقته ونوعه ووزنه قول مدفوع بالواقع ، ولقد صدق شوقي إذ يقول :

ما فيه عصري ولا دارس
الدهر عمر للقريض الأصيل

* * *

على هذا الوجه أيها السادة نظرت لجنة الأدب بالمجمع في أشعار الثلاثة السابقين ، فرأت الشاعر كمالاً النجمي صاحب « الأنداء

والدين الإسلامي بثقافته ، هي العناصر التي يتألف منها المثال الفني الذي يحتضنه الكاتب والشاعر ، فما تفرق متفرق إلا اجتمع عليه ، وما تباعد متباعد إلا رجع إليه . فالشعر الجاهلي أقام عمود الشعر ، والنثر القرآني أقر أسلوب الكتابة ، والأدب الديني طبع الفكر العربي بطابع الرزانة والهدوء والسلفية ، فهو لا ينفك يستهدي الوحي ، ويسترشد السنة ، ويستهل الطفرة ، ويستريب البدعة ، ويصنع نتائج القرائح المختلفة في الزمان والمكان بلون من التصور والتصوير لا يكاد يختلف ولا يتغير فلو أن الزمان تأخر بالمتنبي ألف سنة لكان من الممكن أن يكون شاعر الحديو عباس . ولو أنه تقدم بشوقي ألف سنة لكان من الجائز أن يكون شاعر سيف الدولة . وما نظن المصريين كانوا يقولون إن شعر المتنبي قديم ، ولا الحلبيين كانوا يقولون إن شعر شوقي جديد .

إنما كان الاختلاف بين شاعر وشاعر ، أو بين عصر وعصر ، في الصور التي تلهمها البيئة والثقافة والحضارة ، وفي الألفاظ التي تقرب أو تبعد عن لغة الجمهور ومألوف المجتمع . فبعض الشعراء يغترفون من قاموس المكتبة ولغة القرآن ، وبعضهم يرتشفون من قاموس الجيب ولغة الصحف . والاختلاف على هذا النحو اختلاف في الشكل . والشكل حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية . يتغير بتغير المكان والزمان والحالة ، وما كان لأحد أن يختلف أو يختصم فيما لاحيلة فيه . ولكن النقاد الأقدمين جعلوا من اختلاف هذه الأشكال معركة بين القديم والجديد . أداروها

المحترقة ، يأتي في الحلبة مجلياً لفخامة ألفاظه ورصانة أسلوبه ومتانة قوافيه ووضوح معانيه وقلة سقطه ونذرة خطئه ، وهي الصفات الفنية الجوهرية التي يطمع المجمع في أن تشيع في شعر الشباب . لذلك خصه بالجائزة الأولى . والأستاذ النجمي يقول إنه من قبيلة أولاد نجم من عرب الصعيد ، وإن أباه كان من رجال الدين واللغة والشعر فوجهه هذا التوجيه الأدبي الخالص ، وأبى عليه أن يستقي ثقافته الأدبية من غير مشارعها الصافية الأولى ، فحفظ القرآن الكريم ، وقرأ كتابي الأغاني والعقد الفريد ، ودرس ديواني البحري والمنتجب ، وفي هذه البيئة وتلك النشأة تجد تحليل الجزالة والسلامة اللتين تميز بهما شعره ، على الرغم من وقوفه في الدراسة عند حدود المرحلة الثانوية . وقد أخذ ينظم ديوانه الحجاز وهو في الثامنة عشرة من عمره ، ثم أتمه وقد نيف على الثامنة والعشرين . وشعر الديوان وجداني محض ، استمدته الشاعر من طبعه ، ونقله عن قلبه ، وعبر به عن شعوره ، فليس للقصد والتمثيل منه نصيب . وقد طغى فيه حديث الشاعر عن نفسه : على حديثه عن غيره ، فقل في السياسة والوطنية والاجتماع ، وكثر في الحب والشوق والحزن والذكرى والألم والحزن . وأفكاره وصوره وأخيلته في كل أولئك جيدة ، ولكنها في الوصف والشكوى والثناء أجود .

•••

ثم رأت اللجنة على مسافة قريبة من الشاعر المجلي . شاعرين يعدوان جنباً إلى جنب وقد

كادا يبلغان الأمد ، أحدهما الأستاذ محمود محمد صادق صاحب « أدب الثورات القومية » والآخر الأستاذ فريد عين شوكة صاحب « وحي الشباب » ، فالشاعر محمود صادق ولد بالقاهرة في العام الأول من هذا القرن ، ثم تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ ، وكان من الطلاب الأولين الذين أوضاعوا خلال الثورة المصرية المباركة ، يؤثرون نارها بالخطب ، ويسعون أوارها بالشعر ، ويرفعون صوتها بالتظاهر ، فنظم فيها ديواناً نشره في سنة ١٩٢٣ ، وكان وهو في سن اليقظة يقول الشعر من غير علم بأوزانه ، ولا معرفة بقواعده . وقد علل ذلك بعض من كتبوا عنه بخلوص العروبة في دمه ، لأن لوالديه نسباً في بني العباس . وبهذه الروح الثورية المشبوبة نظم النشيد الوطني في سنة ١٩٣٦ ونال عليه الجائزة الأولى . ثم اتجه شعوره إلى العروبة والإسلام حين تجددت في فلسطين مأساة الأندلس ، فوضع للعرب نشيداً ونظم في كارتهم مطولة . ولم نكد نقرأ له في غير الأحداث المصرية والعربية شيئاً . الشاعر قوى الشاعرية عصبي الأسلوب حماسي العاطفة نبيل الغرض ، ولكن قيثارته كربابة الشاعر الشعبي ترسل الأنغام من وتر واحد ، وذلك مابطاً به عن الغاية . والأستاذ صادق يسمى قصائده المطولات التي قالها في الثورة المصرية وفي الكارثة الفلسطينية « ملاحم » . وهذه التسمية من الوجهة الفنية خطأ ، لأن القصيدة لا يكفيها أن تكون حماسية الموضوع ضافية الطول لتكون ملحمة ، إنما الملحمة مصطلح وضع في الأدب الحديث ليقابل لفظ (إبويه) في الأدب الأوربي . وهي بهذا

والمطبوعون يمارسون فوق ذلك تنمية أدبها بالكتابة ، وتجديد بيانها بالشعر . ومن هذا الفريق الأستاذ فريد ، قال الشعر في سن باكرة ، ووجد من طبيعة نفسه ومن طبيعة درسه ما يعين عليه ، فصاغه صياغة حسنة جرى عليها رونق الطبع فهي سلسلة ، وأثرت فيها صنعة المعلم فهي صحيحة ، وانفعلت مشاعره وخواطره بالنفس والبيئة والطبيعة والمهنة والعقيدة ، فتنفى بالشباب والحب ، ونظم في التعليم والمدرسة ، وأشاد بالنيل والريف ، وقال في الإسلام والعروبة ، قد تميز على صاحبيه بمعالجة الشعر التمثيلي وهو أكمل أنواع الشعر الثلاثة ، لأنه جماعها بما يشتمل عليه من حرارة الوجدان في وصف المواقف ، وجاذبية القصص في سرد الحوادث وبراعة الحوار في تمثيل الوقائع .

هذان الشاعران اللذان جاءا في الحلقة مصلين بجريان في عنان ، لانفراد كل منهما بمزية : كانا لقربهما من السابق وبعدهما عن المتخلف موضع تقدير المجمع فدبر لهما جائزة أخرى كالأولى وقسمها بينهما بالسوية .

إن المجمع كما ترون يأسدة يولى شرف سبق في مضمار الشعر من امتاز ببلاغة الأسلوب في جمال صورته وصحة فكرته وشدة أسره : ثم لا يغفل بعد ذلك المعنى المبكر ولا الفن المستحدث ولا الخيال المستطرف ولا الغرض السامي . والشعر على هذا النحو من أرفع الفنون التي يشجع على إنتاجها المجمع ، لأنه أحد النبعين اللذين ينبثقان من روح اللغة فيحملان لموادها النماء ولأساليبها الجدة ولصورها

المعنى لا بد أن تكون قصة ، إما طبيعية تكونت على طول الزمن مما تنوّل وتوورث من الأفاضيص والأغاني حتى تنهى إلى شاعر سمح القريحة طويل النفس فينظمها كما فعل « هوميروس » في الألياذة ، وإما صناعية تنشأ من عمل فرد واحد يخلق مادتها ويصنع صورتها كما فعل « الفردوسي » في الشاهنامه . وقصة الملحمة لا بد أن تنتزع من حياة شعب بأسره لا من حياة شخص بعينه ، وبذلك تخرج من الملاحم القصيدة العمرية لحافظ ، ولا بد أن تقوم على قواعد الفن القصصي في العرض والعقد والحل وبذلك تخرج منها أرجوزة (دول العرب) لشوقي . والمطولات التي سماها الأستاذ صادق ملاحم قد دخلت من عنصر الحكاية وهو الشرط الأساسي لوجود الملحمة وزخرت بمغاني الشعر الوجداني من حماسة وفخر ومدح ورثاء ووصف وشكوى . وما أسعد المجمع يوم يقدم ويكرم ويميز الشاعر الموهوب الذي يكمل نقص الشعر العربي في القصص ، كما كمل شوقي قصه في التمثيل . وفي أحداث الفتوح الإسلامية والحروب الصليبية والمعارك الفلسطينية مواقف للبطل والمروءة والتضحية تنتظر الشاعر العبقري ليجعل منها موضوعاً للملحمة العرب .

وأما الأستاذ فريد عين شوكة فقد ولد في منوف : ثم تخرج في دار العلوم سنة ١٩٣٦ . وزاول تعليم اللغة في مدارس الدولة . وأبناء دار العلوم وإخوانهم أبناء الأزهر هم جنود العربية وحمايتها إما بالطبع وإما بالصنعة . فالمصنوعون يخدمون فقهها ونحوها وصرفها وبلاغتها بالبحث والنقد والشرح والتعليم :

النضارة . والشعر من بعد ذلك خليق بأن
نحتفل له ونحتفي به ونعين عليه ، لأنه موسيقى
المجاهدين في سبيل المجد وحذاء المجاهدين في
ركب الحياة .

والمجمع إذ يؤدي إلى الشعر هذا الواجب
في أشخاص أهله ، يتقدم إلى الثلاثة المجازين

بخالص التهئة ، وإلى السبعة المؤجلين بحميل
المعذرة ، وإلى السادة الحاضرين بحزيريل
الشكر .

ثم ألقى الأستاذ إبراهيم مصطفى الكلمة
الآتية عن المجازين في البحوث الأدبية واللغوية
وهذا هو نصها :

كلمة الأستاذ إبراهيم مصطفى عن الأبحاث

حين أقوم مقامى وأهم بالحديث فيما نذبت
له ، تفهمني ذكرى تلوى بنحو طرى : وتحول
بينى وبين ما أريد من قولى .

هى ذكرى أستاذنا العالم المصلح المرحوم
عبد العزيز فهمى .

كان حجة فى الفقه ، ومرجعاً للفقهاء ،
وكان كاتباً لغوياً باحثاً متعمقاً محققاً ، يصل
إلى أدق الحقائق ويحليها فى أوضح بيان . كان
محدثاً عذب الحديث ، ملهم البديهة ، فاصل
الرأى ، واسع العرفان .

كان مصلحاً مرشداً يعز الحق ويعتز به
ولا يحميد عنه .

كان جنذاً للحق ، وكان الحق له جنداً .
وما بى الآن رثاؤه : وما تستمر كلمتى إلى مقام
تأيينه . ولكن القلب يفيض .

ونحن نتوجه إلى جلال ذكره برهة من
الوقت . صامتين واجبين . وإلى الله تعالى
خاشعين ضارعين . ونبلى فاتحة الكتاب الكريم

ترحموا له واستدراراً لرضوان الله عليه .

وبعد ، وبعد بعد : بل أما بعد ، فان
المجمع يعضى فى سنته من تقدير البحث وتشجيع
الباحثين ، ويرضيه أن يرى الأثر الطيب
لتشجيعه ، فتتقدم إليه البحوث القيمة فى
دراسة اللغة وتاريخها وأدبها .

ولغتنا العربية الواسعة الطيبة لقيت من
السلف ما تستحقه من عناية ودرس .

جمعوا ألفاظها ودونوها فى المعاجم المختلفة
منها ما جمع على نظام اللفظ ، ومنها ما جمع على
نظام المعنى ، ومنها الخاص بموضوع ومنها
العام الشامل . وبحثوا فى الكلمات وأبليتها
وتصرفها وإبدال حروفها وتطورها .

ودرسوا الجملة وتأليفها وصحتها وأوجه
دالاتها ، ونظروا فى جمال القول وبلاغته
وأوجه تأثيره . كل ذلك بلغوا فيه المدى فى
نحو قرن ونصف قرن : من منتصف القرن
الثانى إلى نهاية الثالث . ثم تعطل البحث ،
وانتهى الباحثون ، وبقي العلم نقلاً ورواية ،

ككل الأحياء ، باختلاف المكان ومرور الزمان وتطور الأحوال ، فدرست جغرافية اللغة وتاريخها وصلاتها بغيرها من اللغات .

وكان من واجبتنا أن نسلك هذه الفجاجة الواسعة من مناهج البحث في درس لغتنا ، وأن نمضي فيها الشوط الذي مضاه غيرنا ونزيد . ولكن الحمد للفكرى القديم تلاه تصور خاطئ للغة مثلها كائنات جامداً لا يناله التطور ولا يمسه التغيير ، ونظر إلى اللهجات العامية على أنها لغو ونفاية ، وهى وليدة اللغة الأولى ونتائج تطورها ، ولم تكن من خصائصها وكنه دلالاتها ، وأصول نطقها ، بل إن هذا التطور الذى اعتراها ليجرى على سنن من روح اللغة الأولى ، ودرس خصائص اللهجات وسنن تطورها يكشف عن كثير من أسرار الأولى .

لذلك كانت دراسة اللهجات العامية وبيان ما بينها وبين اللغة العربية من الصلات وما تحمل من البقايا ، درساً للغة العربية نفسها .

وكذلك جاء كتاب « الفصحى في ثياب العامية » الذى قدمه الأستاذ سليمان محمد سليمان ، فكان بحثاً لغوياً قيماً ، كاشفاً عن قدر من خصائص العربية وقوة حياتها وبقائها .

نظر فيما بين العامية والعربية من صلة وقربى فى الألفاظ وفى وسائل الدلالة وفى الكتابة والتشبيه والاستعارة ، وفى أساليب الاستفهام والتأكيد والذكر والحذف ، وفيما يعترى الحروف من إبدال وتسهيل وإسكان وتحريك ودل على أنه ذواق للغة قدير على اكتناه

وترديداً وإحجاماً عن التفكير وتخرجاً منه . بل إن الرواية والنقل لم تشمل إلا القليل ، ولعل هذا القليل ليس أفضل ما ترك المتقدمون ولا أجوده ، فان خير الكتب وأقومها لم يزل مهجوراً محبوساً فى المكاتب أو مخبوءاً حيث لا يدري أين نجى .

وقد كتب لنا - وما أسعدنا بما كتب - أن نجى سنة البحث ، وأن نعود إلى وصل ما انقطع . وهى لنا من وسائل الدرس ومناهجه ومن دقة النشر وتيسره ما لم يهباً للمتقدمين من قبل .

ووجب علينا أن نعود إلى المعاجم فترتيبها ، لتكون أوضح وأدق ، ولتكون الاستفادة منها قريبة ، والمداية بها تامة ، ولتستكمل فيها ما لم يسجل من قبل .

وفى بناء الكلمة ، كان المتقدمون يعتمدون على حسهم وعلى حدسهم فى فقه الحروف ومخارجها وصفاتها . وأثر بعضها فى بعض فالآن أصبح بأيدي الباحثين اللغويين آلات ومعامل ، بها يختبرون الصوت ، ويقيسون النطق ، ويتبينون أثر الحرف فى الحرف .

وكذلك أصبح فى فهم دلالات الكلام ونظم الجمل وفى جمال القول ، نظريات يجب أن تدرس لتعود على اللغة العربية بشرح أسرارها ، كما عادت على غيرها من اللغات .

ودرست اللغة على أنها رابطة الاجتماع ووسيلة التفكير ومظهر للفن والجمال ، وعلى أنها جزء حى باق من الإنسان الحى ، تتأثر

وقد حاول الأستاذ مزروع الأزهرى كشف هذا الغموض ، وبذل في محاولته عناءً جاهدًا مضيئًا ، وجعل أساس عمله سلاسل الأنساب المروية التي كان العرب يعززون بها ولا يعدون العالم عالمًا حتى يكون بصيرًا فيها .

وقدر لكل طبقة أو جيل أربعين سنة ، وناقش في ذلك ، وحاج الذين رأوا غير رأيه ممن جعلوا الجيل خمسًا وثلاثين أو ثلاثين أو خمسًا وعشرين بدلائل مشروحة في بحثه .

ثم جعل يقيس هذه السلاسل بعضها على بعض ليحقق ما ذهب إليه ، فدرس لذلك أنساب جماعات من الصحابة وقاربها ، ووجد في ذلك مددًا واسعًا لبحثه .

ثم درس أنساب القبائل من قريش وتميم وربيعة وغيرها ، وعاد إلى أخبار الملوك المدونة وإلى الحوادث المؤرخة ليختبر نظريته وليؤيد نتائجها . وانتهى إلى أصل يعتمد عليه في تحقيق كل سلسلة من سلاسل النسب وفي تقدير تاريخ كل شاعر وزمن حياته .

هذه نتائج لبحث مفصل في كتابه ، وهي نظرية لم تزل موضع البحث والدرس ومكان الاختبار والجدل . وهي باقية كغيرها من الآراء الجديدة لتلقى نصيبها من حكم التاريخ وتحت مظارق البحث . لانقول فيها الآن بتأييد أو تفنيد . ولكنها محاولة جاهدة مضيئة للكشف عن غامض من التاريخ ذي خطر ، ولهذا قدر المجمع هذا الجهد ، وحق لي أن أمتني صاحبه بهذا التقدير .

خصائصها والفقه لأسرارها ، وهي موهبة قيمة في درس اللغات قلما تتاح للدارسين .

وفي بحثه تقص واستقرأ وطول تتبع للناطقين في البلاد المختلفة ، وآثار هذا الاختلاف في النطق والتعبير وسبل الدلالة .

وأرى أن هذا الذوق اللغوي المرفه لو أتيحت له وسائل الدرس اللغوي وبحث الأصوات واللهجات كما هي في المعامل الآن ، لكانت النتائج أوسع وأشمل .

على أن ما قدم في الكتاب من نتائج جدير بالرضا والثناء ، فليقبل تهنئي بهذا التقدير الذي أفاضه عليه المجمع .

وقد ظفرنا ببحث من نوع آخر في خدمة اللغة وتاريخها ، حاول بحثه أن يلتقي نوراً على جزء من تاريخ العربية غامض كل الغموض على أنه هام أبلغ الاهتمام . ذلك أن تاريخ العصر الجاهلي محاط بكثير من الغموض والجهالة ، وأدبنا يرجع في أصله إلى هذا العصر ، عنه أخذنا لغتنا ، وعلى مثاله يكون أدبنا . ويختلف المؤرخون في مدى هذا العصر أكان مائة سنة ، أم ألفاً أم ألفاً .

وترسل حوادث التاريخ فيه مبعثرة ، يقدر لحادثة من حوادثه أنها استغرقت أربعين سنة ، ويقول الآخرون بل أربعاً فقط .

ويقدر للشاعر أنه عاش في جيل ، ثم يقال بل كان قبل ذلك بجيل أو بعده بجيل .

وربما قدر للمعمر أنه عاش مائة سنة أو مائتين أو ثلاثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة . هذا الغموض يجب أن يكشف وأن يرجع في كشفه إلى أسس علمية قيمة .

مصطلحات في القانون الدولي العام

أقرها المجلس والمؤتمر (١)

Traité : معاهدة :

« هي اتفاق بين دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات بينهما » .

Traité-contrat : معاهدة عقدية :

« هي اتفاق بين دولتين أو أكثر لتنظيم نوع من التعامل بينهما كاتفاق الأرصادة بين مصر وإنجلترا » .

Traité-loi : معاهدة تشريعية :

« هي اتفاق بين دولتين أو أكثر لإنشاء قواعد قانونية دولية كمعاهدات « لاهاي » لتنظيم الحرب البرية والبحرية » .

Traité bilatéral : معاهدة ثنائية :

« هي اتفاق طرفاه دولتان » .

Traité collectif : معاهدة جماعية :

« هي اتفاق بين أكثر من دولتين كمعاهدة قناة السويس » .

Pacte, charte : عهد - ميثاق :

« هو اتفاق بين الدول لوضع نظام دولي مستقر للأسرة الدولية كعهد عصبة الأمم وميثاق الأمم المتحدة » .

Statut : نظام أساسي :

« هو اتفاق دولي يضع مجموعة من القواعد لتنظيم شؤون هيئة دولية كالنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية » .

Déclaration internationale : تصريح دولي :

« هو إعلان يصدر من دولتين فأكثر مبين لسياسة مشتركة متفق عليها بينها كالتصريح الدولي لحقوق الإنسان . وقد يطلق أيضاً على إعلان تصدره دولة منفردة تبين به وجهة النظر التي تزمع السير عليها في أمر من الأمور كتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ » .

Agreement, accord : وفاق :

« هو اصطلاح يطلق على مختلف الاتفاقات الدولية في أية صورة كانت ولو بتبادل الخطابات مثلاً » .

(١) مصطلحات أقرها المجلس في الدورة السادسة عشرة ، والمؤتمر في الدورة السابعة عشرة . وتتابع لجنة الاقتصاد والقانون النظر فيما بقى من مصطلحات القانون الدولي العام •

- Gentlemen's agreement** : وفاق الأشراف :
« هو اتفاق دولي ملزم أديباً لا قانوناً ومن ثم فهو عادة مبسطة لا يشترط فيه توافر كل الأوضاع التي تشترط في المعاهدات فمثلاً لا يشترط تدخل رئيس الدولة ولا التصديق على الاتفاق » .
- Traité ouvert** : معاهدة مفتوحة :
« هي اتفاق دولي يباح لغير عاقيه الانضمام إليه كمعاهدة « برن » في اتحاد البريد » .
- Adhésion** : انضمام :
« هو إجراء به تدخل دولة طرفاً في معاهدة مفتوحة لم تشترك في إبرامها » .
- Retrait** : انسحاب :
« هو إجراء به تخرج دولة من اتفاق هي طرف فيه متى كان خروجها جائزاً » .
- Protocole** : بروتوكول :
« هو اصطلاح يطلق عادة على اتفاقات تكميلية ملحقة بمعاهدة Protocole أو على اتفاق قائم بذاته Protocole accord أو على محضر لاجتماع دولي :
Protocole procès verbal
- Annexe** : ملحق - لحق (ج. إلحاق) :
« هو أحكام تفصيلية ملحقة بالمعاهدة أو بأحد نصوصها » .
- Modus vivendi** : مصالحة مؤقتة :
« تطلق على الاتفاقات الدولية التي تسوى موقفاً معيناً بسوية وقتية كاتفاقات الأرصفة الاسترلينية » .
- Préambule** : ديباجة :
« هي مقدمة للمعاهدة تتضمن ذكر البواعث التي دفعت إلى عقدها والأغراض التي ترمي المعاهدة إلى تحقيقها » .
- Dispositifs** : نصوص :
« هي مواد المعاهدة » .
- Pleins pouvoirs** : تفويض :
« هو وثيقة يصدرها رئيس الدولة تثبت صفة المفاوض ومبلغ سلطته » .
- Conversations** : محادثات :
« هي تبادل أوجه النظر على أية صورة كانت » .
- Négociations** : مفاوضات :
« هي تبادل أوجه النظر بين طرفين متفاوضين وفقاً لمراسم معينة بقصد الوصول إلى عقد اتفاق دولي » .

- مذكرة شفوية :
Note verbale
« هي إبلاغ يقال شفهاً ويدون في مذكرة مكتوبة غير موقعة » .
- عقد المعاهدة :
Conclure le traité
« يشمل جميع مراحل المعاهدة من المفاوضة إلى تبادل التصديقات » .
- وفاق مُعلّم :
Accord paraphé
« هو اتفاق يوقعه مفوضو الطرفين المتفاوضين بالحروف الأولى من أسمائهم . وهو لا يقيد إلا الموقعين دون غيرهم ويعتبر مرحلة من المراحل الموصلة إلى المعاهدة النهائية » .
- تصديق :
Ratification
« هو موافقة رئيس الدولة على المعاهدة النهائية » .
- معاهدة سياسية :
Traité politique
« هي معاهدة لتنظيم بعض المسائل السياسية » .
- معاهدة صداقة :
Traité d'amitié
« هي معاهدة تقيم بين عاقدتها علاقات ودية بوجه عام » .
- معاهدة حسن الجوار :
Traité de bon voisinage
« هي معاهدة صداقة بين دول متجاورة اثنتين فأكثر » .
- معاهدة منع الاعتداء :
Traité de non agression
« هي معاهدة يلتزم أطرافها عدم اعتداء بعضهم على بعض اعتداء مسلحاً » .
- معاهدة تحالف :
Traité d'alliance
« هي معاهدة يلتزم أطرافها القيام معاً بأعمال حربية دفاعية أو هجومية في ظروف معينة » .
- معاهدة صلح :
Traité de paix
« هي معاهدة بين دول كانت متحاربة لإنهاء حالة الحرب وتنظيم علاقات السلم بينها » .
- معاهدة تحكيم :
Traité d'arbitrage
« هي معاهدة يلتزم عاقدوها اللجوء إلى التحكيم في فض نزاع بينهم » .
- معاهدة تنازل :
Traité de cession
« هي معاهدة بها ينزل أحد طرفيها للطرف الآخر عن سيادته على إقليم معين » .
- معاهدة تعيين الحدود :
Traité de limitation des frontières
« هي معاهدة ترسم التخوم الإقليمية الفاصلة بين أطرافها » .
- معاهدة ضمان :
Traité de garantie
« هي معاهدة يلتزم أحد أطرافها بضمان استقلال الطرف الآخر أو ضمان سلامة أراضيها من اعتداء يقع عليها من دولة أخرى » .
- معاهدة ضمان جماعي :
Traité de garantie collective

« هي معاهدة بين جماعة من الدول يلتزم كل طرف فيها بضمان استقلال كل طرف آخر وضمان سلامة أراضيه من أى اعتداء خارجي » .

Traité de neutralité معاهدة حياد

« هي معاهدة يوجب أطرافها جميعاً أو أحدهم على نفسه التزام حالة الحياد عند نشوب حرب معينة » .

Traité d'assistance mutuelle معاهدة تبادل النجدة

« هي معاهدة يوجب أطرافها على أنفسهم مساعدة بعضهم بعضاً عند تعرض أحدهم لاعتداء خارجي » .

Traité d'extradition معاهدة تسليم المجرمين :

« هي معاهدة يلتزم أطرافها تسليم المجرمين اللاجئين إلى دولهم » .

Traité de commerce معاهدة تجارة :

« هي معاهدة تنظم العلاقات التجارية بين دولتين أو أكثر » .

Traité d'établissement معاهدة إقامة :

« هي معاهدة تنظم إقامة رعايا كل من أطرافها في إقليم الطرف الآخر وتبين ما يستمتعون به من حقوق ويلتزمون به من واجبات أثناء إقامتهم » .

Traité consulaire معاهدة قنصلية :

« هي معاهدة تبين ما للقناصل المعتمدين لدى أطرافها من حقوق وما عليهم من واجبات » .

Convention du travail اتفاقية العمل :

« هي معاهدة بها يلتزم كل من أطرافها أن ينظم حالة العمل والعمال في بلاده على نحو واحد » .

Convention postale اتفاقية البريد :

« هي معاهدة تنظم شؤون المواصلات البريدية بين الدول المتعاقدة » .

Convention fiscale اتفاقية الضرائب :

« هي معاهدة تنظم فرض الضريبة التي تتقاضاها كل دولة من رعايا الدولة الأخرى » .

Convention monétaire اتفاقية النقد :

« هي معاهدة تنظم تداول النقد بين دولتين أو أكثر » .

Traité enregistré معاهدة مسجلة :

« هي معاهدة مثبتة في سجلات عصبة الأمم أو هيئة الأمم المتحدة » .

Traité secret معاهدة سرية :

« هي معاهدة كتم أطرافها ما فيها من أحكام » .

Convention culturelle اتفاقية الثقافة :

« هي اتفاق بين دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات التعاون العلمي فيما بينها » .

Convention sanitaire

اتفاقية الصحة :

« هي اتفاق يلتزم أطرافه تنظيم الشؤون الصحية في أقاليمهم على نحو واحد معين » .

État

دولة :

« هي جمع من الناس مستقرون في إقليم معين الحدود ويستقلون بحكم أنفسهم وفق نظام خاص » .

État simple

دولة موحدة :

« هي الدولة التي تقوم بشؤونها سلطة سياسية واحدة هي سلطتها المركزية كالدولة المصرية » .

État complexe

دولة مركبة :

« هي الدولة التي تتعدد فيها السلطات السياسية على نظام خاص كالولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا » .

États d'union personnelle

دول الاتحاد الشخصي :

« هي دول لكل منها سيادتها الكاملة ولا يربط بينها إلا كون رئيسها كلها واحداً كما كان الأمر بين بريطانيا وهانوفر سنة ١٧١٤م إلى سنة ١٨٣٨ م وبين إيطاليا وألبانيا من سنة ١٩٣٩م إلى سنة ١٩٤٤ م » .

États d'union réelle

دول الاتحاد الحقيقي :

« هي دول احتفظ كل منها باستقلاله الداخلي واجتمعت تحت رئيس واحد وتحت سلطة مشتركة تمارس شؤونها الخارجية وقد تمارس بعض شؤونها الداخلية مثل ذلك الدانمارك وإيسلندا من سنة ١٩١٨ م إلى سنة ١٩٤١ م والسويد والنرويج من سنة ١٨١٥ م إلى سنة ١٩٠٥ م والنمسا والمجر من سنة ١٧٢٣ م إلى سنة ١٩١٩ م » .

Confédération d'états

دول تعاهدية — دول عهدية :

« هي عدة دول تتعاهد تعاهداً دولياً على إقامة هيئة مشتركة تكون مهمتها أن تشرف مباشرة على حكومات الدول المتعاهدة دون أن يكون لها سلطان مباشر على رعايا هذه الدول ومثال ذلك الدول التعاهدية الألمانية من سنة ١٨١٥م إلى سنة ١٨٧٠ م والولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٧٧٦ م إلى سنة ١٧٨٧ م وسويسرا من سنة ١٦٤٨ م إلى سنة ١٨٤٨ م » .

État fédéral

دولة متعاهدة :

« هي عدة دول توافقت فيما بينها بمقتضى دستور عام على أن تتحد اتحاداً دائماً تمثله هيئة مركزية واحدة تكون هي حكومة الاتحاد . وهذه الحكومة تمارس سلطتها بطريق مباشر على حكومات هذه الدول وعلى رعاياها في حدود معينة مما يلتزم عنه اندماج هذه الدول بحيث تصبح شخصاً دولياً واحداً ومثل ذلك الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة ١٧٨٧ م وسويسرا سنة ١٨٤٨ م والمكسيك منذ سنة ١٨٥٧ م والأرجنتين منذ سنة ١٨٦٠ م » .

والبرازيل منذ سنة ١٨٩١ م واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

État indépendant : دولة مستقلة :

« هي الدولة التامة السيادة التي تنفرد بإدارة شؤون شعبها داخلياً وخارجياً غير خاضعة في ذلك لرقابة دولة أخرى » .

État protégé : دولة محمية :

« هي الدولة التي تتكفل دولة أخرى بالدود عنها ودفع اعتداء الغير عليها ويكون ذلك إما بمعاهدة تقع بين الطرفين وإما بمجرد إعلان يصدر من قبل الدولة الحامية وحدها واعتراف الدول . ومتى نشأت الحماية فإن الدولة الحامية تسيطر على الشؤون الخارجية للدولة المحمية كما تشرف على شؤونها الداخلية ولكن إلى درجة معينة ومثل الحماية التي تمت بمعاهدة بين الدولتين حماية فرنسا لتونس بمعاهدة ١٢ مايو سنة ١٨٨١ م وحماية إيطاليا لسان مارينو بمعاهدة ٢٨ يونيو سنة ١٨٩٨ م ومثل الحماية بإعلان من الدولة الحامية بانفرداها حماية الريخ الثالث لبوهيميا ومورافيا في سنة ١٩٣٩ م » .

État Vassal : دولة تابعة :

« هي دولة كانت جزءاً من دولة أخرى ولكنها أخذت تتحرر من إشراف أو من سلطان هذه الدولة الأخرى إلى أن أصبحت مستقلة بشؤونها الداخلية إلى حد كبير مثل ذلك مصر وبلغاريا لما كانتا تابعتين للدولة العثمانية » .

État sous mandat : دولة تحت الانتداب :

« هي الدولة التي تتولى تصريح شؤونها الداخلية والخارجية دولة أخرى انتدبتها عصبة الأمم لذلك بقصد الوصول بها إلى حالة تمكنها من الانفرد والاستقلال بإدارة شؤونها في المستقبل وكل ذلك وفقاً لما هو مذكور في عهد عصبة الأمم وصك الانتداب من أحكام مثل ذلك ما كانت عليه فلسطين وسوريا ولبنان » .

État sous tutelle : دولة تحت الوصاية :

« هي الدولة التي تتولى هيئة الأمم أو دولة أو دول تعهد إليها هذه الهيئة بالوصاية تصريح شؤونها الداخلية والخارجية بقصد الوصول بها إلى حالة تمكنها من الانفرد والاستقلال بإدارة شؤونها في المستقبل . وكل ذلك وفقاً لما هو مذكور في ميثاق الأمم المتحدة وفي اتفاق الوصاية من أحكام مثل ذلك وصاية الأمم المتحدة على ليبيا » .

Bons offices : ميساع ودية :

« هي تطوع بعض الدول لحث دولتين متنازعتين على فض النزاع القائم بينهما بغير عنف وذلك كأن تدعوها إلى التفاوض معا في وجه الخلاف أو إلى وصل ما انقطع بينهما من التفاوض أو كأن تقوم بعرض وجهة نظر إحداهما على الأخرى » .

Médiation

وساطة :

« هي محاولة دولة أو أكثر فض نزاع قائم بين دولتين أو أكثر عن طريق التفاوض الذي تشترك هي أيضاً فيه » .

Conciliation

توفيق :

« هي وساطة فيها تقترح إحدى الدول على دولتين متنازعتين طريقة لفض النزاع بينهما ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون ملزماً لأية من الدولتين المتنازعتين » .

Arbitrage

تحكيم :

« هو الفصل في نزاع قائم بين دولتين أو أكثر بقرار ملزم يصدر من أشخاص أو هيئة اتفق أطراف النزاع على تعيينها لأداء هذه المهمة » .

Traité général d'arbitrage

معاهدة تحكيم :

« هي اتفاق بين دولتين به تراضيان على فض جميع ماقد يقوم بينهما من منازعات بواسطة التحكيم » .

Clause compromissoire

شرط التحكيم :

« هو شرط تشتمل عليه معاهدة مايقضى بالرجوع إلى التحكيم في كل نزاع يقوم في شأن من شؤون هذه المعاهدة » .

Compromis

اتفاق التحكيم :

« هو اتفاق يتم بين دولتين على أثر نزاع بينهما باحالة هذا النزاع على التحكيم . وهو يتضمن عادة بياناً بموضوع النزاع المراد الفصل فيه . وهيئة المحكمين واختصاصاتها والجراءات التي تتبعها في نظر النزاع والقواعد التي تطبق على موضوعه » .

Sentence arbitrale (award)

قرار التحكيم :

« هو مايقضى به المحكم في النزاع المحكم فيه » .

Règlement judiciaire

تسوية قضائية

« هي حسم النزاع القائم بين دولتين بواسطة القضاء الدولي » .

Décision

قرار :

« هو مايقضى به القضاء الدولي في النزاع المعروض عليه » .

Retorsion

مقابلة بالمثل :

« هو تصرف فيه مجافاة للمجاملة تأتيه الدولة في حدود سلطاتها رداً على تصرف شبيه من دولة أخرى بقصد إرغامها على العدول عن موقفها مثل ذلك دولة تشددت في الإجراءات الخاصة بجوازات السفر في حق رعايا دولة أخرى أو منعهم من ممارسة مهنة معينة وذلك رداً على تصرف شبيه صدر من هذه الدولة » .

Représailles مجازاة بالمثل :

« هو تصرف تخرج به دولة على القواعد الدولية بقصد إرغام دولة أخرى على العدول عن تصرف شبيه سبق أن صدر من هذه الدولة إزاء الدولة الأولى مثل ذلك ما حدث في سنة ١٩٠٨ عندما حجزت هولندا بعض السفن التابعة لجمهورية فنزويلا للحصول على تعويض بسبب حجز فنزويلا سفناً هولندية إلى أن دفعت فنزويلا التعويض » .

Blocus pacifique الحصر السلمي :

« هو أن تقوم دولة بواسطة أسطولها البحري بعزل ثغور أو شواطئ دولة أخرى بقصد حمل الدولة المحصورة على إجابة مطالب الدولة المحاصرة وهو لا يعد من أعمال الحرب ولا يؤدي إلى الاستيلاء النهائي على السفن التي تخرق الحصر إذ يتعين الإفراج عنها بعد انتهائه » .

Intervention dans un conflit التدخل في النزاع :

« هو أن تتدخل دولة في نزاع بين دولتين أخريين لفض هذا النزاع على الوجه الذي تراه الدولة المتدخلة مهددة باستعمال القوة مثل ذلك تدخل الدول العظمى في النزاع الذي قام بين تركيا واليونان في سنة ١٨٩٧ لإعطاء جزيرة كريت لليونان » .

Organes de l'état ممثلو الدولة — أركان الدولة :

« هم الأشخاص الذين لهم حق التعبير عن إرادة الدولة كرئيس الدولة ووزير خارجيتها وممثليها الدبلوماسيين والقناصل » .

Embassadeur سفير :

« هو مبعوث يمثل رئيس الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها وهو أرقى طبقات الممثلين السياسيين » .

Ministre plenipotentiaire وزير مفوض :

« هو ممثل كالسفير ولكنه من طبقة تليه في المرتبة » .

Chargé d'affaires قائم بالأعمال :

« هو ممثل للدولة يختلف عن السفير والوزير المفوض في أنه لا يمثل شخص رئيس الدولة ولذلك فهو يحمل أوراق اعتماد من وزير خارجية دولته إلى وزير خارجية الدولة المبعوث إليها وليس له حق الاتصال المباشر برئيس هذه الدولة » .

Agrément الاعتماد :

« هو موافقة الدولة التي يبعث إليها ممثل دبلوماسي على شخص هذا الممثل » .

Persona grata شخص مرضى :

Persona non grata شخص غير مرضى :

- Lettres de créance** أوراق الاعتماد :
 « هي كتابان من صورة واحدة يوجههما رئيس الدولة الذي يبعث بمثله الدبلوماسي إلى رئيس الدولة التي اعتمدت هذا الممثل ويسلم أحدهما مفتوحاً لوزير خارجية هذه الدولة والآخر مغفلاً في حفل رسمي إلى رئيسها » .
- Consul général** القنصل العام :
 « هو القنصل الذي تعهد إليه دولته بالإشراف على جميع قنصلياتها في دولة أخرى » .
- Consul** القنصل :
 « هو من يقوم بأعمال إحدى القنصليات في دائرة اختصاص إقليمي معين » .
- Vice-consul** نائب القنصل :
 « هو من يعين لمعاونة القنصل ويقوم مقامه وقت غيابه » .
- Lettre de provision** كتاب تعيين القنصل :
 « هو ما يزود به القنصل لإثبات صفته بتسليمه لوزارة خارجية الدولة المعتمد لديها » .
- Exequatur** براءة الاعتماد :
 « هي الأمر الصادر من الدولة المعتمد لديها القنصل بالإذن له في مباشرة عمله القنصلي في دائرة اختصاصه » .
- Délégué** مندوب :
 « هو المفوض الذي تبعث به دولته لتمثيلها في المؤتمرات أو اللجان الدولية أو هيئة دولية أخرى لعرض وجهة نظرها والادلاء برأيها في مختلف المسائل المعروضة للنقاش فيها » .
- L'Organisation des Nations Unies** هيئة الأمم المتحدة :
 « هي هيئة التنظيم الدولي التي اتفقت مجموعة من الدول في مؤتمر سان فرانسيسكو على إنشائها وذلك لحفظ السلم والأمن الدولي ولإنماء العلاقات الودية بين الأمم ولتحقيق التعاون الدولي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية » .
- Préambule de la Charte des Nations Unies** ديباجة ميثاق الأمم المتحدة :
 « وهي تتولى التعريف بالميثاق والابانة عن النيات المشتركة للأمم المتحدة والمثل العليا التي عملت هذه الأمم بوحيا » .
- Buts des Nations Unies** مقاصد الأمم المتحدة :
 « هي الأغراض التي آلت هيئة الأمم المتحدة على نفسها أن تسعى لتحقيقها » .
- Principes des Nations Unies** مبادئ الأمم المتحدة :
 « هي الأسس التي يقوم عليها عمل هيئة الأمم المتحدة كمبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها وكوجوب حسم المنازعات الدولية بالوسائل السلمية وغير ذلك من المبادئ المذكورة في الميثاق » .

حق تقرير المصير:

Droit des peuples de disposer d'eux-mêmes (Right of self determination)
« هو أن يكون لكل شعب الحق في اختيار نظام الحكم وتحديد مركزه بالنسبة للدول الأخرى » .

Principe de l'égalité souveraine مبدأ المساواة في السيادة :
« هو المبدأ الذي يقضى بأن يكون جميع أعضاء الأمم المتحدة متساويين أمام القانون فلا يكون لأحد منهم سلطان على الآخر » .

Membres originaires أعضاء أصليون :
« هي الدول التي اشتركت في مؤتمر الأمم المتحدة للتنظيم الدولي المنعقد في سان فرانسيسكو ووقعت على ميثاق الأمم المتحدة وصادقت عليه طبقاً للمادة (١١٠) منه والدول التي وقعت من قبل تصريح الأمم المتحدة الصادر في أول يناير سنة ١٩٤٢ ووقعت وصادقت على هذا الميثاق » .

Organes principaux des Nations Unies الفروع الرئيسية لهيئة الأمم المتحدة :
« وهي الجمعية العامة ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوصاية ومحكمة العدل الدولية والأمانة العامة » .

Organes subsidiaires des Nations Unies الفروع الثانوية للأمم المتحدة :
« هي الفروع التي تنشأ هيئة الأمم المتحدة إذا رأت ضرورة لإنشائها » .

مصطلحات المنطق (١)

- ١ - المفرد : Simple Term (E.) Terme Simple (F.)
« هو ما لا يدل جزؤه على جزء معناه » .
مثل : إنسان .
- ٢ - المركب : Compound Term (E.) Terme Complexe (F.)
« هو ما يدل جزؤه على جزء معناه » .
مثل : رامى الحجارة .
- ٣ - الاسم : Name (E.) Nom (F.)
« لفظ مفرد يدل على شيء من غير أن يدل على زمان » .
مثل : زيد .
- ٤ - الكلمة : Verb (E.) Verbe (F.)
« لفظ مفرد يدل على معنى وعلى زمان » .
مثل : كتب . يكتب . اكتب .
- ٥ - الأداة : Proposition or particle (E.) Particule (F.)
« لفظ مفرد يدل على معنى عند اقترانه باسم أو كلمة » .
مثل : في .
- ٦ - الاسم المتواطئ : Univocal Term (E.) Terme Univoque (F.)
« ما يقال على أفراد بالتساوى » .
مثل : إنسان .
- ٧ - الاسم المشكك : Equivocal Term (E.) Terme Equivoque (F.)
« ما لم يتساو فيه الأفراد » .
مثل : الوجود والبياض .
- ٨ - الاسم المشترك : Terme Homonyme (F.)
« ما وضع لمعان كثيرة » .
مثل : العين .
- ٩ - الذاتى : Essential (E.) Essentiel (F.)
« الذاتى هو الذى يقوم ماهية ما يقال عليه » .
كالحيوان بالنسبة للإنسان .

١٠- العرضي : Accidental (E.) Accidentel (F.)

« ما لا يقوم ماهية ما يقال عليه » .

كالسواد .

١١- الجنس : Genus (E.) Genre (F.)

« هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع » .

كالحي .

وجنس الأجناس أو الجنس العالي .

Summum Genus (E.) Genre Suprême (F.)

« هو الذي ليس فوقه جنس وتحت أجناس » .

كالجوهر .

وهناك الجنس المتوسط « وهو الذي فوقه جنس وتحت جنس » .

كالجساس .

والجنس الأدنى أو القريب .

Proximate Genus (E.) Genre prochain (F.)

« وهو الذي فوقه أجناس وتحت أنواع » .

كالحيوان ..

١٢- النوع : Species (L.) Species (E.) Espèce (F.)

« هو المقول على كثيرين متفقين بالحقيقة » .

مثل : إنسان و فرس .

Infima Species

ويسمى أحياناً نوع الأنواع .

« وهناك النوع الإضافي وهو جنس لما تحته ونوع لما فوقه » .

كالجساس .

١٣- الفصل : Differentia (L.) Difference (E.) Difference (F.)

« جزء من الماهية يميز النوع » .

كالناطق بالنسبة للإنسان .

الفصل القريب :

« جزء من الماهية يميز النوع من مشاركته في الجنس القريب » .

كالناطق بالنسبة للإنسان .

الفصل البعيد :

« جزء من الماهية يميز النوع من مشاركته في الجنس البعيد » .

كالجساس بالنسبة للإنسان .

١٤ - الخاصة : Property (E.) Propriété (F.)

« صفة عرضية تميز النوع » .
كالضاحك بالنسبة للإنسان .

١٥ - العرض العام : Accident (E.) Accident (F.)

« صفة عرضية تطلق على أكثر من نوع » .
مثل : ماش .

١٦ - التصور :

« إدراك المفرد » .
مثل : تصورنا لكتاب .

١٧ - التصديق :

« إدراك النسبة بين موضوع ومحمول » .
مثل : الكتاب مفيد .

١٨ - القياس : Syllogism (E.) Syllogisme (F.)

« قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر » .
مثل : العالم متغير ، وكل متغير حادث ، فالعالم حادث .

١٩ - مادة القياس : Materia (L.) Material (E.) Matière (F.)

« هي القضايا التي يتألف منها » .

٢٠ - صورة القياس : Form of Syllogism (E.) Forme de Syllogisme

« تأليف القضايا التي يتركب منها القياس على نحو مخصوص » .

٢١ - مقدمة القياس : Promissa (L.) Promiss (E.) Promisse (F.)

« هي القضية إذا جعلت جزء قياس (مقاصد الفلاسفة) » .

مثل : « كل جسم مؤلف » ، من القياس الآتي : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ،
إذن كل جسم محدث .

٢٢ - القياس الاقتراني :

Conjunctive Syllogisme (E.) Syllogisme Conjonctif (F.)

« ما لم يكن عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل » (شرح القطب) .
مثل : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، فكل جسم محدث .

٢٣ - القياس الاستثنائي :

Mixed Syllogism (E.) Syllogisme Hypothetique (F.)

« ما كان عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل » (شرح القطب) .

مثل : هذا العدد إما زوج وإما فرد ، لكنه زوج ، فليس بفرد .

ملاحظة : قسمة القياس إلى اقتراني واستثنائي قسمة عربية .

٢٤ - الحد (في القضية) : Terminus (L.) Term (E.) Terme (F.)
« موضوعها أو محمولها » .

مثل : جسم ومؤلف . من قولنا : كل جسم مؤلف

٢٥ - الحد الأوسط : Middle Term (E.) Terme Moyen (F.)
« ما مشترك فيه مقدمتا القياس » (البصائر) .

مثل : « مؤلف » في مقدمتي القياس : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث .

٢٦ - الحد الأصغر : Minor Term (E.) Terme Mineur (F.)
« هو موضوع المطلوب » . (شرح القطب) .

مثل : « جسم » إذا كانت هيئة القياس : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ،
فكل جسم محدث .

٢٧ - الحد الأكبر : Major Term (E.) Terme Majeur (F.)
« هو محمول المطلوب » (شرح القطب) .

مثل : « محدث » في قياس صورته : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، فكل
جسم محدث .

٢٨ - المقدمة الصغرى : Minor Premiss (E.) Prémiss Mineure (F.)
« هي القضية التي فيها الحد الأصغر » (مقاصد الفلاسفة) .

مثل : « كل جسم مؤلف » من قياس صورته : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف
حادث .

٢٩ - المقدمة الكبرى : Major Premiss (E.) Prémiss Majeure (F.)
« هي القضية التي فيها الحد الأكبر » (مقاصد الفلاسفة) .

مثل : « وكل مؤلف حادث » من قياس صورته : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف حادث .
٣٠ - المطلوب :

« هو ما يساق من أجله القياس » .

٣١ - نتيجة القياس : Conclusio (L.) Conclusion (E.) Conclusion (F.)
« هي ما يلزم من القياس » .

مثل : « فكل جسم محدث » إذا كانت صورة القياس : كل جسم مؤلف وكل
٣٢ - الضرب أو (القرينة) : Modus (L.) Mood (E.) Mode (F.)

« اقتران الصغرى بالكبرى على شكل خاص » .

٣٣ - شكل (القياس) : Figure (E.) Figure (F.)

« الهيئة الحاصلة من كيفية وضع الحد الأوسط من الحدين الآخرين » .

٣٤ - الشكل الأول : 1st Figure (E.) 1^{er} Figure (F.)

« قياس يكون الحد الأوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى » .

مثل : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، فكل جسم محدث .

٣٥ - الشكل الثاني : 2nd Figure (E.) 2^{eme} Figure (F.)

« قياس يكون الحد الأوسط فيه محمولاً في المقدمتين » .

مثل : كل إنسان حيوان ، ولا شيء من الجماد بحيوان ، فلا شيء من الإنسان بجماد .

٣٦ - الشكل الثالث : 3rd Figure (E.) 3^{eme} Figure (F.)

« قياس يكون الحد الأوسط فيه موضوعاً في المقدمتين » .

مثل : كل إنسان حيوان ، وكل إنسان ناطق ، فبعض الحيوان ناطق .

٣٧ - الشكل الرابع : 4th Figure (E.) 4^{eme} Figure (F.)

« قياس يكون الحد الأوسط فيه موضوعاً في الصغرى محمولاً في الكبرى » .

مثل : كل إنسان حيوان ، وكل ناطق إنسان ، فبعض الحيوان ناطق .

٣٨ - القياس الحملى :

Categorical Syllogism (E.) Syllogisme Catégorique (F.)

« ما كانت مقدمتا حمليتين » .

مثل : كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، فكل جسم محدث .

٣٩ - القياس الشرطي :

Conditional Syllogism (E.) Syllogisme Conditionnelle (F.)

« ما كانت إحدى قضايها شرطية » .

مثل : كل كثير معدود ، وكل معدود إما زوج وإما فرد ، فكل كثير إما زوج وإما فرد .

٤٠ - المقدم (في القضية الشرطية) : Anticident (E.) Antécédent (F.)

« هو الجزء الأول من القضية الشرطية » .

مثل : « إذا كانت الشمس طالعة » ، في القضية الآتية : إذا كانت الشمس طالعة

فالنهار موجود .

٤١ - التالي (في القضية الشرطية) : Consequent (E.) Conséquent (F.)

« هو الجزء الثاني من القضية الشرطية » .

مثل : فالنهار موجود . في القضية السابقة .

٤٢ - قياس الخلف :

Redactio Absurdum (E.) Reduction à l'absurde (F.)

« قياس أساسه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو فساد المطلوب بإثبات نقيضه »

- ٤٣ - الدور : Vicious Circle (E.) Circle vicieux (F.)
 « هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه الشيء » .
 (يرد في التعريف والقياس وفي الأخيزيرادفت المصادرة على المطلوب) .
 ٤٤ - المصادرة على المطلوب :
 Potitio Principii (E.) Pétition de principe (F.)
 « جعل المطلوب أو مايساويه مقدمة للبرهنة عليه » .
 مثل : كل إنسان بشر ، وكل بشر ضحاك ، فكل إنسان ضحاك .
 ٤٥ - القياس المضممر : Enthymeme (E.) Enthymème (F.)
 « قياس طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى ، إما لظهورها والاستغناء عنها ، وإما لإخفاء كذبها » .
 مثل : خطا أ ب ، أ ج خرجا من المركز إلى المحيط فخطا أ ب ، أ ج متساويان .
 ٤٦ - التمثيل : Analogy (E.) Analogie (F.)
 « إلحاق جزئي بجزئي آخر في حكمه لمعنى مشترك بينهما » .
 مثل : « النبيذ كالخمر فهو حرام » .
 ٤٧ - الاستقراء : Inductio (L.) Induction (E.) Induction (F.)
 « تتبع الجزئيات للتوصل منها إلى حكم كلي » .

مصطلحات علم النفس والتربية

أقرأها المؤتمر في الدورة السابعة عشرة

١ - قدرة : Ability (E.) Capacité (F.)

« وهي فطرية أو مكتسبة تتحقق بأفعال حسية كانت أو ذهنية . وهناك :

قدرة خاصة Special Ability

وقدرة عامة General Ability

والقدرات الخاصة تتميز بعضها عن بعض بالقياس إلى المجال الذي تعمل فيه أو بالقياس إلى نوع العمل . مثلاً : القدرة الميكانيكية والقدرة الموسيقية والقدرة اليدوية والقدرة العملية . ومن المفروض نظرياً أن تكون هذه القدرات متباينة بحيث لا تتداخل بعضها في بعض ولكن هذا التباين لم يتضح بعد .
أما القدرة العامة فهي بمثابة عامل مشترك بدرجات متفاوتة مع جميع القدرات الخاصة أو مع مجموعات منها .

٢ - شاذ : Abnormal (E.) Anormal (F.)

الشاذ هو الخارج عن المألوف أو العادى .

٣ - مكتسب : Acquired (E.) Acquis (F.)

كل ما يضاف إلى القدرات الفطرية عن طريق النشاط التلقائى أو التجربة والتدريب . يقال :

الاستجابات المكتسبة Acquired responses

والخصائص المكتسبة Acquired characters

وينبغى ألا نبالغ في التقابل بين المكتسب والفطرى . إذ أن كل صورة من صور السلوك نتيجة تفاعل الوراثة وعوامل الاكتساب بعضها مع بعض .

٤ - نشاط (فاعلية) : Activity (E.) Activité (F.)

(١) كل عملية سواء كانت عقلية أو بيولوجية متوقفة على استخدام الكائن الحى .

(٢) أى عملية عقلية أو حركية تمتاز بالتلقائية أكثر منها بالاستجابية .

٥ - تكيف : Adaptation (E.) Adaptation (F.)

(١) (فى علم الحياة) تغيير فى الكائن الحى سواء أكان فى البناء أم فى الوظيفة يجعله أكثر قدرة على المحافظة على حياته أو على بقاء جنسه .

(٢) (فى علم النفس الفسيولوجى) التغيير الذى يطرأ على الخبرة الحسية سواء من حيث الكيف أو الشدة أو الوضوح عند ما يظل التنبيه ثابتاً مستمراً كالتكيف فى حالات

البصر واللمس والشم والذوق والألم ، والرائحة العطرية مثلا إذا طال استعمالها قل التأثير بها .

(٣) (في علم النفس الاجتماعي) تغيير سلوك الفرد كي يتسق مع غيره من الأفراد وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية . ويطلق على التكيف الاجتماعي

أيضاً لفظ : Socialization

Adjustement

٦ - توفيق

يستخدم هذا اللفظ بمعنى التكيف على الإطلاق ، ولكن يحسن قصره على نوع من التكيف الاجتماعي أو من العلاج النفسي الذي يقتضى من الشخص - حين يواجه مشكلة خلقية أو يعاني صراعا نفسيا - أن يغير من عاداته واتجاهاته ليوائم الجماعة التي يعيش في كنفها .

يرى علم الصحة العقلية إلى دراسة وسائل الوقاية من المشكلات والانحرافات والأمراض النفسية ووسائل تحقيق التوافق في الشخص الشاذ .

٧ - وجدان . Feeling Affection (E.) Sentiment (F.)

(١) كل احساس أولى باللذة والألم .

(٢) يطلق على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثيرها باللذة والألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة ، وثالثة يسودها النشاط الحركي سواء أكان آليا أو إراديا .

Agression

٨ - اعتداء

سلوك يرمى إلى إيذاء الغير أو الذات أو ما يحل محلها من الرموز . يعتبر السلوك الاعتدائي تعويضا عن الحرمان الذي يصيب الشخص المعتدى

ميل إلى اعتداء : Agressiveness

Anesthesia (E.) Anesthésie (F.)

٩ - خدر

فقدان الإحساس عاما كان أو موضوعيا ، وقد يكون نتيجة لحالة نفسية أو عضوية .

Anger (E.) Colère (F.)

١٠ - غضب

استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء وبشورها ما يعوق أى اتجاه نزوعي ويدخل ضمن المثيرات الأذى والاعتداء التخيلي والواقعي والحيلولة دون تحقيق الرغبات ، وما إلى ذلك .

١١ - ربط - ترابط - تداعي Association (E.) Association (F.)

الربط : إحداث علاقة بين مدركين لاقتربهما في الذهن لسبب ما .
والترابط : قيام تلك الصلة بالفعل .
والتداعي : توارد التجارب المترابطة على الذهن نتيجة للترابط .

١٢ - المذهب الترابطي Associationism (E.) Associationisme (F.)

النظرية التي تفسر الحياة العقلية بأنها نتيجة ترابطات تقوم بين الإحساسات والمعاني بعضها ببعض

١٣ - اتجاه Attitude (E.) Attitude (F.)

تهيؤ عقلي لمصالحة تجربة أو موقف من المواقف تصحبه عادة استجابة خاصة.

مصطلحات الرياضة (١)

Frame of Reference	مناط الإسناد
	ما يتخذ مرجعاً يتعين بالنسبة إليه مواضع النقط .
Axis	المحور :
Axis of rotation.	محور الدوران : المستقيم الذى يدور حوله الجسم
	محور التماثل : المستقيم الذى تماثل بالنسبة إليه أجزاء الجسم أو أجزاء مجموعة ما
Axis of symmetry.	
Axis of a circle.	محور الدائرة : المستقيم المار بمركزها عموداً على مستواها
Cartesian Axes	المحاور الديكارتية
	فى المستوى : هما مستقيمان متقاطعان يتخذان أساساً للإسناد .
	فى المكان : In Space هى ثلاثة مستقيمت متقاطعة تمر بنقطة واحدة تتخذ أساساً للإسناد ويدل عليها بالحروف س ، ص ، ع .
	ويقال :
X-Axis	المحور السينى
Y-Axis.	المحور الصادى
Z-Axis.	المحور العيى
The Origin.	وتسمى نقطة تقاطعها « الأصل »
Coordinates.	الإحداثيات :
	هى بوجه عام الأبعاد التى يتعين بها موضع نقطة ما بالنسبة إلى أساس الإسناد ويقال لها « إحداثيات النقطة » .
Cartesian Coordinates.	الإحداثيات الديكارتية :
	هى الأبعاد التى يتعين بها موضع نقطة ما بالنسبة إلى المحاور الديكارتية المتخذة وهى فى المستوى إحداثيان :
X-Coordinate.	أحدهما الإحداثى السينى
	وهو بعد النقطة عن المحور الصادى
Y-Coordinate.	والآخر الإحداثى الصادى
	وهو بعدها عن المحور السينى

(١) هذه المصطلحات أقرها المجمع بدون تعريف فى الدورة الخامسة ، وقد عرفتها لجنة العلوم الرياضية والهندسية فى المجمع - بعد تعديل بعضها - فى الدورتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، وأقرها المجلس ولتؤتمر فى الدورة السابعة عشرة .

أما في المكان فثلاثة :

- أحدها الإحداثي السيني : وهو بعد النقطة عن مستوى المحورين الصادي والعيني .
- والثاني الإحداثي الصادي : وهو بعد النقطة عن مستوى المحورين السيني والعيني .
- والثالث الإحداثي العيني : وهو بعد النقطة عن مستوى المحورين السيني والصادي .

Consecutive points

النقط المتتالية

هي النقط التي تكون في مجموعاً منجياً متصلاً .

Consecutive lines.

الخطوط المتتالية

هي خطوط متجاورة من فصيلة واحدة تكون مساراً هندسياً أو أكثر قد يكون من بينها الغلاف الهندسي

Locus of the 2nd degree

المحل الهندسي من الدرجة الثانية

هو المحل الهندسي الذي يقطعه المستقيم في نقطتين

Envelope of the 2nd class

الغلاف الهندسي من الصنف الثاني

في المستوى هو الغلاف الهندسي الذي لا يمكن أن يرسم له من نقطة خارجة عنه أكثر من مماسين .

وفي المكاف هو الغلاف الهندسي الذي لا يمكن أن يرسم له أكثر من مستويين مماسين يمران بمستقيم واحد .

Self-conjugate triangle

المثلث الترافق

هو المثلث الذي يكون كل رأس من رؤوسه قطباً للضلع المقابل له وذلك بالنسبة إلى قطع مخروطي .

Inversion

التعاكس

إذا كانت م مركز دائرة نصف قطرها (نق) ووصلت بنقطة م بنقطة ما ولتكن أ وقسم المستقيم م أ (من الداخل أو الخارج) في نقطة ولتكن ب بحيث يكون م ب $\times$ م أ = نق^٢ قيل إن ب عكس أ بالنسبة إلى الدائرة المذكورة وإذا تحركت أ لتحدث شكلاً ما وتحركت ب تبعاً لها أحدثت نقطة ب شكلاً يسمى الشكل العكسي للأول . وهذا المعنى الهندسي يدل عليه بلفظ « التعاكس » .

Projection

الإسقاط

ليكن مستويان س ، ص ولتكن نقطة مثل م خارج المستويين ولتكن أ نقطة ما على المستوى س فإذا أخرجنا المستقيم أم فانه يلقى المستوى ص في نقطة ولتكن ب فيقال إن نقطة ب مسقط نقطة أ وإذا تحركت أ في المستوى س فحدثت شكلاً ما وتحركت ب تبعاً

لها في المستوى ص سمي الشكل ب الذي تحدته مسقطاً للشكل الأول . وهذا المعنى الهندسي يدل عليه بلفظ « الإسقاط » .

Inverse figure.

شكل عكسي

(انظر التعاكس) .

Projection of the figure.

مسقط الشكل

(انظر الإسقاط) .

Inverse square law.

قانون التربيع العكسي

إذا تناسبت كمية تناسباً عكسياً ومربع كمية أخرى قيل إن هذا التناسب يتبع قانون التربيع العكسي .

Surd.

جذر أصم

هو الجذر الذي لا يمكن وضعه على صورة كسر حده عددان صحيحان ولا يمكن إيجاد قيمته إلا على وجه التقريب .

Sector.

القطاع

القطاع (في القطع المخروطي ذي المركز) هو المساحة المحدودة بقرص منه ونصف قطرين .

Is identically equal to

يساوي بالتطابق

إذا كان الطرف الأيمن من معادلة هو بعينه الطرف الأيسر موضوعاً على صورة أخرى يقال للطرفين إنهما متساويان بالتطابق . وفي هذه الحالة تسمى المعادلة متطابقة .

Capacity

السعة

حجم الفراغ الداخلي لشيء ما .

Logarithm

لوغاريتم

لوغاريتم عدد لأساس ما هو الأس الذي يرفع إليه الأساس لينتج ذلك العدد .

Length.

الطول

طول الخط في الهندسة هو مقدار البعد بين طرفيه مقيساً عليه .

Boundary.

الحد

ما يفصل الشكل أو الجسم عما يحيط به

Bearing.

الاتجاه

في الفلك والملاحة والمساحة هو الزاوية التي يثعين بها موقع نقطة بالنسبة إلى نقطة أخرى فتتلاقح اتجاه القاهرة بالنسبة إلى دمشق هو الزاوية بين الدائرة العظيمة المارة بالقاهرة ودمشق وبين خط طول دمشق .

Compass

الفراجار

آلة مركبة من ساقين متصلتين تثبت إحداهما لتدور حولها الأخرى ترسم بها أقواس من دوائر

القسامة	Divider.
آلة ذات ساقين متصلتين تشبه الفرجار وتستعمل لفصل أجزاء متساوية من خط ما .	
مسطرة	Ruler.
آلة ذات حافة مستقيمة قد تدرج وتستخدم لرسم المستقيمت أو لقياس أطوالها .	
لازمة	Corollary.
هى نتيجة تلى بالضرورة نظرية قد برهن عليها .	
نتيجة	Conclusion.
الحكم اللازم عن المقدمات	
مسلمات	Postulates.
قضية سلم بصحتها فى علم ما مثل : « بين نقطتين لا يمكن رسم غير مستقيم واحد » .	
بديهيات	Axioms.
قضية اعترف بها ولا يحتاج فى تأييدها إلى قضايا أبسط منها مثل « أنصاف الأشياء المتساوية متساوية » .	
معطيات	Data.
معلومات تقدم لتستنتج منها قضايا مطلوبة	
مأخوذات	Lemmas.
دعوى سبق برهنها واحتيج إليها للبرهنة على دعوى أخرى فتذكر فى الصدر قبل البدء فى البرهنة .	
افتراض	Assumption.
فكرة يؤخذ بها فى البرهنة على قضية أو حل مسألة .	
العمل	Construction
فى الهندسة هو رسم شكل ما على طريقة معينة .	
التماس	Contact.
إذا اشترك منحنيان أو سطحان فى نقطة ما وكان التماس عند هذه النقطة لكل من المنحنيين أو السطحين واحداً قيل للمنحنيين إنهما متماسان أو فى حالة تماس .	
الوتر	Chord.
المماس	Tangent.
إذا قطع مستقيم جزءاً من منحن متصل فى نقطتين منفصلتين سعى المستقيم وتراً فإذا تقاربت النقطتان حتى تنطبقا فى النهاية صار الوتر مماساً . Tangent للمنحنى وتسمى النقطة « نقطة التماس »	
النقطة « نقطة التماس »	Point of contact.

Tangent plane. المستوى المماس

المستوى المماس لسطح منحن عند نقطة هو المستوى الذى يجمع كل المماسات المرسومة من هذه النقطة للمنحنيات المرسومة على هذا السطح مرة بهذه النقطة .

Multiplication. الضرب

هو تكرار عدد ما مرات بقدر ما فى عدد آخر من الوحدات .

$$7 \times 4 \text{ معناها } 7 + 7 + 7 + 7$$

Circumscribed circle. الدائرة المحيطة (بمثلث)

هى الدائرة التى تمر بروؤسه .

Inscribed circle. الدائرة المحوطة (بمثلث)

هى الدائرة التى تماس أضلاعه من الداخل .

Converse of a theorem. عكس النظرية

إذا اتفق فى نظريتين أن تكون نتيجة إحداهما مقدمة الأخرى ومقدمة الأولى نتيجة الثانية قيل إن إحداهما عكس الأخرى .

Equilateral متساوى الأضلاع

هو شكل جميع أضلاعه متساوية فى الطول

Exercise . تمرين

Problem. مسألة

المسألة أو التمرين هو ما يطلب أن يبرهن عليه بتطبيق نظرية واحدة أو أكثر .

Example. مثال

هو مسألة أو تمرين يوضح به قاعدة أو نظرية .

Figure. شكل (فى الهندسة)

هو ما يرسم لتمثيل شئ حسى أو معنى .

Graduation. التدريج

هو التقسيم إلى أجزاء ويطلق أيضاً على علامات التقسيم .

Hexagon. مسدس

شكل عدد أضلاعه ستة .

Heptagon. مسبع

شكل عدد أضلاعه سبعة .

Included angle. الزاوية المحصورة

هى الزاوية المحصورة بين خطين معينين متقاطعين .

Pentagon.	مخمس شكل عدد أضلاعه خمسة .
Origin.	الأصل هو نقطة تقاطع محاور الإحداثيات
Scale drawing.	رسم بمقياس هو الشكل المرسوم بمقياس معين ينص عليه .
Height.	الارتفاع (في الهندسة) هو طول العمود النازل من الرأس إلى القاعدة .
Altitude or Height.	ارتفاع ارتفاع الشيء هو بعده الرأسى أو بعد قمته عن المستوى الذى يتخذ مبدأ للقياس .
Depth.	عمق كل بعد رأسى تحت المستوى الذى يتخذ مبدأ للقياس يسمى عمقاً .
Perimeter.	المحيط هو الخط المنحنى أو المنكسر الذى يحدث شكلاً هندسياً .
Proof.	البرهان هو ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها .
Property.	خاصة هى صفة تميز الشيء عن غيره .
Protractor.	المنقلة هى آلة لقياس الزوايا فى الرسم .
Pair.	الزوج هو ما يتكون من شيئين بينهما رابطة .
Positive.	موجب
Negative.	سالب
	فى الرياضيات يعنى بالمقدار الموجب ما يقصد إثباته أو زيادته وبالمقدار السالب ما يقصد نفيه أو إنقاصه .
Illustration.	إيضاح هو التبيان برسم أو بمثال
Geometrical Representation.	التمثيل الهندسى هو التعبير الهندسى عن مفهوم ما .

Interpretation.

تفسير

بيان ما تنطوى عليه قضية هندسية من معان جبرية أو بيان ما تنطوى عليه قضية جبرية من معان هندسية .

Explanation.

شرح

توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة .

Scale.

مقياس

في الرسم آلة مدرجة تستعمل للقياس .

Sketch.

رسم تخطيطي (كروكي)

هو رسم توضيحي أو تمثيلي لا يلتزم فيه الدقة .

Symmetry.

التماثل

النقطتان المتماثلتان هما اللتان تكونان عن جنبتى مستقيم معين أو مستو معين وعلى بعدين متساويين منه . ويسمى الخط المستقيم « محور التماثل » Axis of symmetry ويسمى المستوى « مستوى التماثل » Plane of symmetry. والشكلان المتماثلان هما اللذان يتكونان من نقط متماثلة .

Congruence.

تطابق

في المثلثات أو الأشكال هو تساويها من جميع الوجوه بحيث يمكن تصور انطباق أحدها على الآخر تمام الانطباق .

Superposition.

تراكب (في الأشكال)

هو تصور وضع شكل على آخر .

Coincidence, Coalescence.

انطباق (في النقط والمستقيمات)

هو توحيد النقطة بالنقطة أو الخط بالخط .

Set Square.

كوس

هو آلة على شكل مثلث به زاوية قائمة تستعمل في الرسم الهندسى .

Theory (of a subject)

نظرية (لموضوع)

هى القواعد الرياضية التى تنبنى عليها دراسة الموضوع .

Theory of machines.

نظرية الآلات

هى القواعد الرياضية التى ينبنى عليها عمل الآلات .

Theory of equations.

نظرية المعادلات

هى القواعد الرياضية التى تنبنى عليها حلول المعادلات .

Theory of structures

نظرية الإنشاءات

هى القواعد الرياضية التى تنبنى عليها حلول مسائل الإنشاءات .

Verification.

التحقيق

هو الاعتبار بحالات خاصة للتحقق من نتيجة عامة .

Slide rule

مسطرة حاسبة

آلة ذات مقاييس مدرجة على صفة خاصة تستعمل لاستخراج نتائج العمليات الحسابية وقيم بعض المقادير الرياضية .

Bevelled.

المشطوف

إذا قطع جسم كالمشور بمستوى لايوازي إحدى قاعدتيه سمى كل من الجزأين مشطوفاً .

Wedge.

الإسفين

هو منشور ثلاثي يستعمل في أغراض كثيرة منها ربط جسم بآخر أو الإبقاء على الانفراج بين جزأين متماسكين أو توسيع الانفراج أو كسر جسم .

Intercept.

الجزء المحصور

(من مستقيم ما) : هو جزؤه الواقع بين خطين أو سطحين .

Sectional area.

مساحة المقطع

هي مساحة الشكل الناتج من قطع جسم بمستوى .

Cross-section.

مقطع مستعرض - مقطع عرضي

هو الشكل الناتج من قطع جسم بمستوى في الاتجاه العمودي على طوله .

Longitudinal section.

مقطع طولي

هو الشكل الناتج من قطع جسم بمستوى مواز لطوله .

Definition

تعريف

هو تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة .

Classification

تصنيف

هو تقسيم الشيء أصنافاً يتميز بعضها عن الآخر .

Reductio ad absurdum, False position

قياس الخلف

قياس يقصد منه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو فساد المطلوب بإثبات نقيضه .

Method of inspection.

طريقة التحسس

هي طريقة تجرب بها حلول محتملة لمعرفة الموصل منها إلى المطلوب .

Cross-ratio

النسبة التبادلية

إذا كونت النقط a, b, c, d ، واعتبرنا a, b, c ، د نقطتين تقسمان المستقيم ab منالداخل والخارج سميت النسبة $\frac{a}{b} : \frac{c}{d}$ النسبة التبادلية للصف (a, b, c, d) وإذا كونت المستقيمت a, b, c, d ، م د حزمة فإن النسبة $\frac{a}{b} : \frac{c}{d}$: $\frac{a}{b} : \frac{c}{d}$

تسمى النسبة التبادلية للحزمة م (ا ب ، ج د) وإذا تساوت النسبة التبادلية لصفين أو لحزمتين قيل إنهما متساويا النسبة التبادلية (Equi-cross)

متساوية البعد
Equidistant.
إذا تساوت أبعاد نقطة عن نقط معينة أو مستقيمت معينة أو مستويات معينة قيل إنها متساوية البعد .

المحور الأساسي
Radical axis.
المحور الأساسي لدائرتين هو المحل الهندسي للنقطة التي يمكن أن يمد منها مماسات متساوية لهاتين الدائرتين ، والمحور الأساسي لثلاث كرات هو المحل الهندسي للنقطة التي يمكن أن يمد منها مماسات متساوية لهذه الكرات .

المستوى الأساسي
Radical plane.
المستوى الأساسي لكرتين هو المحل الهندسي لنقطة يمكن أن يمد منها مماسات متساوية لهاتين الكرتين .

اتجاه المستقيم
Sense of a line.
هو الجهة التي يمتد إليها المستقيم متى تعينت .

المركز الأساسي
Radical centre
(لثلاث دوائر) هو النقطة التي يمكن أن يرسم منها مماسات متساوية لهذه الدوائر ، وقد تشترك أكثر من ثلاث دوائر في هذا المركز .
ولأربع كرات هي النقطة التي يمكن أن يرسم منها مماسات متساوية لهذه الكرات ، وقد تشترك أكثر من أربع كرات في هذا المركز .

دوائر متحدة المحور
Coaxal (co-axial) circles.
هي مجموعات من الدوائر اشتركت في المحور الأساسي لأي دائرتين منها .

النقطتان المحددتان
Limiting points.
لمجموعة من الدوائر المتحدة المحور هما دائرتان من هذه المجموعة آلت كل منهما إلى نقطة .

منصف
Bisector.
هو ما يقسم الشيء إلى قسمين متساويين .

تنصيف
Bisection.
هو التقسيم إلى قسمين متساويين .

تثليث
Trisection.
هو التقسيم إلى ثلاثة أقسام متساوية .

على التوالي
Respectively.
هو ما يفيد الترتيب مع التعقيب .

Cuboid. متوازي المستطيلات (شبه المكعب)

هو الجسم المحدود بستة مستطيلات .

Common side. الضلع المشترك

إذا كان ضلع بعينه في أكثر من شكل واحد قيل إنه ضلع مشترك .

Common tangent. المماس المشترك

إذا كان مماس بعينه مماساً لأكثر من منحن أو سطح منحن واحد قيل إنه مماس مشترك .

Pedal line, Simson's line. مستقيم المواقع - خط سيمسون

هو المستقيم الذي يمر بمواقع الأعمدة الساقطة على أضلاع مثلث من نقطة على محيط الدائرة المارة برؤوس هذا المثلث .

Re-entrant angle. زاوية معكوسة

هي الزاوية التي تزيد عن قائمتين .

Perigon. الزاوية المحيطة

هي الزاوية التي تساوي أربع قوائم .

Pencil. حزمة

مجموعة من المستقيمتين تتقاطع في نقطة واحدة ، أو مجموعة من المنحنيات تمر جميعها بنقط معينة ، أو مجموعة من السطوح تشترك في منحن واحد .

Net. شبكة

وهي مجموعة من منحنيات أو سطوح تتعين بشرطين .

Rhomboid. الشبيه بالمعين (متوازي الأضلاع . كذا في كشاف اصطلاحات الفنون)

هو متوازي الأضلاع الذي لا يتساوى فيه ضلعان متجاوران ولا يحصران بينهما زاوية قائمة .

Sexagesimal method. الطريقة الستينية

هي النظام القائم على اتخاذ الوحدة ستين قسماً .

Ranging rod or pole. شاخص (في المساحة)

ساق تستعمل في الرصد أو للقياس .

Chain. سلسلة زنجيز (في المساحة)

مقياس يتركب من أجزاء متساوية الطول يتصل بعضها بالآخر يستعمله المساحون .

Sextant. ذات السدس (السدسية)

آلة بصرية ذات مقياس مدرج على شكل قوس دائرية طولها سدس محيط الدائرة تستعمل

لقياس الأبعاد الزاوية .

Quadrant. ذات الربع (الربعية)

آلة بصرية ذات مقياس مدرج على شكل قوس دائرية طولها ربع محيط الدائرة تستعمل

	لقياس الأبعاد الزاوية .
Astrolabe.	الاسطرلاب (في الفلك والملاحة)
	آلة قديمة لقياس الزوايا .
Theodolite.	المزواة
	آلة دقيقة يستعملها المساحون لقياس الزوايا .
Revolution.	دورة
	حركة حول مركز في مدى ٣٦٠° .
Adjacent.	المجاور
Opposite.	المقابل
	في المثلث ا ب ج القائم الزاوية في ب يسمى الضلعان ا ب ، ب ج « المقابل » و « المجاور » للزاوية ج على التوالي .
Sine.	الجيب
	هو نسبة المقابل إلى الوتر ويرمز له بالرمز « جا » .
Cosecant.	قاطع تمام
	هو مقلوب الجيب ويرمز له بالرمز « قتا » .
Cosine.	جيب تمام
	هو نسبة المجاور إلى الوتر ويرمز له بالرمز « جتا » .
Secant.	قاطع
	هو مقلوب جيب تمام ويرمز له بالرمز « قا » .
Tangent.	ظل
	هو نسبة المقابل إلى المجاور ويرمز له بالرمز « ظا » .
Cotangent.	ظل تمام
	هو مقلوب الظل ويرمز له بالرمز « ظتا » .
Scalene.	مختلف الأضلاع
	شكل اختلفت أضلاعه طولاً .
Homologous sides, Corresponding sides.	الأضلاع المتناظرة
	في المثلثين إذا تساوت زاويتان في مثلثين فالضلعان المقابلان لهما يسميان ضلعين متناظرين .
	في الشكلين : إذا تساوت زاويتان في شكلين بزاويتين في شكل آخر قيل للمستقيم الواصل بين رأسيهما في أحد الشكلين والمستقيم الواصل بين رأسيهما في الآخر إنهما متناظران .
Pantograph.	منساخ
	آلة لنقل الشكل مكبراً أو مصغراً أو مساوياً .

- Proportional compass.** منساب
فرجار يمكن تغيير نقطة اتصال ساقيه لتصغير الأبعاد المقاسة به أو تكبيرها بنسب معينة .
- Concyclic Points.** نقط على محيط الدائرة
- Concentric.** متحدة المركز
أشكال هندسية تتحد في المركز .
- Skew surface.** السطح المتخالف
هو سطح لا يمكن بسطه إلى مستو كسطح الكرة .
- Spherical cap.** الكمة الكروية (الطاقة الكروية)
إذا قطع مستوى كرة فإن السطح المنحني لكل من القطعتين الكرويتين اللتين تنقسم إليهما الكرة يسمى الطاقة الكروية .
- Developable surface.** السطح المتبسط
هو سطح يمكن بسطه إلى مستو كسطح الأسطوانة .
- Spherical zone or spherical belt.** المنطقة الكروية أو الحزام الكروي
إذا قطعت الكرة بمستويين متوازيين فإن السطح المنحني للقطعة الكروية المحصورة بين المستويين يسمى المنطقة الكروية أو الحزام الكروي .
- Slant height.** الارتفاع الجانبي
هو ارتفاع أحد الأوجه الجانبية في مجسم ، وفي المخروط هو طول راسمه .
- Truncated pyramid.** هرم مقطوع
هو هرم قطع منه جزء من جهة رأسه بمستو .
- Frustum of a pyramid.** هرم ناقص
هو هرم مقطوع فيه المستوى القاطع يوازي القاعدة .
- Frustum of a sphere.** كرة ناقصة
هو الجزء من الكرة الذي قاعدتاه مستويان متوازيان .

ألفاظ علم النبات التي وردت في المعجم اللغوي الوسيط

وتولت شرحها لجنة علوم الأحياء والزراعة (١)

١ - الثَعْرُور :

المعجم : القشاء الصغير وثمر شجرة مرة .
اللجنة : توافق على أن الثعورور والجمع ثعارير هو القشاء الصغير .

٢ - الثَعَالَة :

المعجم : الكلاً اليابس أو عنب الثعلب .
اللجنة : الثعالة هو الفنا وهو الرَبْرَقُ - انظر المادة (ابن سيده) .

٣ - عنب الثعلب :

المعجم : ضرب من النبات .
اللجنة : عنب الثعلب هو الفَنَّا والرَبْرَقُ *Solanum nigrum* L. من الفصيلة الباذنجانية *Solanaceae* عشب حولي ينبت في معظم المناطق يسمى إلى ٦٠ سم ساقه مضلعة مزغبة قليلاً ، ورقة بيضى إلى رمحى معنق والنورة محدودة على شكل خيمة قليلة الأزهار ، والثمرة لينة كروية ملساء حمراء داكنة إلى السواد . وهو المعروف في مصر « بعنب الديب » .
(ابن البيطار - داود)

٤ - الثَغَاءَة :

المعجم : حبة الخردل .
اللجنة : حبة الخردل وهو نوعان : الأسود *Brassica nigra* Koch والأبيض *B. alba* Hook من الفصيلة الصليبية *Cruciferae* وهما نباتان حوليان ينبتان في المناطق المعتدلة وعادة في حقول البرسيم كذلك ، والورق متبادل والزهر أصفر يخلف خردلة ، ويتميز نبات الخردل الأسود من الأبيض بأن الأول أملس غير مزغب والثمرة طويلة لاطئة وعنق الثمرة ومنقارها قصيران

(١) اجالت لجنة للمعجم الوسيط مجموعة من الألفاظ للمعجم المتعلقة بالنبات إلى لجنة علوم الأحياء والزراعة لشرحها يتفق مع التقديم الملى في الأزمنة الحديثة ، وتستطيع لجنة للمعجم الارتفاع به فيما تضع من تماريف . فوضعت لجنة علوم الأحياء والزراعة هذه الشروح وعرضتها على المجلس في الدورة السادسة عشرة ، ثم على المؤتمر في الدورة السابعة عشرة ، فأقرها على الصورة للثبته هنا .

بدون زغب . والبزور صغيرة كروية داكنة في الأولى صفراء في الثانية ، وهي حريفة ، والأسود له رائحة لاذعة إذا مزج بالماء أما الثاني فلا تظهر له رائحة .

٥ - الثلاثان :

المعجم : يبيس الكلاً وعنب الثعلب .

اللجنة : الثلاثان هو الثلاثان وهو عنب الثعلب ، والبرق والفنا وهو *Solanum nigrum* من الفصيلة الباذنجانية *Solanaceae* انظر المادة (ابن البيطار وابن سيدة) .

٦ - الثلثة :

المعجم : الثمرة التي أدركت .

اللجنة : توافق على أنها هي الثمرة التي أدركت .

٧ - الثامر :

المعجم : اللوبياء ، ونور الحماض وهو أحمر ويقال هو اسم لثمره وحمله .

اللجنة : توافق على أنها اللوبياء كما ذكر داود وهي *Vigna sinensis* Endl. من الفصيلة البقلية *Leguminosae* انظر المادة .

٨ - الثمام :

المعجم : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشى به ، وسد به خصاص البيوت ، قصير لا يطول ، وهو موجود الآن كثيراً في البوادي باسمه إلى الآن .

اللجنة : هو الأط وهو الشوش . وهو *Panicum turgidum* Forsk من الفصيلة

النجيلية *Graminae* . نبات يسمو إلى ٦٠ - ١٥٠ سم ذو سطح أملس مغطى

بطبقة شمعية ، كعوبة جامدة تشبه القصب وعقده غليظة ، ويكون فروعاً

كثيرة جداً وفروعه مزدحمة متجمعة ، كثيراً ما تنتهي بنصل قصير مستدق الطرف ،

أوراقه صغيرة متجمعة خضراء باهتة في هيئة ورق الزرع ، والنورة سنبل

مدلاة على شكل سنابل الدخن البري ، وله جذور طويلة اسفنجية وخاصة في

الأرض الرملية ليخزن فيها الماء . وطعم النبات فيه يسير حلاوة (عن أبي عباس

الحافظ وعيسى وبديقيان وشرف) .

٩ - الثوم :

المعجم : نبات دقيق العرق والساعد يطول دون ذراع وتولد له في الأرض فصوص

كثيرة وهو شديد الحرارة قوى الرائحة .

اللجنة : هو *Allium sativum* L. من الفصيلة الزنبقية *Liliaceae*. وهو عشب دقيق يسمو إلى ذراع وله في الأرض فصوص كثيرة ، وهو شديد الحرارة قوى الرائحة وأوراقه طويلة جوفاء وأزهاره بيضاء متجمعة في نورة مركبة ويزرع النبات لفصوصه الحريفة التي تستعمل في الطهو والطب .

١٠ - الذَّيْل والثَّيْل :

المعجم : شجر أخضر ورقه كورق البز إلا أنه أقصر ونباته فرش على الأرض يذهب ذهاباً بعيداً ويشتبك حتى يصير على الأرض كاللثبد وله عقد كثيرة وأنايب قصار ولا يكاد ينبت إلا على ماء أو في موضع تحته ماء .
اللجنة : هو النَّجِيل والنَّجِيز والنَّجْم .

وهو *Cynodon dactylon* pers من الفصيلة النجيلية *Graminae* وهو عشب معمر ورقه كورق البر إلا أنه أقصر ونباته يفرش على الأرض ويذهب ذهاباً بعيداً وله سوق أرضية ذات عقد كثيرة وأنايب قصيرة ذات طعم حلو مسخ . (داود . ابن البيطار . جالينوس) .

١١ - السَّيْرَج :

المعجم : الشيزج .
اللجنة : هو الزيت المستخرج من السمسم (انظر مادة السمسم) .

١٢ - الشَّمَر :

المعجم : الشَّمار .
اللجنة : الشمر هو شمار . (انظر مادة شمار) .

١٣ - الصَّيْص :

المعجم : لغة في الشيص .
اللجنة : لغة في الشيص والشيش (انظر المادة) .

١٤ - الصَّال :

المعجم : السَّدر البرى لغة في الضال .
اللجنة : الضال أو الضال هو السَّدر البرى وهو *Zizyphus lotus* Lam من الفصيلة النبقية *Rhamnaceae* شجيرة شائكة كثيرة التفرع موطنها الأصلي في بلاد البحر الأبيض المتوسط لها ثمرة في حجم الزيتون ، فيها حلاوة (ابن البيطار . داود . بديقان) .

١٥ - الشولم والشيلم :

المعجم : الشآلم .

اللجنة : شولم ، وشيلم ، وشآلم ، (انظر مادة شآلم) .

١٦ - الضب والضبة :

المعجم : قبل أن تنفلق عن الغريض الطلعة .

اللجنة : الضب والضبة ، الجمع ضبَاب ويطلقان على الطلعة قبل أن ينشق عنها إغريضها (ابن سيدة) .

١٧ - الضبّر :

المعجم : شجر جوز البرّ وهو جوز صلب يُنَوَّر ولا يعقد ، وهو من نبات جبال السراة وهو الذي يسميه أهل الحضرة جوز بوما أو جوز بُوَا (جوز الطيب) وليس هو الرُّمان البرّي .

اللجنة : الضبّر وهو شجر الجوز أو جوز البرّ . *Juglans regia* L. من الفصيلة الجوزية *Juglandaceae* وهو ينبت في آسيا الصغرى ومعظم بلاد أوروبا ويسمو إلى عشرة أمتار وأوراقه مركبة عديمة الأذينات وأزهاره صغيرة أحادية الجنس وتورته هريّة والثمرة حسلة تحتوى على بذرة واحدة غنية بالزيت وهى عند عامة أهل مصر الجوز أو عين الحمل وهى ليست جوز بوما ولا جوز بُوَا ولا جوزة الطيب .

١٨ - الضبّر :

المعجم : لغة في الضبّر بمعنى شجر جوز البرّ .

اللجنة : موافقة .

١٩ - الضبّرة :

المعجم : واحدة الضبر بمعنى شجر جوز البرّ السابق .

اللجنة : موافقة .

٢٠ - الضرامّة :

المعجم : شجر البُطم .

اللجنة : هو *Pistacia terebinthus* L. من الفصيلة البطمية (انظر مادة بُطم) .

٢١ - الضَّرَم :

المعجم : ضرب من الشجر أغبر الورق كورق الشيح وله ثمر كالبوط أخمر إلى السواد وله زهر أبيض صغير كزهر السعبر كثير العسل طيب الرائحة .

اللجنة : الضَّرَم هو الأسطوخودس ، وهو *Lavandula stoechas* L. من الفصيلة الشفوية *Labiatae* وهو نبات شجيري معمر ينبت في بلاد البحر الأبيض المتوسط ، أغبر الورق ورقه كورق الشيح وزهره فرفيري صغير كزهر السعبر طيب الرائحة ، ثمره جاف أخمر إلى السواد وطعمه حريف مع مرارة يسيرة . (ابن البيطار . عيسى . تاج العروس . بديشان . شرف) .

٢٢ - الضَرَو :

المعجم : الحبة الخضراء .

اللجنة : هو شجر البُطْم البَرِّي أو شجر المصطكى *Pistacia lentiscus* L. من الفصيلة البُطْمِيَّة *Anacardiaceae* شجيرة دائمة الخضرة تنبت في بلاد آسيا الصغرى وغيرها من بلاد البحر الأبيض المتوسط ، تسمو إلى ١ - ٣ أمتار ورقها مركب زوجي الوريقات . والنورة غنقودية صغيرة والثمرة حسة حمراء إلى السواد، ويسيل من النبات راتنج يعرف بالكَمَكَم أو المصطكى وله رائحة طيبة . (داود . ابن سيدة . عيسى . القرطبي . ابن البيطار . شرف . مايرهوف . الغافقي) .

٢٣ - الضَّغْبُوس :

المعجم : غُصْنُ الثَّمَام ، أو النبت كالحليون أو نبت في أصل الثمام يشبه الحليون يسلق بالخل والزيت ، ويؤكل . أو شوكة غصن رخص يؤكل .

اللجنة : الضَّغْبُوس والجمع ضَغَابِيس وهو الحليون وأسفراج واسفراغ وكيشك الماس (مصر) هو *Asparagus officinalis* L. من الفصيلة الزنبقية *Liliaceae* وهو نبات معمر ، ينبت في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ، ساقه قائمة كثيرة التفرع تخرج من أصول متضخمة بيضاء تؤكل ، وأزهاره صغيرة بيضاء مخضرة ، وثمرته صغيرة حمراء كروية بها بزور وهي لينة .

٢٤ - الضَّعْفَانَة :

المعجم : ثمرة السعدانة ذات الشوك وهي مستديرة كأنها ملكة لاتراها إذا هاج السعدان وانتثر ثمره إلا مستلقية - قد كشرت عن شوكة وانتصبت لقدم من يطؤها .

اللجنة : ترى اللجنة أن الضَّعْفَانَة هي ثمرة السعدانة (ج سعدان) وهو اللُّصِيْق (العريش) والشبيط (مصر) وهو *Neurada procumbens* L. من الفصيلة الوردية Rosaceae وهو عشب حولي منبسط منفرش ينبت في بلاد البحر الأبيض المتوسط وتسمو بعض فروعه إلى ١٥ سم وهو مشعر وأوراقه بيضيه تقريباً مفصصة ريشية ، أزهاره فردية وثمرته جافة مستديرة قطرها نحو ١,٥ سم تحمل أشواكاً صغيرة تعلق بما يلامسها وبها بذرة واحدة .
(داود . ابن البيطار . عيسى . شرف) .

٢٥ - الضُّومَران والضَّمِيران :

المعجم : ضرب من الشجر أو من ريحان البر أو الريحان الفارسي .
اللجنة : الضمران هو الضميران والضموران وهو النَّعْنَع أو النعناع أو الننع البري *Mentha aquatica* L. من الفصيلة الشفوية Labiatae وهو عشب معمر طيب الرائحة موطنه المناطق المعتدلة وحوض البحر الأبيض المتوسط أوراقه متقابلة مزغبة وأزهاره صغيرة تتجمع في نورات كثيرة وساقه مضلعة وينمو على شواطئ الترع والقنوات والأنهار .
(.اللسان . ابن البيطار . بديقيان . عيسى . تعليق مايرهوف على القرطبي) .

٢٦ - الضُّهيا والضُّهيا والضُّهياء :

المعجم : شجر أو نبت ملبنة ومسمنة للإبل ونحوها .
اللجنة : الضهيا وواحدته ضهياء ، تطلق على نباتات جنس *Carduus* L. من الفصيلة المركبة Compositae ونباتات هذا الجنس شائكة وأوراقها ذات حافة شائكة أيضاً والنورة هامة ذات قنابات شائكة والثمرة سبسة .

٢٧ - الضَّال :

المعجم : السَّدر البزى أو مايسقيه المطر منه .
اللجنة : هو السَّدر البري *Zizyphus Lotus* L. أنظر المادة .

٢٨ - الطَّبْيِيخ :

المعجم : البِطْيِيخ أو محرف عنه وهي لغة أهل الحجاز أو أهل المدينة .
اللجنة : هو البطِيخ (انظر المادة) .

٢٩ - الطُّبَّار :

المعجم : شجر يشبه التين إلا أنه أرق ووصفه أبو حنيفة في كتاب النبات فقال هو أكبر تين رآه الناس أحمر كمين أنى تشقق ، وإذا أكل قُشِّرَ لغلظ قشره فيخرج أبيض يكتفى الرجل منه الثلاث أو الأربع تملأ منه التينة كف الرجل ويزبب أيضاً .

اللجنة : الطُّبَّار ضرب من التين *Ficus carica L.* من الفصيلة التوتية *Moraceae* (انظر المادة) (اللسان ، عيسى .. الخ) .

٣٠ - الطُّبَّاق :

المعجم : شجر نحو القامة ينبت متجاوراً لا تكاد ترى منه واحدة منفردة ، وله ورق طوال دقاق خضر ، تتلجج إذا غمزت ، وله نور أصفر مجتمع تأكله الغنم ولا تأكله الإبل ومنايته جبال مكة أو تهامة ، ومخرجه بلاد الحجاز .

اللجنة : الطُّبَّاق هو *Inula Saxatilis lam.* من الفصيلة المركبة *Compositae* نبات يطول نحو القامة ينبت في الأراضي الجبلية متجاوراً ، وهو مزغب يذوق اليد وله ورق طوال دقاق خضر تتلجج إذا غمزت وله نور أصفر مجتمع .

٣١ - الطُّحْلُب :

المعجم : خضرة تعلو الماء المزمّن أو شيء أخضر لزج يخلق في الماء ويعلوه وهو الذي يكون على وجه الماء المزمّن كنسيج العنكبوت .

اللجنة : يطلق هذا الاسم في الاصطلاح النباتي الحديث على مجموعة كبيرة من النباتات المائية البسيطة التركيب توجد في الماء العذب والملح الجارى والراكد كما توجد في التربة وعلى سطوح الأحجار وسوق الأشجار . وهي متعددة الألوان فقد تكون خضراء أو زرقاء أو حمراء أو سمراء وكلها تحتوي على مادة اليخضور وهي لذلك تعتمد على نفسها في تكوين غذائها وتعزى الألوان المختلفة إلى صباغ أخرى توجد في خلاياها كما أنها متعددة الصور فمنها ماهو وحيد الخلية ومنها ماهو متعدد الخلايا ، وقد تكون خيطية أو ورقية وقد يكون لها ما يشبه الأوراق والسوق والجذور واسمها العلمي طُحْلُب *Alga* والجمع طَحَالِب *Algae* وقد سبق للمعجم أن أقر هذا الاصطلاح .

٣٢ - الطُّرْتُوث :

المعجم : نبت رملي ينبت على وجه الأرض طويل مستدق كالقطر يضرب إلى الحمرة . وهو ضربان : أحمر وهو حلو وأبيض وهو مزّ ، أو نبت على طول الدراع لا ورق له ولا ثمر ومنبته الرمال والأرض السهلة وفيه حلاوة مشربة بعفوصة وهو أحمر مستدير الرأس .

اللجنة : طُرْتُوث وجمعها طَرَاثِيث هو *Gynomorium coccineum* L. من الفصيلة البلانوفورية *Balanophoraceae* وهو عشب معمر طفيلي زهري ينبت في بلاد البحر الأبيض المتوسط تسمو سويقتة (الخنبوط أو الشمراخ الزهري) وهي الجزء الذي يظهر فوق سطح الأرض إلى نحو ٢٠ سم ، وتحمل أوراقاً صغيرة حرشفية تتساقط وتنتهي بنورة إغريضية منتفخة هي النكبة وتحيطها قنوة حمراء وثمرتها فقيرة صغيرة .

(داود . ابن البيطار . القرطبي . شرف . عيسى . بديشيان) .

٣٣ - أَطْعَمَهُ (التطعيم) :

المعجم : الغصن بآخر من غير شجره وصله به وركبه فيه ليتكون من الغصنين المركبين غصن آخر ينمو ثمرأً جديداً .

اللجنة : توافق على ذلك والمقصود عملية التطعيم المعروفة في فلاحه البساتين .

٣٤ - الطفية :

المعجم : خوصة المقل وهو شجر الدوم .
اللجنة : توافق على ذلك .

٣٥ - البَابُونج :

المعجم : زهرة معروفة كثيرة النفع وهي المشهورة في اليمن بِمُوْنِس وفي شفاء الغليل بابونجك بمعنى الأقحوان مولدة - والناس يقولون بابونج على قياس التعريب .

اللجنة : يطلق هذا الاسم على نوارات نباتين هما *Anthemia nobilis* L. و *Matricaria chamomilla* L.

وكلاهما من الفصيلة المركبة *Compositae* . والأول نبت منسطح معمر والثاني قائم حولي ويتشابهان من النورة (وهي بيضاء اللون) والرائحة وتحت النورة في الأول مصمت وفي الثاني أجوف ويزرع كلاهما في مصر الآن وإن كان الثاني أكثر شيوعاً .

٣٦ - البَادِرُوح :

المعجم : بقلة معروفة طيبة الريح : تقوى القلب جداً وتقبض إلا أن تصادف بقلة فتسهل وهي نبطى أوفارسى .

اللجنة : هو الحبق الريحاني والريحان *Ocimum basilicum* L. من الفصيلة الشفوية *Labiatae* وهو عشب حولي ينبت في كثير من بلاد آسيا وإفريقيا قائم يسمو إلى ٩٠ سم وهو أملس وقليل الشعر وأوراقه وزهره غنى بزيت عطري طيب الرائحة .

٣٧ - الباذنجان :

المعجم : ضرب من الخضر فارسي معرب .
اللجنة : واحدته باذنجانة وهو الأنثى والمفرد والوحد Solanum melongena L. من
الفصيلة الباذنجانية Solanaceae وهو نوع من الخضر معروف تستعمل ثماره
في الأكل ومنه الأسود والأبيض .

٣٨ - الزنبق :

المعجم : زهر يجعل في الشيزج ونحوه يعمل منه دهن كغيره من الأزهار .
اللجنة : يطلق الكتاب المحدثون هذا الاسم على نباتات مختلفة من الفصائل الزنبقية Liliaceae
والنرجسية Amaryllidaceae والسوسنية Iridaceae . وترى اللجنة
أن تخصص كلمة زنبق لأنواع جنس Lilium من الفصيلة الزنبقية Liliaceae
وقد اتفق القدماء في التاج والمعيار واللسان على أن الزنبق هو دهن الياسمين .

بحوث ومحاضرات أقيمت في المجلس والمؤتمر

كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز

للأستاذ عباس محمود العقاد عضو المجمع (*)

ويلاحظ هذا الاقتران بين المعاني المجردة والمعاني المحسوسة في كثير من المسائل الفكرية والصفات الخلقية التي تجتمع في مادة واحدة : كالواجب والفريضة والفضيلة والحكمة والعقل والعظمة والأنفة والعزة والنبيل والشرف والرحمة والجمال والبشر والعلم والشك والثقة والذكاء ، إلى كثير من أشباهها .

فيقال وجب بمعنى ثبت ، والوجبة بمعنى الأكلة في وقت ثابت ، والواجب بمعنى اللازم أو العرف أو المنطق .

ويقال « الفريضة » عن الحشية التي فرضت أي حزت وبينت فيها العلامات ، ويقال « الفرائض » عن الحدود الميينة الواضحة .

والفضيلة كل بقية أو زيادة ، والفضيلة هي الخلق الذي يدل على فضل أو زيادة عند صاحبه ، والفاضل هو الذي عنده زيادة أو يتفضل بعطائه على غيره . والحكمة مادة تجمع بين الدلالة على الرشد والدلالة على الحديدية التي توضع في اللجام تمنع الفرس أن ينطلق غاية انطلاقه ، وهي « الحكمة » .

توجد في اللغة العربية كلمات كثيرة بقي لها معناها الحقيقي مع شيوع معناها المجازي على الألسنة ، حتى يقع اللبس في أيهما السابق وأيها اللاحق في الاستعمال . ونبدأ بكلمتي الحقيقة والمجاز ، وهما أقرب الشواهد على اقتران المعاني الأصلية والمعاني المنقولة في تلك الكلمات . فالحقيقة فكرة مجردة قد تبلغ الغاية في تجردها من المحسوسات ، ولكن مادة الكلمة تستخدم للدلالة على ما يلمس باليد ويقع تحت النظر ، فيقال « انحقت » عقدة الحبل أي انشدت ، وحق بلغ حافة الطريق .

والمجاز من جاز المكان أو جاز به غير معترض ، ويقال هذا جائر عقلا أي غير ممتنع ولا اعتراض عليه ، وهذه كلمة مجازية أي يمكن أن تنطلق في هذا المعنى ، أو أنها تختمله مع معناها الأصل ، وكلمات : انطلق وامتنع واعتراض واحتمل أمثلة أخرى لاقتزان المعنى الأصل والمعنى المنقول . فكلها تستخدم للمحسوسات وغير المحسوسات .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة للمؤتمر (٢٨ ديسمبر ١٩٥٠) .

بها الطريق من مادة واحدة ، وأن الشك مأخوذ من هيئة الرجل الذي يرتاب لأنه يطرق ويتأمل ، أو من الظلع لأنه لا يسير على سواء .

والثقة ما يحصل من اليقين أو من الشد بالوثاق ، والذكاء ملكة الفهم واتقاد النار .

ومن هذه المجازات ما هو قوى الدلالة على أحوال الأمة العربية في حياتها الأولى . فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة .

فالكتابة والشكل بمعنى القيد ، والرسم أثر خطو الإبل على الرمل في رسمها أو سيزها على العموم ، والبلاغة من الوصول إلى غاية المسير ، والفصاحة من اللبن الفصيح الذي زال رغو ، والدلالة للقافلة كالدلالة للكلام .

وإذا قال العربي القديم إن العرب قوم أو قبيل فلأنما يعنى بالقوم طائفة من الناس تقوم معاً للقتال . فالشاعر الذي سأل « أقوم آل حصن أم نساء » لم يخطئ الغرض ، وإنما جاء الابس أو جاءت الحاجة إلى التفسير حين أطلقت كلمة القوم على الأمة كلها ، فوجب أن تطلق في معناها هذا على الرجال والنساء .

وما الطائفة وما القبيل ؟ إنهما جارتان على هذا الجرى . فالطائفة أناس يطوفون معاً والقبيل أناس يمضون إلى قبلة واحدة ... ومثل هذا إطلاق كلمة القرن على الذين

والعقل كالحكمة والحكمة فما يشبه هذين الغرضين ، ويقال تعقل الأمر أى تدبره وأدركه . وثائق « تدبره » أيضاً بمعنى مشى في أعقابه ، وأدركه بمعنى لحقه ووصل إليه .

أما العظمة فهي صفة العظيم ، والعظيم هو الكبير العظام أو الكبير الأخلاق والمزايا .

والأنفة من حركة الأنف في حالة الترفع والاشمئزاز ، وهي حركة تشبه الإشاحة بالأنف أو ضمه لائقاء رائحة تعاف .

والعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع ، فالعزير في الحالتين غير السهل المباح .

والنبل ما ارتفع من مكان أو شأن ، وكذلك الشرف ، وهما وصفان للخلق الرفيع أو المرتبة الرفيعة .

والرحمة هي عاطفة ذوى الأرحام ، وتدخل العاطفة مثلها في هذا القياس ، فيقال عطف على الإنسان كما يقال عطف على المكان .

والجمال مادة تجمع بين التجميل بمعنى التزين والتجميل بمعنى أكل الشحم ، وكأنما أخذوا وصف الوجه الجميل من الوجه الذى يمتلئ ويلمع : لأنه ليس بشاحب ولا معروق .

وبشر الأديم يبشره بشرا قشر بشرته التى عليها الشعر ، والبشر تهلل بشرة الوجه كأنه ليس عليه حائل ، والبشرة ما ظهر من نبات الأرض وعشبا .

ويبدو أن العليم والعلم والمعلم الذى يعرف

يقترنون في مولد واحد . ثم أطلقت على الزمن الذي يقترنون فيه ، ويشبه أن يكون الجيل بمعنى القرن على فعيل من جال ، ثم تحولت من جويل إلى جيل .

ونستطرد بما تقدم الى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى في استعمال المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في وقت واحد ، فيبدو لنا من هذه المقارنة أن الكلمات التي تستعمل للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة في اللغات الأوربية . وقد يرجع هذا الفارق إلى غير سبب واحد . فلعله راجع إلى تطاول العهد بين بداوة الأمم الأوربية وحضارتها ، ولعله راجع إلى انتقال لغاتها إلى حالتها الحاضرة من لغات قديمة بطل استعمالها وانقطعت فروعها عن أصولها ، ولعله راجع إلى خاصة عربية بدوية في التعبير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية .

وأيا كان السبب فالخلاصة العملية التي نتأدى إليها من هذه الملاحظة أننا لا نحتاج كثيراً إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة ، لأن هذا التسلسل ضروري في اللغات التي يكثر فيها إهمال الكلمة في معنى وسيورتها في معنى آخر . ولكنه لا يبلغ المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على سواء أو على درجات متقاربة .

ومن النتائج العملية لتلك الملاحظة أن نذكر في سياق التجديد والمحافظة على القديم أن العرب كانوا مجددين على الدوام في إطلاقهم الكلمات القديمة على المعاني الجديدة ، ونحن لا نعدو سياقنا هذا حين نلتمس إلى الأصل في كلمة القديم والأصل في كلمة الجديد ، فتتخذ منهما شاهداً على ما ذهبنا إليه .

فالتقدم هو السير بالقدم ، ويقال تقدم أي مشى بقدمه ، كما يقال ترجل أي مشى برجله ، وتقدمه أي مشى أمامه ، ومن هنا التقدم بمعنى السبق والقديم بمعنى الزمن السابق .

ولا ندري على اليقين كيف أطلقت كلمة الجديد على معناها هذا في أقدم أطوارها ، ولكننا ندري أن الجذ هو القطع وأن الثوب الجديد هو الذي قطع حديثاً ، فلعل هذا المعنى من أقدم معاني الجديد ، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق .

وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن أهل العربية جددوا كثيراً في مجازاتهم ، وأننا نستطيع أن نحذو حذوهم .

ونحن نقول « إننا نحذو حذوهم » ولا نظن أننا نبعد في اتخاذ الكلمات لمعانيها المستحدثة مسافة أبعد من المسافة بين الأصل في حذو الجلد وبين المجاز في دلالة على الاقتداء والاهتداء ، ولا أبعد

وشرط اللغة علينا أن نصنع كما صنع أهلها ، فنجدد في المعاني من طريق المجاز بحيث لا يكاد السامع يفرق بينهما لاهلة الأولى : أهي أصل في اللغة قديم أم مجاز جديد .

من الأصل في كلمة (المسافة) حين أطلقت على الموضع الذي يسوف فيه الدليل تراب الأرض ليعرف موقعه من السير ، ثم استعيرت لما نعينه اليوم بالمسافة وهي كل بعد بين موضعين .

الارتجال في ألفاظ اللغة

للدكتور إبراهيم أنيس (خبير لجنتي الأصول واللهجات) (*)

مألوفة في مواد أخرى ، كالذي روى عن رؤبة بن العجاج أنه قال « تقاعس العز بنا فاقعنسا » ؛ فقد صاغ كلمة جديدة من مادة معروفة ، مألوفة في لفظها ومعناها . يروي هذا ابن جني في باب (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) ويعد عمل رؤبة هذا نوعاً من القياس ، ثم يعيد الحديث عن مثل هذا في باب (في الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره) ونراه يقول عن ابن أحر الباهلي الذي روى له الأصمعي كلمات لم تسمع من غيره ما نصه « فلما أن يكون شيئاً أخذه عن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، ولما أن يكون شيئاً ارتجله ابن أحر ؛ فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله ، فقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها » ، ثم يعود ويتحدث عن رأي أبي على الفارسي وإجازته أن نبني اسماً وفعلاً وصفة ونحو ذلك من ضرب مثل رجل ضريب الخ .

حين نقرأ في كتب القدماء من اللغويين — ولا سيما أصحاب فقه اللغة — نراهم يشيرون أحياناً إلى أن طرق الوضع اللغوي هي الارتجال ، والقياس ، والاشتقاق الخ فإذا بحثنا عن معنى ما يسمونه بالارتجال وجدناهم يضطربون في شرحه بعض الاضطراب ، ونراهم لا يكادون يستقرون على أمر في تفسيره . ومن الغريب أن كثيراً من علماء العربية في العصر الحديث يسلكون في فهم هذا « الارتجال » نفس المسلك الذي جرى عليه القدماء دون تحديد أو تدقيق .

على أننا نستشف من كلامهم أنهم كانوا في غالب الأحيان يعنون بالارتجال الاختراع كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في صورتها ، فلا تمت لمواد اللغة بصلة ، أو لا تناظر صيغة من صيغها . ولكنهم في القليل من الأحيان كانوا يطلقون الارتجال ولا يعنون به شيئاً أكثر من الاشتقاق الذي يولد لنا صيغة من مادة معروفة . وعلى نسق صيغ

(*) بحث ألقى في الجلسة الثالثة للمؤتمر (٢٨ من ديسمبر ١٩٥٠) .

ولا ندرى كيف نوفق بين سؤال ابن جني لأستاذه ذلك السؤال الاستنكاري : أفرتبجل اللغة ارتجالاً ؟ وبين قوله ان الأعرابي إذا قويت فصاحته تصرف وارتبجل ! كذلك لا ندرى : ماذا يعنى ابن جني بقوله « تصرف وارتبجل » ؟ أيقصد الاختراع من العدم أم يعنى فقط ذلك الاشتقاق المقيس على شيء معهود مألوف ؟

ولكنه فيما يظهر كان يقر فكرة الارتبجال ، قاصراً هذا الحق على الفصحاء من العرب ، فقد ذكر أن الأصمعي قد روى كلمات عربية عن ابن أحرر الباهلي وقال عنها : لا أعلم أحداً أتى بها غير ابن أحرر ، منها « الجبر » بمعنى الملك ، ومنها كأس « رنوناة » أى دائمة ، ومنها « الديدبون » (١) . ثم أخذ يعدد بضع كلمات رويت عن ابن أحرر وحده . ولكن الغريب في كلام ابن جني أنه قال : ومن هذه الكلمات « البابوس » وهو أعجمي بمعنى ولد الناقة !!

نرى من كل هذا أن ابن جني قد خلط في هذا الباب بين الكلمات المخترعة والمستعارة من لغة أخرى ، والمشتقة اشتقاقاً جديداً قياساً على كلمات مألوفة الصورة بل إن بعض تلك الكلمات التي وصفت بالاختراع يمكن أن نرجعها إلى الفصيلة السامية وذلك مثل كلمة « الجبر » بمعنى الملك التي استشهد لها بقول التائل « واذم

(١) في قاموس المحيط يذكر بمعنى الهر .

صباحاً أيها الجبر ، فيخيل إلينا أنها الكلمة المألوفة المعروفة في العبرية والسريانية والآرامية والتي تعنى فيها جميعاً معنى الرجل والسيد صاحب القوة والنفوذ .

وأغلب الظن أننا إن أجدنا البحث في أصول تلك الكلمات التي قيل عنها إنها مخترعة فسترى أنها تنسب للغة من اللغات ، أو لهجة من اللهجات ، وأنها ليست من الارتجال في شيء .

أما النحاة فلا يعرضون للارتبجال إلا حين يتحدثون عن « العلم » ، ونرى ابن مالك يقول :

ومنه منقول كفضل وأسد
وذو ارتبجال كسعاد وأدد

ويفسرون العلم المنقول بأنه ما أفاد بصيغته معنى في اللغة قبل استعماله للعلمية في حين أن العلم المرتبجل لا يدل في صيغته على أى معنى أو بعبارة أخرى لم يكن قبل العلمية كلمة من كلمات اللغة .

هذا هو رأى جمهور النحاة . غير أنا نرى سيويه . يعتبر الأعلام كلها منقولة ، ونرى الزجاج . يعتبرها كلها مرتجلة .

وقد جاء في قاموس الفيروزبادي أن « فقفس » علم مرتبجل قياسي . ووصف العلم بأنه مرتبجل وقياسي في آن واحد قد يشعر بشيء عن التناقض ولكن ابن يعيش يقسم العلم المرتبجل إلى قياسي أى له نظائر في الوزن بين الأعلام الأخرى غير المرتجلة مثل

« قعس » اسم رجل من بني أسد الذي يتاخر « سلهب » ومعنى سلهب قبل العلمية (الطويل). أما المرتجل الشاذ فمثل « موهب » بفتح العين اسم رجل ، وذلك لأن هذا الوزن لا يكون في اللغة إلا مكسور العين (ابن يعيش ج ١ صفحة ٣٢) .

ولكن ابن جني يؤكد لنا أن روضة وأباه العجاج كانا يرتجلان ألفاظاً ، في رواية محكية عنهما ، ونرى هذه الرواية بنصها في كتب أخرى . وقد شاع أمرها بين اللغويين حتى أوشكت أن تصبح في أذهانهم حقيقة لا يتطرق إليها الشك .

فإذا رجعنا إلى أراجيز روضة وأبيه في تلك المجموعة القيمة التي ألفها وشرحها البكري في كتاب سماه « أراجيز العرب » نرى المؤلف يشرح معاني الألفاظ في سهولة ويسر ، ولا يذكر مطلقاً أن إحدى تلك الكلمات كانت من صنع الراجز وارتجاله أو أن أحد الرواة قد وصفها بمثل هذا الوصف ، حقاً أننا نلاحظ أن معظم كلمات الأراجيز من الحوشي الغريب ، ولكن شتان بين ماهو غريب حوشي وماهو مخترع مرتجل . فإذا تتبعنا ما روى عن روضة - في الأغاني وطبقات الشعراء لابن قتيبة وخزانة الأدب - وجدنا تلك الكتب يكاد يشبه بعضها بعضاً في ذكر بعض طرائف عن روضة مثل شهرته بأكل الفيران واعتزازه بها ، وكتلك القصة التي رواها أبو زيد الأنصاري من أن روضة دخل السوق وعليه برنكان ، فجعل الصبيان يسخرون منه ومن برنكانه ، فيغرزون فيه شوك النخل ، فشكا روضة

أمرهم إلى الوالي ، فأرسل معه أعواناً للقبض عليهم ، فهرب الصبيان إلى دار للصيارفة ، ولما سأل الشرطة عنهم قال روضة « دخلوا دار الظالمين » فسميت دار الظالمين إلى الآن بقوله !

فهل مثل هذا يعد ارتجالاً في اللغة ؟ !

أما رواية يونس عن روضة فتكاد تكون نصاً في أن الرواة كانوا يلحون عليه أن يمدحهم بالغريب النادر ، فكان يستجيب لإلحاحهم ، ويشبع رغبتهم بكلمات لم يألّفوها ، وأقيسة لم يعهدوها ، وبكل ما كان يتنافس فيه الرواة من الإتيان بالغرائب والطرف ، وذلك لأن الرواة كانوا مشغوفين بأن يقفوا على كل جديد لم يعرفوه ، وكان يقضي على العالم في جهله بكلمة ، أو خطئه في مسألة ، فدعا ذلك بعضهم لأن يزيّدوا ، ويختلقوا إذا أخرجوا أو يلتمسوا مثل هذا المخلوق من أعرابي اشتهر بالفصاحة كروضة بن العجاج . ولذا نرى روضة يصيح في يونس بن حبيب حين طالبه بالمزيد قائلاً : حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأذوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك ؟ !

من هذا نرى أن روضة كان يؤلف للرواة ما يشتهون ، ويمدحهم بما يحرصون عليه ويتكالبون . ولكن هل كان روضة يرتجل المسائل ارتجالاً ويخترعها اختراعاً ، أو كان يلجأ فقط إلى القياس والاشتقاق ؟ من الصعب الإجابة عن مثل هذا السؤال إجابة

نطمئن إليها ونستريح لها مع ما لدينا عنه من نتف متناثرة لاتكاد تشبع رغبة الباحث المدقق : نذكر منها تلك الرواية التي جاءت في المزهري تحت عنوان « أغلاط العرب » من أن رؤبة سئل عن زمن الفطحل في قوله :

لو أنني عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل

فقال : أيام كانت الحجارة رطاباً !
وقد اعتبر الثقافة من أهل اللغة تفسيرا لرؤية مثلاً من أمثلة أكاذيب الأعراب .

وربما كان كتاب الشعر والشعراء أجمع تلك الكتب الثلاثة لغرائب رؤبة ؛ فقد عدد المؤلف بضعة مآخذ أخذها على رؤبة ، من خطأ في المعنى حين جعل « الأسود » أخبث من الأفعى في قوله : « فأخطأ الأفعى ولاقي الأسود » .

أو خطأ في صورة الكلمة كقوله « الولق » بفتح اللام للسير السريع . وصحة الكلمة في رأى ابن قتيبة « الولق » بسكون اللام ، وكقوله « ضيق » بفتح الياء وصحة النطق « ضيق » بسكون الياء أو تشديدها .

لم نظفر إذاً لرؤية أو أبيه بما يمكن أن يعد ارتجالاً حقاً رغم أهمها المشهوران بالارتجال في كل روايات القدماء ، بل لم نكد نظفر بنصوص صريحة تؤكد لنا أن الارتجال قد حدث فعلاً في اللغة العربية ،

اللهم إلا بضع كلمات غير منسوبة جاءت في المزهري^(١) على أنها ألفاظ مصنوعة مثل قول ابن دريد في الجمهرة إن الخليل قال : « أما شهيد وهو الرجل الصلب فصنوع لم يأت في الكلام الفصيح ، وكذلك عفشج للثقل الوخم . . الخ » .

على أننا قد نعثر أحياناً في ثنانيا كتب الأدب على ما يفيد أن بعض الشعراء أو الكتاب قد ارتجلوا لفظاً أو لفظين رغبة في التفكه والتظرف كتلك القصة الطريفة التي يرويها صاحب الأغاني^(٢) عن بشار ، وينسبها المسعودي في مروج الذهب^(٣) لأبي العنبس أيام المتوكل ، من أن بشاراً أو أبا العنبس جاء إلى أصدقائه يوماً ، فقال له أحدهم : مالك مغتماً ؟ فقال : مات حمري فرأيت في النوم ، فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال :

هام قلبي بأتان عند باب الأصبهاني
تيمتنى بينان وبدل قد شجاني
إلى أن يقول :

ولما خد أسيل مثل خد الشنفران
فقال له سائله : ما الشنفران ؟

قال : وما يدريني ! هذا من غريب الحمار ؛ فإذا لقيته فاسأله ! ورواية مروج الذهب لهذه القصة أحببك وأدق تفصيلاً ، غير أن الروايات لاتكاد تجمع على صورة واحدة للفظ الشنفران ، فهو في رواية الشنفران وفي أخرى الشغفران بالغين ، وفي ثالثة الشيفران ... الخ .

- (١) ج ١ ص ١٨٢ طبعة عيسى البابي الحلبي .
- (٢) ج ٣ ص ٢ في ترجمة بشار .
- (٣) ج ٤ ص ٤٣

هذا هو كل ما عثرنا عليه بصدد الارتجال في اللغة ، فهل يبرر هذا القدر الضئيل أن يعد الارتجال طريقاً من طرق الوضع كما يزعم بعض القدماء من أصحاب فقه اللغة ؟

رأى المحدثين في الارتجال :

هناك تجربة ظلت في كل العصور التاريخية تداعب عقول المفكرين ، ولا سيما اللغويين منهم ، غير أن أحداً لم يجرؤ على القيام بها حتى الآن . وتلك التجربة هي عزل طفلين أو ثلاثة منذ ولادتهم مع إمدادهم بالغذاء ووسائل الحياة في صمت عميق بحيث لا يسمعون كلاماً إنسانياً قط ، ثم مراقبة نموهم عن كتب عدة سنوات للتعرف على بعض المشاكل التي لاتزال تحير عقول اللغويين في نشأة اللغات ، ولنلمس بأنفسنا كيف يتفاهم هؤلاء الأطفال بعضهم مع بعض : أينطقون بأصوات إنسانية كالتى نفهمها ؟ أتنشأ بينهم لغة ذات أصوات وذات كلمات وذات جمل ، أم يظلون على صمتهم مكتفين بإشارة الأيدي وتعابير الوجوه ؟

أقول ظلت هذه التجربة القاسية تبرق لأعين اللغويين وتمر بمخيلاتهم دون أن تتاح لأحد منهم فرصة تنفيذها والكشف عما وراءها ، وذلك لأنها تنافي الروح الإنسانية . وتتطلب من التضحية أمراً لاتقره القوانين ولا العادات . غير أن بعض الملوك في العهود القديمة قد حاولوا مثل هذه المحاولة وقاموا بما أبته الإنسانية في العصور المختلفة

بعدهم ، كالذى رواه « هيردوت » من أن أحد الفراعنة « أبسمتيك » أراد البرهنة على أن اللغة المصرية القديمة هي لغة الإنسان الأول ، وهى اللغة التى نطق بها الإنسان أول ما نطق ومنها تفرعت اللغات الأخرى ؛ فعزل طفلين في مكان منعزل زمنياً ما ليتعرف على أول كلمة يمكن أن ينطقا بها . ولما جاءه أعوانه بتلك الكلمة التى تصادف أن كانت « بكوس » Bekos أخذ العلماء يحاولون نسبة هذه الكلمة للغة من اللغات التى كانت معروفة في ذلك الزمن ، ووجدوها تعنى « الخبز » في لغة من لغات عهدهم خير المصرية القديمة طبعاً ، مما خيب ظن « أبسمتيك » وأغضبه !

ولكن الذى أباه الإنسان ورفض القيام به عن عمد وقصد ، قامت به ظروف الحياة عن طريق المصادفة البحتة ، غير أن التجربة كانت ناقصة يعثر بها بعض الغموض والإبهام فقد ذكر المحدثون في كتبهم حادثتين :

(١) قصة تلك الفتاة التى ولدت في مزرعة بـ « جرينلند » في أوائل القرن التاسع عشر ، وبدأت تتكلم مع أخيها بلغة غير مفهومة لمن حولها . لقد كانا توأمين ، وقد لوحظ تعلق أحدهما بالآخر ، وشغفهما بالانعزال عن الناس ، فشق ذلك على الوالد وصمم على عزل الأخ عن أخته في مكان بعيد مما أدى إلى وفاة الصبي ، وبقاء الفتاة وحدها تصر في عناد على تكلم اللغة المجهولة الغامضة ، ولما حاول أهلها تعليمها لغتهم تبين لهم استحالة هذا ، وأغلب الظن أنهم لم

يتيحوا لها الفرصة الكافية في هذا التعليم ، وبدأوا في غباوة وسوء تقدير يتعلمون هم لغتها ، وأصبحوا يتفاهمون معها بتلك اللغة الغريبة المنشأة .

وقد قيل من أمر هذه الفتاة إنها كانت خجولا تنفر من الناس ، ولكنها كانت مع هذا على قدر من الذكاء كبير ، سمح لها أن تنظم الشعر بلغتها . ولما شاع أمرها ، وبدأ العلماء يبحثون كلامها ظهر لهم أول الأمر أن كلامها لا يمت للغة « جرينلند » بصلة ما ، إذ وجدوه خاليا من الضمائر خاليا من الصيغ المختلفة الدلالات ، ووجدوا كلماتها قليلة العدد لا يكاد يرتبط بعضها ببعض في جمل أو عبارات متناسقة ، كما وجدوا أنها تستعين كثيراً بإشارات الأيدي إلى حد أنه كان يصعب التفاهم معها في الظلام .

غير أن أحد العلماء Eshricht قد استطاع فيما بعد أن يكشف الغطاء عما حاط كلماتها من غموض وبرهن على أنها لاتعدو أن تكون كلمات من لغة « جرينلند » في صورة ممسوخة مبتورة ، فلا تكون لغة ولا ما يقرب من اللغة .

(٢) المثل الثاني ما رواه Jespersen من أن طفلين نشأ في « كوينهاجن » توأمين أيضاً مع أم لها أرملة ، وقد أهملتهما هذه الأم بشكل شائن ، فشبا وحدهما منعزلين عن الناس زمناً ما ، ثم كان أن مرضت الأم ودخلت المستشفى للعلاج تاركة الطفلين زمناً طويلاً في كنف عمة صماء لاتنطق . فلما

اكتشف أمرهما أدخلوا في إحدى مدارس الجمعيات الخيرية لتربيتهما والعناية بأمرهما .

ويقول Jespersen إنه زار الطفلين عدة زيارات وتودد إليهما وعمل على كسب ثقتيهما حتى استطاع أن يدون كلمات وعبارات كثيرة من تلك اللغة الغامضة التي كانا يتفاهمان بها في طلاقة ، ثم أجرى بحثه على تلك الكلمات والعبارات فوجدوها تتصل اتصالاً وثيقاً بلغة البيثة ، غير أنها ممسوخة مبتورة ، حذف منها بعض الأصوات وعوض عنها أخرى ، كما وجد بعضها مما يمكن أن يسمى تقليد الأصوات الطبيعية Onomatopaeia

ولكن Jespersen نفسه يعترف أنه لم تسعفه الفرص لإتمام البحث ، وانقطع عنه فترة من الزمن . فلما عاوده وجد الطفلين في مدرستهما الجديدة قد كادا ينسيان كل شيء عنها . ومع هذا فيؤكد أنه لو استمر هذان الطفلان في عزلتهما لنشأت لهما لغة مستقلة ذات أصول وقواعد .

هذان المثلان وأشباههما مما رواه بعض اللغويين في القرن التاسع عشر قد أثارا بين العلماء جدلاً عنيفاً حول ارتباط الألفاظ واختراعها .

أما أصحاب علم النفس منهم فقد أبوا أن يعترفوا بشيء اسمه الارتجال في لغة الأطفال . وكان زعيم هذه الطائفة من العلماء Wundt إذ يقول : « ليست لغة الطفل إلا أثراً لبيئته . والطفل في هذا الأمر لا يعدو أن يكون أداة سلبية » .

فاصلاً بين المعارضين والمؤيدين للارتجال ؛ بل نحاول أن نتيين أثر هذا الذي يسمى بـ « الارتجال » في اللغات الحية ، وما يمكن أن تشتمل عليه من كلمات مرتجلة .

وليس مما يغني عنا شيئاً أن نحاول البحث عن أثر الارتجال في نشأة الكلام الإنساني ، لتعرف ما إذا كان الأول يلجأ إلى الارتجال في وضع الكلمات ، لأن البحث في تلك النشأة اللغوية قد كاد الآن يشبه البحث فيما وراء الطبيعة ، ومن العسير الوصول في شأنها إلى رأى مؤكد أو مرجح ، كذلك لا تكفي تلك الأمثلة التي رويت لنا عن ارتجال الأطفال واختراعهم الكلمات اختراعاً ، وإمكان نشأة لغات مستقلة من مثل هذا في البيئات المنعزلة كما يزعم بعض العلماء ، أقول لا يكفي مثل هذه الأمثلة القليلة التي يحوطها الإبهام والغموض للفصل في ارتجال الأطفال برأى حاسم .

لذا نشير هنا فقط إلى ارتجال الكبار للكلمات وأثر ما يمكن أن يرتجلوا في اللغات . فترى أن الارتجال ممكن ، ولا يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة ، بل في مكنة كل منا أن يرتجل متى شاء وأنى شاء . وليس مثل هذا مقصوداً على قوم دون آخرين ، فنحن نستطيع في سهولة ويسر أن نرتجل كلمات عربية ما أنزل الله بها من سلطان ، وأن نخلع عايتها من المعاني ما يشاء لنا الهوى ؛ وهي لاتقل حينئذ عما نسبته القدماء من اللغويين للأعراب .

وهكذا نرى أن المحدثين قد انقسموا في أمر الارتجال إلى فريقين : أولئك الذين يؤيدونه بالأمثلة والتجارب الخاصة ، وأولئك الذين يرفضونه رفضاً باتاً ، زاعمين أن ما يرويه المؤيدون ليس في حقيقته إلا نوعاً من عبث الأطفال باللغة المألوفة المعهودة .

وربما يرجع سر الخلاف بين الفريقين إلى تباينهم في تحديد المراد من كلمة الارتجال والاختراع في اللغة *Invention* . فالذين يرفضونه قد فهموا الارتجال على أنه الخلق من العدم ، وبذلك ضيقوا من دائرة معنى الارتجال وقصروه على تلك الكلمات الجديدة في لفظها ومعناها والتي لا تمت لمواد اللغة أو صيغها بصلة ما . وهم يرون أن تلك الكلمات الجديدة التي نسمع عنها في اللغات الأوربية — وقد أطلقت على مستحدثات جديدة — قد اشتقت أصولها من اللاتينية أو اليونانية أو اتخذ اسم صاحب الاختراع علماً على تلك المستحدثات ، كما حدث في نوع من معاطف المطر المصنوعة من المطاط حين سميت « مكتوش » لأن صاحب المصنع الذي أنتجها كان يدعى كذلك « مكتوش » . فليست تلك الكلمات في رأيهم من الألفاظ المرتجلة فقد كان لها أساس سابق على اختراعها ، ومرجعها جميعاً إلى الاشتقاق أو القياس أو النحت أو الاستعارة ، وغير ذلك من طرق وضع الكلمات الجديدة .

ونحن هنا لا نحاول أن نضع حداً لهذا الجدل العنيف بين الفريقين ، أو نحكم حكماً

وقد كنا ونحن طلبة نتنادر على الشعر الجاهلي وحوشيه وغريبه ، وننظم أبياتاً يتكون معظمها من كلمات لا تمت لكلمات اللغة بصلة مثل :

ومدعشر بالعثمين تفنطحت
سلفا قناه كبز فرع الفنظل

ومثل :

لا تصحب القندعل فهو مهبل
هفل همدل خندويل نهشل

وقد مر معظمنا بمثل هذه التجربة وجرب هذا الهذيان والهراء أيام الشباب واللهو والعبث . فلم يكن اختراع الألفاظ بالعسير علينا ، بل لم يكن نظمها بالمستحيل أو الشاق على أحد منا ، ولكن مثل هذا العبث يفنى بفناء أصحابه ، أو بتغير الظروف التي أوحى به دون أن يخلف أثراً باقياً في اللغة ، بل دون أن يكتسب صفة الشبوح في منطقة متسعة من بيئة اللغة . وإنما يظل أمره مقصوراً على جماعة من الشباب وفي محيط ضيق ، حتى يفنى ويزول في غالب الأحيان .

وقد لاحظ الأوربيون أن نوعاً من هذا العبث يشيع في بعض أوساط الشباب كالكليات والنوادي : ففي جامعة «أكسفورد» كلمات متعارفة بين طلبتها لا تكاد تمت للإنجليزية بصلة في معناها ولفظها ، وكذلك في «كمبردج» وغيرها من الجامعات القديمة ذات التقاليد الموروثة جيلاً بعد جيل . فإذا تخرج الطلبة في تلك الجامعات وأصبحوا

في غمار الحياة العملية نسوا تلك الكلمات ولم يبق في أذهانهم منها سوى الذكريات .

كذلك قد تلجأ بعض الطوائف الخاصة من أصحاب الصناعات والحرف إلى اختراع كلمات لا يعرفها غيرهم رغبة في التعمية والتمويه على من ليس منهم ، بل للصوص كلمات مخترعة كشبه المصطلحات والرموز تعني رجال الأمن وحفظ القانون .

ولا شك أن بعض تلك الكلمات يدين بنشأته إلى طرق أخرى غير الارتجال ، من مثل الاشتقاق أو النحت أو الاستعارة ، ولكن مما لا شك فيه أيضاً أن بعض تلك الكلمات قد اخترعت اختراعاً ، وارتجلت ارتجالاً ، وأصبحت مألوفة في محيطها الضيق زمنياً ما تفنى بعده ، وهو الغالب ، ولكن القليل أو النادر منها قد تتسع دائرته ويكثر شيوعه في عامية الكلام فيسمى حينئذ Slang قد يتكلم به فيما بين المرء وأهله وبين الأصدقاء ، وفي معظم مجالات الحياة العادية .

فإذا مرت على تلك الكلمات العامية المرتجلة فترة أخرى زاد فيها شيوعها ، فقد يكتسب بعضها احترام الناس ، ولا ينفرون من النطق بها في أي وسط من الأوساط ، وهنا قد تبدأ تلك الكلمات في اقتحام حصون اللغة النموذجية الأدبية ، وهنا قد يبدأ الكتاب والشعراء يستعملونها ، ولا يمر زمن طويل حتى تصبح بلفظها ومعناها مقبولة في تلك اللغة .

ولكنه محدود الأثر ، فقد يمر جيل أو جيلان من الزمان قبل أن نظفر في اللغة بكلمة أو كلمتين يمكن أن نعزوهما إلى الارتجال . هذا من اللغات التي تركت وشأنها في الخضوع لعوامل التطور لا يقيدتها في هذا سوى استعمالات الكتاب والشعراء وقادة الفكر مع الذوق الاجتماعي العام .

أما في لغتنا العربية التي لا نتركها نهياً للتطور ، بل نحصنها بحصون منيعة فرضها علينا القدماء من اللغويين ، فلا أمل من رقي أمثال تلك الكلمات المرتجلة إلى مصاف غيرها من كلمات اللغة الفصحى .

ولندرة تلك الكلمات المرتجلة في اللغات الأخرى ، وضعف أثرها في نمو تلك اللغات يرى معظم الباحثين من المحدثين أن الارتجال أنه طرق الوضع اللغوي .

ولست أدري بعد هذا ما إذا كان مجمع اللغة العربية يرى الأخذ بظاهرة الارتجال في وضع مصطلحاته ، أم يكتفى بالطرق الأخرى من اشتقاق أو قياس أو مجاز أو استعارة ؟

ذلك هو التطور الطبيعي للكلمات المرتجلة : تمر في مراحل ، وتتعاقب عليها ظروف ، ثم لا يرقى منها إلى لغة المعاجم والقواميس إلا القليل أو أقل من القليل ؛ إذ تبدأ الكلمة في محيط ضيق ، وفي وسط خاص فتشبه حينئذ ما نسميه نحن بـ « السيم » . فإذا أتيحت لها فرص الشيوخ والدوران أصبحت ما يسمى بالعامية « Slang » ثم قد تسمو إلى اللغة الفصيحة .

ولقد كان من الممكن أن يتم في لغتنا الفصيحة مثل هذا التطور لولا ما أحاطها به اللغويون من سياج حصين في كل العصور . ولذا قنعت تلك الكلمات المخترعة في كلامنا بالشيوخ في لهجاتنا الحديثة ؛ وأصبحت مما نسميه بالعامية أو الدارجة .

فبعض الكلمات العامية التي لا تدرى لها أصلاً عربياً قديماً ، والتي لا نستطيع نسبتها إلى لغة أجنبية ، يمكن ونحن مطمئنون أن نرجح أنها وليدة الارتجال والاختراع .

نخلص من كل ما تقدم إلى أن الارتجال في اللغة حقيقة واقعة لا يتطرق إليها الشك

خواطر في اللغة

للمرحوم الأستاذ خليل السكاكيني عضو المجمع (*)

لا يصح غير ذلك .

٢ - بالترتيب نحو سبق أخى غلامى . لما كان كلاهما يصلح أن يكون سابقاً أو مسبوقاً ذكرنا السابق أولاً والمسبوق ثانياً ، لأن علاقة الفعل بالفاعل سابقة لعلاقته بالمفعول به .

تعرف وظيفة الكلمة في الجملة بالأدلة الآتية :

١ - بالقرينة نحو فهم موسى المعنى أو فهم المعنى موسى . والمفهوم هو المعنى إذ

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة للمؤتمر (٣ من يناير ١٩٥١) .

٣ - بالإعراب نحو ضرب زيد عمرا .
أو ضرب عمرا زيد فالضارب هو زيد
والمضروب هو عمرو في الجملة الأولى . وقد
عرفنا ذلك ليس من القرينة إذ يصلح
كلاهما أن يكون ضارباً أو مضروباً ، ولا من
الترتيب : لأن كلمة زيد جاءت قبل كلمة
عمرو في الجملة الأولى ، وبعدها في الجملة
الثانية . وإنما عرفنا أن زيدا هو الضارب لأنه
مرفوع وأن عمرا هو المضروب لأنه منصوب .

ولابد أن تكون هذه الأدلة قد مرت
على أدوار مختلفة قبل أن وصلت إلينا
وهذا ما أحاول أن أحصر كلامي فيه وأنا
لا أجهل أن رأس مالي نزر .

لاشك أن القرينة أقدم من الدليلين
الآخرين . وقد مر زمان طويل على اللغة
كان الاعتماد فيه في بيان المعنى على القرينة
وحدها . وذلك قبل أن يكون في اللغة ترتيب
أو إعراب ؛ فكانوا يقدمون أو يؤخرون ،
وكانوا يرفعون أو ينصبون أو يخفضون أو
يجزمون أو يبنون كما يحىء معهم . وإذا كان
اعتمادهم في هذا الدور على القرينة وحدها ،
فلا بد أن كانت هناك قرائن كثيرة تختلف
وضوحاً أو غموضاً يستدلون بها على المعنى
ولا اعتبارهم الاعتماد على القرائن فلا بد أنهم
كانوا ينبهون لأدق القرائن وأغمضها .
واللييب من الإشارة يفهم .

من تلك القرائن طبقة الصوت بين أن
يكون عالياً أو سافلاً ، وهيئة إطلاقه بين أن
يكون لنا أو خشناً ، مما هو بالصوت الموسيقى
أشبه منه بالصوت المنطقي كما قال اليازجي .
فإذا تكلمنا كان كلامنا أشبه بالغناء وإذا
انتسبنا إلى الطيور كنا من الطيور المغردة
وحسبنا ذلك شرفاً . وقد سمعت خطباء
كثيرين يخطبون على صوت « البيانو » : يعلو
إذا علوا ، وينخفض إذا خفضوا ، ويسرع إذا
أسرعوا ، ويبطئ إذا أبطئوا ، ويبين إذا لائوا ،
ويشتد إذا اشتدوا ؛ كأن الحفلة حفلة غناء
لا حفلة خطابة . ولولا اختلاف طبقة
الصوت أو هيئته لكان كثير من الكلام لغواً .

تكرر الألفاظ للتأكيد مثل جاء زيد زيد .
ولكن إذا لم نرفع الصوت قليلاً في اللفظة
الثانية فلا تأكيد فيها ، ولو كررناها مرات .

تتبع اللفظة بأخرى لبيانها مثل جاء أخوك
زيد . ولكن إذا لم تكن الثانية أعلى من الأولى
فلا تفيد بياناً .

نستعمل إن للتأكيد نحو إن زيدا قادم
ولكن إذا لم نجعل النبرة على النون فلا تفيد
تأكيداً .

نستعمل كلا للزجر ، ولكن إذا لم نجعل
النبرة على الكلام فلا تفيد زجراً . إذا نونا
الاسم فمن أصول الأداء أن نجعل النبرة على
نون التنوين .

بل إن هيئة الصوت قد تقلب المعنى إلى

منازلم كان أول ما فعله كل منهم أنه قتش
عن ديوان ابن معنوق ليقراً تلك القصيدة
فلم يعجبه منها شيء .

تعليل ذلك أن الجمال لم يكن في القصيدة
ولمّا كان في أداء صاحبهم ؛ فأخذوا جمال
الأداء وخلعوه على تلك القصيدة ، فإذا بها
جميلة وهي ليست جميلة .

وقفت حسناء في حفل تغنى فقابل الناس
غناءها بالاستحسان . وإذا قتش وجدت
أنهم أخذوا جمالها أو جمال ثوبها أو جمال
الحفل البيج وخلعوه على صوتها ، فأكسبه
جمالاً وهم لا يدرون . وقد أشار المتنبي إلى
ذلك بقوله :

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وأفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القرائح والعلوم

ويقوله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظام

ولعل انقلاب الكلام من معنى إلى ضده
— كما رأيت — هو سبب هذه الأضداد الكثيرة
في اللغة العربية .

ضده . يقال إنه حكم مرة على رجل أن
يقف أمام الناس ويقول :

أيها الناس أنا لص .

فلما وقف وقال :

أيها الناس أنا لص ؟

بهية استفهام لا إخبار . فانقلب المعنى
من إقرار إلى إنكار .

ومن تلك القرائن الحال التي يكون عليها
الناطق أو القارئ : من رضى أو غضب ، من
فرح أو حزن ، من هزل أو جد . إلى غير
ذلك . فالكلام في حال كذا غيره في حال آخر .
مثال ذلك :

ورد على أحدهم كتاب وكان أمياً فذهب
إلى جاره ليقراه له . وكان جاره في حالة
غضب شديد . فجعل يقرأ بصوت أجش
وعلائم الغضب على وجهه . كأنه يقاتل
لا كأنه يقرأ . فقال صاحب الكتاب : « ماذا
فعلنا ليرسل إلينا كتابه هذا يوسعنا شتماً . »
على حين لم يكن الكتاب إلا سلاماً في سلام ،
ولكنه خيل إليه بقرينة غضب جاره أنه شتم
في شتم .

ضم مجلس بعض الأدباء فقال أحدهم :
أسمعونا شيئاً من الشعر . فتناول أحدهم
وكان جميل الصوت جيد النبر والإرسال
ديوان ابن معنوق . فاختار إحدى قصائده .
فما قرأ بيتاً منها إلا أخذتهم نشوة الطرب
وقالوا : أحسنت ، أعد . فلما انصرفوا إلى

ومن تلك القرائن الإشارات بأعضاء الجسم : بالرءوس والحواجب والعيون والأنوف والألسنة والشفاه والأسنان والمناكب والأيدى والصدور والظهور والأرجل . وبغير أعضاء الجسم : بالألوان والأنوار والصوى والشارات إذا قال الواحد : لا أذهب : حرك رأسه أو يده من جانب إلى جانب . وإذا قال هذا أمر عجيب : رفع حاجبيه . وإذا قال غضب فلان : تكلف الغضب ، فزوى ما بين عينه ونظر شرراً . وإذا قال طرب فلان : تكلف الطرب فاهتز وصفق ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى معجم برأسه . ولست أدري لماذا أهملت معاجنها قديمها وحديثها لغة الإشارات .

نرجع إلى موضوعنا .

من الناس من إذا تكلم مثل كلامه كله من أوله إلى آخره تمثيلاً . إذا قال : نهق الحمار ، تكلف النهيق . وإذا قال : نبج الكلب ، تكلف النباح . وإذا قال : لعب فلان على البيانو ، جعل يلعب بأصابعه في الهواء . وقد تنفض الجلسة ويرفض الناس وهو لا يزال يلعب بأصابعه في الهواء . وإذا قال : رققت الفتاة ، جعل يهز عطفه ومنكيه . وإذا قال : نام فلان ، أغمض عينيه وجعل يغط . وإذا قال : تقاتل فلان وفلان ، جعل يقاتل خياله بيديه ورجليه وقد يعضه بأسنانه . وقد سدت لغة الإشارات فراغاً كبيراً في اللغة يوم كانت الألفاظ قليلة . قالوا زوى فلان ما بين عينيه ، حين لم يكونوا يعرفون كلمة غضب .

وقالوا امتقع لون فلان ، حين لم يكونوا يعرفون كلمة خاف . وقالوا فلان منبسط الكف ، حين لم يكونوا يعرفون كلمة كريم ، إلى غير ذلك . ومن طرائف الأدب استعمال لغة الإشارات حيث تدعو الحاجة إلى استعمالها . يقال إن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان إذا مدحه الشعراء لا ينظر إلى وجوههم . فعمل ابن مطروح قصيدة طويلة بنى قافيتها على الإشارات من ذلك قوله في مطلع قصيدته :

تعشقت ظيماً مشرق الوجه هكذا
إذا ماس خلت الغصن قد ماس هكذا

فرفع الملك رأسه وجعل ينظر إليه .

ومن هذه الطرائف - والشئىء بالشئىء يذكر - قول أحدهم :

ظفرت بمعشوق له الحسن حلة
وقبلته شفعاً وقلت له ...

فقال : أتهوانى ؟ فقلت له : نعم

فقال : ومن غيرى ؟ فقلت له ...

وقول آخر :

ولقد قلت للمليحة قولى
من بعيد لمن يحبك ...

فأشارت بمعصم ويان
أيها العاشق المقيم ...

كلمة أخيرة في هذا السبب أقولها وأمرى

لله : من راقب إشارات المتحدثين عن كذب وجد أنهم قد يستعملون إشارات لا تدل على شيء ولا حاجة إليها ، مما يدل أن في لغة الإشارات ثرثرة كما أن في لغة الكلام ثرثرة . والثرثرة في هذه أو تلك ضرب من الجنون ، والجنون فنون .

ومع ذلك كله فإن هناك كثيرين من الناس يحسبون الاستعانة بالإشارات عجزاً . من هؤلاء أبو شمر فقد كان إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه . ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه إنما يخرج من صدع صخرة . وكان يقول ليس من المنطق أن نستعين عليه بغيره كما روى الجاحظ .

٢ - الترتيب

مر على اللغة العربية زمان طويل والترتيب مشوش لغير سبب اعتماداً على القرائن التي تقدم ذكرها . ولا تزال في اللغة آثار هذا التشويش . إذ لا تزال تقدم تارة الموصوف على الصفة فنقول : ليس من الرأي الصريح أن نعمل كذا . ونقدم تارة الصفة على الموصوف فنقول : ليس من صريح الرأي أن نعمل كذا . ومثله : ليس في المسألة أمر كبير . و : ليس في المسألة كبير أمر . ومن التشويش في الترتيب قول المتنبي :

وإذا الشيخ قال أف فما
مل حياة وإنما الضعف ملا

وكان يجب أن يقول : وإنما مل الضعف .

ثم دخلت اللغة في دور ثان لازم الترتيب فيه صورة معلومة كذكر الفاعل قبل المفعول وذكر المسند إليه قبل المسند لاعتبارات خصوصية . ولا تزال نراعي هذا الترتيب إذا لم تكن هناك قرينة معنوية ، أو قرينة إعرابية . وبعد أن تولد الإعراب في اللغة دخلنا في دور ثالث تحررنا فيه من قيود الترتيب وعدنا إلى التشويش . والفرق بين الدور الأول والدور الثالث أن التشويش كان في الدور الأول اعتباطاً فصار في الدور الثالث بياناً . وهذا أرقى ما وصلت إليه اللغات في البيان حتى الآن . وقد ساعدنا على ذلك أمران : القرينة والإعراب . ولولا الإعراب للزم الترتيب صورة معلومة لا يتعدها على ما نقرأه في اللغات الأخرى . وكما نقرأه في اللغة العربية نفسها إذا كانت الكلمات لا تقبل إعراباً أو إذا لم تكن هناك قرينة معنوية . فإننا نلزم الترتيب فنذكر الفاعل قبل المفعول به مثل : سبق أخى غلامى . ونذكر المسند إليه قبل المسند إذا استويا في التعريف والتذكير ولم تكن هناك قرينة للتمييز بينهما مثل : أخى رقيقى . وأفضل منك أفضل منى . فالأدوار التي مرت على الترتيب ثلاثة : الأول الدور المشوش لغير قصد اعتماداً على القرينة . والثاني الدور المرتب لاعتبارات خصوصية . والثالث الدور المشوش لأغراض بيانية اعتماداً على الإعراب والقرينة .

٣ - الإعراب

مر على الإعراب أدوار مختلفة يحتمل الكلام عنها محاضرات لا محاضرة واحدة .

الكلام لا دليل على المعنى فيها غير الإعراب ؛ فإذا ألغى رجعت اللغة إلى اللبس والغموض . فأنتم ترون أن الإعراب قد ساعد العرب على أن يستفيدوا من الترتيب المشوش . في الدلالة على معان تعجز اللغات الأخرى عن أدائها . إلا أن اللغة وقفت قبل أن يتم نصجها : أى وصل إلينا وفيه شئ كثير من آثار التشويش .

الأصل في الإعراب أن يكون على وجه واحد نحو : جاء زيد ، رأيت زيدا ، مررت بزيد . فالفاعل لا يجوز فيه إلا الرفع ، والمفعول به لا يجوز فيه إلا النصب ، والمخفوض لا يجوز فيه إلا الخفض . ولكن ما هذا الإعراب الذى يجوز فيه وجهان نحو : جاء زيد الكريم — جاء زيد الكريم . ونحو ياهذا العلم — وياهذا العلم . ربطت الفرس لا ينفلت بضم التاء أو إسكانها .

ما هذا الإعراب الذى يجوز فيه ثلاثة أوجه نحو : مررت بزيد الكريم ، ومررت بزيد الكريم ، مررت بزيد الكريم . ونحو : يامطرُ ويامطرُ ويامطرُ ؛ بل ما هذا الإعراب الذى يجوز فيه عشرة أوجه .

وذلك في نداء الأب أو الأم مضافين إلى ياء المتكلم ، فنقول : يا أبى يا أمى بتسكين الياء . يا أبى يا أمى بفتح الياء . يا أبى يا أمى بجذف الياء وكسر الآخر . يا أبأ يا أمأ بقلب الياء ألفا .

كان الإعراب في دوره الأول مشوشا ؛ فكانوا يرفعون أو ينصبون أو يخفضون أو يجمزون اعتبارا لغير قصد ، اعتمادا على القرينة والترتيب . ولعل الغرض من الإعراب في هذا الدور كان تزيين الكلام . فقولك : جاء الرجل ، بضم اللام أفخم من قولك : جاء الرجل بتسكينها . ولعلمهم استعمالوه في أول الأمر في الشعر لما يتوخونه فيه من التأتق . ولما ألفوه استعمالوه في النثر أيضا . ومن تدبر الشعر في اللغة المحكية ليومنا هذا رأى أنهم يحركون من أواخر الكلم فيه مالا يحركونه في حديثهم . وتلك حالة في اللغة — أى الإعراب المشوش بدون ضابط — لا بد أن يؤول أمرها إما إلى الإلغاء يتاتا ، وإما إلى الدخول في دور ثان يستخدم فيه الإعراب لغرض آخر لا مجرد الزينة أو الضرورة الشعرية . والدافع أن الإلغاء ابتداء في اللغة ، ولكن في الوقف . ولولا القليل لسقط في كل المواطن . والدافع أن اللغة دخلت في دور ثان استخدم فيه الإعراب لبيان وظيفة الكلمة في الجملة . ولكن وقفت اللغة في أول هذا الدور قبل أن ينضج الإعراب ويتم إحكامه . في دوره الأول كان شيئا خارجا عن اللغة ؛ فلو ألغى لم تتأثر ، لأن الاعتماد في بيان المعنى كان على القرينة والترتيب . ولذلك نرجح أن إلغاءه في الوقف ابتداء في هذا الدور . وأما في دوره الثانى — وهو الدور الذى تشوش فيه الترتيب لأغراض بيانية نص النحاة والبيانون على مواطنها — فقد صار من مقومات اللغة وخصائصها . لأن هناك مواطن كثيرة في

يا أَبَ يا أمَّ بحذف الألف وفتح الآخر .
يا أباه يا أماه بقلب الياء ألفا وزيادة الهاء
في الآخر .

يا أَبُ يا أمُّ بضم الآخر .
يا أَبَتِ يا أُمَّتِ بقلب الياء تاء مكسورة .
يا أَبَتَ يا أُمَتَ بفتح التاء .
يا أَبَتَا يا أُمَتَا بزيادة ألف بعد التاء .

في مزيادات الفعل أوزان تستعمل
للمشاركة نحو ضارب زيد عمرا أى ضرب
الواحد الآخر . فكل منهما فاعل ومفعول
به في وقت واحد . وهذه المشاركة
تستفاد من الوزن لا من الإعراب . إذا
رفعت كلمة زيد في قولنا ضارب زيد عمرا
لأنه فاعل فلماذا لم ننصبه لأنه مفعول
في الوقت نفسه ؟ ! إذا نصبت كلمة
عمرو لأنه مفعول به ، فلماذا لم نرفعه
لأنه فاعل في الوقت نفسه ؟ ! وإذا رفعت كلمتي
زيد وعمرو في قولنا : تضارب زيد وعمرو

لأهما فاعلان فلماذا لم ننصبهما لأنهما
مفعولان في الوقت نفسه ؟ !
في مزيادات الفعل أوزان للمطاوعة
ويعنون بها وقوع الفعل من الفاعل على نفسه ،
نحو انكسر الزجاج أى كسر نفسه فهو
فاعل ومفعول في وقت واحد . فإذا رفعناه
لأنه فاعل فلماذا لم ننصبه لأنه مفعول ؟ !

* * *

يقول النحاة إن للاسم ثلاث حالات :
الرفع والنصب والخفض . ولكن إذا نظرنا في
المشاركة والمطاوعة كانت لنا حالة رابعة
نطلق عليها حالة بين بين .
هذا هو الإعراب الذى حير الأفكار
قاطبة ! ولكن هذا التشويش أصبح قياسا في
اللغة ، وأكبر لذة في درس اللغات تكون في
هذا المزيج من المعقول وغير المعقول من
القياس والشاذ . وقد قال أحد علماء
اللغة : إن اللغة مثل صديق هفواته تعززه
لدينا وتحببه إلينا . وبهذا النزر كفاية .

إقالة عشرة من عشرات الأقلام أو بحث طريف في (أى) الشرطية

للشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع (*)

في شيء . والأفصح أن يستعاض عن «أى»
في مثل تلك الجملة بحرف «ما» التى تفيد
المبالغة في الإبهام والتكثير : فيقال (لم
يصدر عنى تصريح ما) . ولم يكذب ينشر
قولى هذا في بعض الصحف الدمشقية حتى

زارنى شاب تيم حديثه عن ذكاء وتحصيل
وتهذيب . وراجعنى فى أمر تحريرى عليه

عددت من عشرات أقلام الصحفيين
قولهم (لم يصدر عنى أى تصريح) ، فقلت
إن «أى» لها معان واستعمالات عدة سردها
صاحب «المغنى» واستعمال الكتاب لها في
مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة للمؤتمر
(٣ من يناير ١٩٥١) .

استعمال (أى) فى قوله (لم يصدر عنى أى تصريح) ففهمت إذ ذاك أنه ممن يستعمل أو يجيز استعمال الجملة المذكورة ثم أخذ يدافع عن نفسه فى استعمال (أى) وأفاض فى بحث الألفاظ الأعجمية والدخيلة والأساليب الجديدة التى يستعملها أنصار الأدب الحديث مما لا يرضاه أنصار الأدب القديم ولا يسوغه علماء اللغة . وندد باللغويين المتشددين . وجنح إلى مدح النحاة الذين يتسامحون فى تراكيب الجمل . ويجدون لكل إشكال تأويلاً ولكل ضيق مخرجاً . فما أسسوه من القواعد . وقرروه من الأحكام . وفضلهم على اللغويين الذين كنت أستند إليهم فى مقالاتى بعنوان (عثرات الأقلام) مع أن اللغويين مثل هذا التسامح أو أكثر أحياناً . وأنهى الشاب حديثه بأن جملة (لم يصدر عنى أى تصريح) إن كان حرماً الشيخ (وأشار إلى) فإن نطقه — أحسن الله إليه — يجوزها ويصح استعمالها . وكان فى مجادلته لى لبقاً ظريفاً فى خفة روح وحسن دعاية . ولم يدع مجلسى حتى أخذ منى موثقاً بكتابة بحث أرجع فيه إلى ما قاله (نطقه) من إباحة استعمال (أى) فى مثل التركيب المذكور . وكأنما جاءت القصيدة التالية معبرة عن رأيه ومترجمة لحديثه وهى هذه :

أقول للشيخ

على حرم (أياً)

هلا اعتدلت وهلا

رويت فى الأمر شيئاً ؟

فللصحافى حق

فافطن ولا تك عيياً

(أى) درجنا عليها

مذ كان آدم جياً

فلا نبالى (الزبيدى)

ولا نبالى (عليه^(١))

(والجوهري) مستبد

لا حبذا لغوي

دعه وسل نحوي

بصرياً أو كوفيّاً

فى الكسائى (رفق)

ومثله (سيبويه^(٢))

والنحو . (بابن هشام)

لنناس بات جلياً

بل بات هدياً ورشداً

من بعد ما كان غيياً

(١) اسم صاحب الخصم على بن إسماعيل وهو المشهور بابن سيده .

(٢) (سيبويه) تصرف الشاعر فى لفظه بعض التصرف للضرورة الشعرية ولا سيما أنه اسم أعجمى أجاز اللغويون التصرف فيه وفى أمثاله ونحوه عن أصله الأعجمى تجديداً لمختلف اللهجات واتفق أن رأينا لأبى الزمراء الأعرابى تصرفاً فى لفظ (سيبويه) نفسه يشبه التصرف السابق وهو قوله من أبيات نعى بها على النحاة فواعدم فى تعليم العربية مذ قال : (ومن ثالث لم أسمع الدهر باسمه)

يسمونه من لؤمه سيبوائه

ومن التصرف بالألفاظ الأعجمية المعربة قول المعري فى سقط الزند :

(وخطى لها قبراً يضلون دونه

كقبر موسى ضله آل إسرائيل)

أحيا النحاة بحق
لساننا العرييا
تقيـلوا في خطاهم
أباهـمـو (الدوليا)
قواعد أشبعوها
يسرا ولينا وليا
في كل مشكل قول
تري الجواب مهيا
أكـمـام ثوب تراها
قد ركبت سحر يا
من أي كم مددت الـ
كفين كنت رضىيا
لا تحسبوا أن (أيا)
تظل لغزا عصيا
فهاكمو (نفظويه)
أجازها أبديا

وبعد أن شيعت الشاب إلى باب الدار
وأعربت له عن اغتباطي بمعرفته . ومسرقي
بطيب فكاهته . عدت ففكرت في مسألة
(أى) ومختلف أحكامها . ولاحظت أن من
المستبعد أن يكون لنفظويه قول أو رأى في
استعمال (أى) يؤيد الشاب في استعماله لها
في جملة المذكورة وإن كان لنفظويه قول أو
رأى في المسألة ففي أى كتاب هو ؟ وكيف
الوصول إليه ؟ ورجحت أن يكون الشاب
الأديب إنما اتخذ من (نفظويه) رمزاً أو
عنواناً للنحاة المتساعحين الذين يجدون تخريجا
وتأويلا لكل ما أشكل في الكلام .

وإذا دقق المرء النظر في مثل هذا التركيب
وهو قوله (لم يصدر عنى أى تصريح)
وطريقة إرجاعه إلى قواعد النحو وجده
مختصراً أو منحوتاً من كلام أطول منه .
وكان الكتاب العصريين عابجوا طوله بطريقة
الاختزال المستعملة في هذا الزمن .

(أى) في التركيب المذكور لا يمكن أن
تكون استفهامية ولا اسم موهول ولا للدلالة
على الكمال (زيد رجل أى رجل) ولا
وصلة لنداء الاسم المحلى بأل (يا أيها الرجل)
بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المغنى)
(أى) الشرطية الجازمة . وبعد التأمل
وجدت أنه يمكن إرجاع (أى) في مثل
قولهم (لم يصدر عنى أى تصريح) إلى
(أى) الشرطية . ويمثلون لها بقولهم:
(أيا تفعل أفعل) : فأى الشرطية تتركب
جملتها من فعلين يأتيان بعدها مجزومين بها
وهي منصوبة بفعل الشرط الذى بعدها ولها
الصدارة في جملتها فأصل (أيا تفعل أفعل) :
تفعل أيا أنت أفعله أنا . والتنوين في
(أيا) عوض عن محذوف استغنى عنه
بدلالة المقام تقديره (أى شئ تفعل أفعل)
ويلحقون بأى هذه حرف (ما) فيقولون :
أيا ما تفعل أفعل . وقال شراح الألفية إن
(ما) هذه صلة (أى زائدة) لتأكيد
الإبهام في (أى) ويريدون بالإبهام التنكير .
ويجوز التصريح بالمضاف إليه المحذوف مثلاً :
(أى طعام تأكل آكل) وإذا كان (طعام)
نكرة مستغرقة لجميع أنواع الأطعمة جاز
أن يكون المضاف إليه جمعا فنقول : أى أطعمة
تأكل آكل وأى لحوم تأكل آكل . وقد

يعرف المضاف إليه بأل الدالة على الجنس أو استغراق فتقول : أى الأطعمة وأى اللحوم وإنما جاز ذلك لوجود الإبهام والتنكير فى اللحوم . حتى لو قلت أى اللحمين - لحم سمك أو لحم طير - تأكل تأكل جاز أيضا : لأن التثنية أو الاثنينية لا تمنع التردد والإبهام فى المأكول ما دام غير معين بذاته إذ أن (أل) فى اللحمين للعهد الذهبى المفيد للتنكير على حد ما ذكره النحاة فى مثلهم المشهور : (انزل السوق واشتر اللحم) وكما يحذف المضاف إليه اختصاراً فيقال (أيا تأكل تأكل) يحذف جواب الشرط . ففى آية (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) تقديره أى اسم تسموا الله به فهو حسن . فقولنا (فهو حسن) هو جواب حذف ودل عليه قوله تعالى : (فله الأسماء الحسنى) ومثله آية (أى الأجلين قضيت ما فلا عدوان على) وهى قراءة ذكرها البيضاوى وقال إن (ما) الواقعة بعد (قضيت) مزيدة لتأكيد الفعل والقراءة المشهورة « أيا الأجلين قضيت » وجواب (أى) فى هذه الآية محذوف قدره البيضاوى بقوله (أى الأجلين قضيت وفيتك إياه) وقد دل على ذلك المحذوف المقدر قوله تعالى (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على بطلب الزيادة ومن هذا القبيل قول أبى الطيب المتنبي فى فرسه .

(وأصرع أى الوحش قفيته به
وأنزل عنه مثله حين أركب)

(أى الوحش) شرطية وقفيته به (أى
أتبعته) فعل الشرط وجوابه محذوف

والتقدير : أى الوحش أتبعته به أصرعه . فحذف جواب الشرط وهو (أصرعه) وأقام دليلاً عليه قوله (أصرع) الواقعة قبل (أى) وبذلك أفقدها حقها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوزت له ذلك .

تحصل معنا أن جواب (أى) هو فعل الشرط يحذف اختصاراً . وهل يحذف فعل الشرط نفسه ياترى ؟ لم أظفر له بمثال فى كلام فصيح . وهل يحذفان معا : أى فعل الشرط وجوابه ؟ لم أظفر به أيضاً ولكن ما ذكرته آنفاً من المحذوف والاختزالات التى تقع فى تراكيب (أى) الشرطية يمهّد لى سبيل الجرأة إلى القول بأن ما أنكرته على الشاب الصحفى من قوله (لم يصدر عنى أى تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أى) شرطية حذف جوابها للدلالة المقام عليه وحذف فعلها الشرطية نفسه أيضاً للدلالة قوله (لم يصدر) الواقع قبلها ، ويكون أصل تركيب الجملة هكذا : (أى تصريح نسبوه إلى لم يصدر عنى أو فهو باطل أو فهو مختاق ونحو ذلك) (أى) شرطية جازمة و (نسبوه إلى) فعل الشرط حذف للدلالة السياق عليه و (لم يصدر عنى) جواب الشرط حذف أيضاً للدلالة قوله قبله (لم يصدر عنى) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرع) على (أصرعه) الواقع جواباً للشرط فى شعره السابق وهو

(وأصرع أى الوحش قفيته به
وأنزل عنه مثله حين أركب)

هذا ما عندي في تأويل قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) وهو كما ترون أيها السادة اختزال عجيب هدى إليه الصحفيون والكتاب الذين تأثروا بهم بطول ممارستهم للكتابة واضطراهم إلى السرعة فيها وليس في هذا الاختزال ما ينافي قواعد النحاة سوى سلب (أي) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبئ في قوله (وأصرع أي الوحش) هو الذي جراً الصحفيين على مثل اختزاله وتكون هذه الجملة أي (أي تصريح) في اختزالها على نمط ما ورد في كلام العرب من الحمل المختزلة. أمثال (أيضاً) (فصاعداً) (وهلم جرا) فان أصلها جعل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كتب أحد الصحفيين في صحيفة قوله (ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات مذكرة وزير خارجية انكلترا) ثم سئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن (أية) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذف فعل الشرط للدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط للدلالة قوله (ولم تنشر الصحف) ويكون أصل الجملة هكذا : أية تفاصيل يزعموا نشرها لم تنشر .

مثال آخر : كنت قلت في بعض ما كتبتة قديماً (وليدعوا الاستغاثة بالبشر أو أية قوة أخرى من القوى والقدر) فيقال في تأويله أو أية قوة يستغيثوا بها يدعوها .

وقال زميلنا سيبويه عصره الأستاذ إبراهيم مصطفى في محاضراته التي ألقاها في مؤتمر الجمع بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠ وجعل عنوانها

(في أصول النحو) ما نصه (لم نجد في كتاب سيبويه أي رأي نحوي منسوب إلى أبي الأسود الدؤلي) تأويله (أي رأي ينسبوه إلى أبي الأسود لم نجده) وهكذا نوول ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذ عرف لفظ (الوفاق) Accord بقوله : هو اصطلاح يطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في أية صورة كانت الخ وقوله أيضاً في تعريف (التوفيق) Conciliation (ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لأية من الدولتين المتنازعتين) .

وهذا الصنيع في اختزال جملة (لم يصدر عني أي تصريح) والإلحاح عليها بالحذف والبر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط — إن كان يرضى أتباع (نقطويه) من الصحفيين — فإنني إخاله لا يرضى أتباع الجاحظ من بلغاء الزمان . وحماة لغة القرآن الذين إذا نطقوا جملة اكتفوا بقولهم (ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة) بحذف (أية) وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا (لم تنشر تفصيل عن المذكرة) بزيادة «ما» التي تفيد المبالغة في الإبهام والتكثير فيستغنون بها عن (أي) مرة واحدة .

انتهى أيها الإخوان ما تجرأت على إلقاءه على مسامعكم من هذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا إليه بعين الاهتمام كما أرجو أن أبلغ به رضا ذلك الشاب الذي قال في زيارته لي ما قال . وأنشد ما أنشد مع الشكر له على أن كان السبب في نشر هذا البحث . وما علق وسيعلق عليه .

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة
الفاضل الأستاذ إبراهيم مصطفى فكتب
بنخطه ما يلي :

قرأت هذا البحث الدقيق القيم الواسع
المحيط : وأرى تخريج استعمال «أى» في
مثل قولهم (لم يصدر منى أى تصريح^(١)) على
أنها صفة لنكرة محذوفة أى لم يصدر تصريح
أى تصريح . ثم حذف الموصوف لفهمه
ولتكرار لفظه .

وفي كتاب « ارتشاف الضرب » في باب
الموصول ما نصه :

« أى صفة لنكرة مذكورة نحو مرت
برجل أى رجل^(٢) فلا يكون إلا نكرة وقد
جاء حذف موصوفها في قول الشاعر .

إذا حارب الحجاج أى منافق
(يريد منافقاً أى منافق)

وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف
موصوفها هكذا وهذا عن أصحابنا في غاية
الندور وقالوا فارقت «أى» سائر الصفات في

(١) أعود فاقول إن سبب استنكار النحاة حذف
موصوفها أنهم قصروها على إفادة معنى السكال في
الموصوف وهو موضع تقضى للبالغة فيه بذكر
الموصوف - أما غيرم فرأوا فيها أيضاً معنى الإبهام
الذى يدل على كمال الدهوى لا كمال للموصوف والله أعلم
(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :
« ولا تقع أى نكرة موصوفة لا يجوز مررت بأى
معجب لك وأجازه الأخفش »

أنه لا يجوز حذف موصوفها وإقامتها مقامه
لا يقول مررت بأى رجل^(١) . هذا
بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفذه يله في
(التذيل والتجميل بشرح التسهيل) لنفس
المؤلف ومن هذا نرى أن لبعض الاستعمالات
أجلاً وإباناً تكثر ثم تندر . وقد تندر ثم
تكثر : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين
حتى أنكره بعضهم ثم شاع وألف حتى
جرت به الأقلام بغير استنكار وحتى أبى
استنكاره بعض الكتاب وغضب أن يرد
عليه .

وأنا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين :
الأولى دقة حسّ أستاذنا المغربي بالأسلوب
العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه
ما أنكر المتقدمون وما قل في كلامهم .
الثانية أن الكتاب المحدثين أخذوا يطلقون
أقلامهم لا يطبقون لها قيوداً ما استطاعوا
البيان وما رسمت الفاظهم معانيهم - ومن
خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى
عاشت الأجيال وسأيرت الأمم وطغت بغير
جهد على كثير من اللغات . وفي مرونتها
وطواعيتها سر خلودها وغلبتها .

إبراهيم مصطفى

(١) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة «كل» مع
النكرة وبمنزلة بعض مع المعرفة تقول :
أى رجال تضرب أضربهم .
وأى الرجال تضرب أضربه .

أثر اللغة البربرية في عربية المغرب

للأستاذ شارل كوينتز (خبير بلجنة اللهجات) (*)

تمهيد :

كان الحديث عن اللغات ، وأصولها وفروعها ، والصلة بينها ، وموروث هذه من تلك ، وأثر بعضها في بعض ، كان الحديث عن هذا كله وأضرابه في زمن سلف ، شيئاً مردّه إلى الخلدس . إذ لم تكن أسباب البحث مملوكة ولا وسائله ميسورة . ونحن اليوم مع عصر تكاد تكون الألسن فيه على تباينها مقروعة ، والعيش بين أصحابها والتحدث إليهم هينا ميسوراً . فأصبح ما كان ظناً ، اليقين أو شبهه ، وباتت الأقوال عن اللغة كالوزون والمقيس ، لا تفوت القصد إلا في القليل .

وهناك نهجان للبحث في اللغات ، أحدهما : النظر للغة كوحدة مستقلة ، يبحث عن أصلها وتطورها والأدوار التي مرت بها وأسباب قوتها وضعفها والعوامل التي أثرت فيها داخليا . وثاني النهجين : النظر للغة ما ، كجزء من كل ، وصلتها بغيرها من أخواتها ، وتأثرها بالأمم التي انفصلت عنها وما يتبع ذلك من مؤثرات وعوامل لها أثرها في تلك اللغة ، وكذلك الحال في علمي النفس والاجتماع . فبينما علم النفس ينظر للإنسان كوحدة منفصلة يدرسه شيئاً مستقلاً بذاته ، إذ علم الاجتماع لا يعرف الإنسان

إلا واحداً من مجموع تربطه بذلك المجموع صلات وروابط هي موضع درسه .

١ - أثر اللغات بعضها في بعض

هناك حقيقة معروفة هي أن اللغة تأخذ وتعطي ، لا تخص بذلك بيئة دون بيئة ولا هي مع زمن دون زمن . ونكاد نعرف ذلك في مظهرين اثنين مختلفين . أحدهما : اتصال الشعوب بعضها ببعض في أحوال السلم والآخر : في اندماج شعب شعب تحت ضغط ما .

فالأول يكون :

(١) بالحوار بين الأمم المتباعدة الألسن وما يتبعه في السلم من صلات تقوى وتضعف ، وكلما مكنت الأسباب بين أمتين ، رأينا الأخذ والعطاء على سبب موصول وكثرة ملحوظة . وبلون الصلة العاقدة يكون اللون اللغوي السائد ، فالصلة التي مادتها التجارة غير الصلة التي رابطتها الثقافة . نلاحظ ذلك واضحا بين الشعوب الأوربية ، فلا يولد هناك اسم لحدث في الصناعة أو التجارة ، حتى يشيع فيما جاور ، ولا يدوى صوت عالم باسم لمسمى إلا تردد صداه فيما يحيط . فنعرف أن الفرنسية استعارت كلمات كثيرة من الانكليزية في كل ما يتصل بالألعاب الرياضية مثل Catch as catch can, football, sport: كما استعارت من الإيطالية ألفاظ الموسيقى منها : Allegro adagio, andante الخ . وكما

(*) بحث ألقى في الجلسة السابعة للمؤتمر (١٠) من يناير سنة ١٩٥١ .

محواً . ولكنها مع ما أعطت أخذت من كل وطن بجديد ، ودس فيها ما لم يكن منها ، وتأثرت اللهجات العربية الشائعة على السنة العامة هنا وهناك .

ونكاد نعرف هذا التأثير أعنى تأثير العزبية بغيرها في مناطق خمس :

(أ) ففي جنوب الجزيرة العربية ، أثرت اللهجات الحميرية على اللهجات المحدثه عليها : مثال ذلك استعمال الكاف عوضاً عن تاء المتكلم عند بعض القبائل في الماضي نحو : «كتبك» بدل «كتبت» ومعروف عند علماء النحو المقارن السامى والحامى أن «كتبك» بالكاف المضمومة هي الصيغة الأصلية في الحامية والسامية ، وأن كتبت بالتاء المضمومة هي صيغة جديدة ، وللأطراد والتوحيد قلبت الكاف تاء في العربية والعبرية حملاً على أختيها المفتوحة والمكسورة مع الخطاب .

(ب) وفي الشمال من المملكة العربية ، أعنى العراق والشام ولبنان ، أثرت اللهجات الآرامية في اللهجات العربية . فنجد فيها كلمة «شِرْش» بمعنى جذر النبات وهي آرامية الأصل ويقابلها في السريانية «شِرْشا» ومعناها الجذر أيضاً . وكذلك «قف» بمعنى رقود الدجاجة على البيض ، وهي في السريانية «قف» أيضاً .

(ج) وفي الوسط من الرقعة الإسلامية ، أى مصر ، رأينا أثر المصرية القديمة في طورها الأخير — أعنى القبطية — في اللهجات العربية . فشاعت جملة من ألفاظ القبطية في العربية وخلدت مع الزمن ، ولا زلنا نسمع

أخذت من اللغات الشرقية كثرة من الألفاظ ذات الصلة بالحضارة الشرقية مادية أو معنوية مثل : Mosquée, imam, minaret الخ.

(ب) والثاني : يكون بنزول الأمم الغالبة على الأمم المغلوبة مع الغزو والفتح أو بأى سبب من أسباب التسلط . وللقاهر سلطانه وللمقهور ضعفه ، وهنا يكاد يفرض لسان الغالب على المغلوب فرضاً ، يلقيه الشعب المغلوب على أمره ليفهم عن غالبه ويفهم عن نفسه ؛ وفي ظل هذه السيطرة اللغوية تشيع في لغة الأمة المغلوبة كلمات الأمة الغالبة . وكما تعطى لغة الغالب تأخذ ، فكثيراً ما عادت لغة الفاتحين أو القاهرين وفي جعبتها جديد من كلمات «المغلوبين» تأخذ مكانها على مر الزمن إلى جانب الكلمات الأصلية . وللغويين اليوم رأى جديد ، فهم يطلقون اسم سبسترا Substrat ومعناه الأصيل عند علماء طبقات الأرض : الطبقة السفلى من الأرض . يريدون بذلك اللغة الأولى قبل أن يختلط بها غيرها فتتشكل أو تزول ونجىء على أنقاضها لغة أخرى ، وقد استطاع اللغويون أن يتبينوا لهذه اللغة الأولى أثرها فيما حل محلها مع أنها قد اندثرت وزالت من الوجود .

٢ - أثر اللغات أو اللهجات غير العربية في اللهجات العربية :

وقد غلبت اللغة العربية بغلبة أصحابها عصر الفتوح الإسلامية الواسعة وفرضت نفسها لساناً للمتكلمين في البلاد التي أظلتها راية الفتح ، وكادت أن تمحو لغة الأوطان

وهذه اللهجات كما نعرف ، ترجع إلى أصل واحد ، هو البربرية الأولى أخت السامينة والمصرية والحامية .

ومنذ أن دخلت العربية موطن البربرية وزحمها ، تقلصت اللهجات البربرية أمام هذا الزحف واحتمت وراء الجبال وفي بطون المغاور ، حيث يعز على الغازى المضى . وأصبحت في بقاع محدودة متفرقة ، هي إذا أخذنا من الشرق مغربيين :

(أ) في ليبيا : واحات سيوة وأوجلا وسكتا ونمسا وغدامس وجبل نفوسة (جنوبي طرابلس) .

(ب) في المغرب الأدنى : بعض جهات من جنوبي تونس ، أي سند وجزيرة جربة وتمزرت .

(ج) في المغرب الأوسط : جبال الأوراس (حيث قبيلة الشاوية) والمنطقتان المسماتان بالقبائل الكبرى والقبائل الصغرى شرقاً مدينة الجزائر (حيث زواوة) وبعض النواحي من جنوبي الجزائر ، مثل تكرت وواركة والمزاب ووحدات فيجيج وتافيلالت وتكرارة وتوات .

(د) في كثير من مناحي المغرب الأقصى إما في شماليه ، أي الريف ، وإما في جنوبيه ، أي عند الشلوح ، وعند الزناغة .

(هـ) بين معظم البدو الرحل المتنقلين في الصحراء الكبرى ، ومنهم التوارق والأماكار والأزجر وغيرهم .

للعامية الكلمات التي ليست من أصل عربي والتي تنهى إلى ذلك الأصل المصرى القديم ، أعنى القبطى ، من ذلك كلمة « ناف » للنير وهي في القبطية « نَهَبَف » بمعنى النير أيضاً مأخوذة من الفعل الهيزوغليفي « نهب » إذا زواج بين شخصين أو حيوانين أو شيتين .

(د) وإلى الجنوب من وادى النيل ، أريد السودان ، اختلطت لهجات السودان بلهجات العرب ، وعلق بالعربية منها الكثير ، نذكر من ذلك كلمة « كوشة » وتطلق هناك على القرطم أو العصفور وهي في النوبة بهذا المعنى أيضاً . ثم « عيسنت » بمعنى فرس البحر وهي نوبة الأصل مركبة تركيباً إضافياً من كلمتين أولاهما إسى ، أى الماء والثانية تى بمعنى بقر . والنون التي بينهما للإضافة . ثم كلمة « دت » بمعنى « قط » وهي بجرمية الأصل .

(هـ) وإلى الغرب ، أعنى في طرابلس وتونس والجزائر ومراكش حيث موطن اللغة البربرية ، شربت العربية من هذا المورد وأثرت اللهجات البربرية في اللهجات العربية أثراً ملحوظاً . وهذا الأخير موضوع بحثنا الآن .

٣ - اللغة البربرية قديماً وحديثاً :

وقبل أن أمضى أحب أن أذكر أن المراد بالبربرية ليست لغة البرابرة أو النوبيين الذين يسكنون وسط وادى النيل فيما بين جنوبي أسوان ودنقلا ، بل هي تلك التي جرت على ألسنة من سكنوا غربي مصر حتى المحيط الأطلسي إلى الشمال من مدار السرطان .

٤ - أسباب تأثر اللغات بعضها ببعض وكيفيته :

(١) أسباب هذا التأثير :

وقبل أن أسوق ألواناً من تأثر العربية بالبربرية في تلك الأصقاع ، ينبغي أن أعرض للأسباب التي تحمل الناس على الأخذ بالدخيل دون الأصل ، وأعرف تلك الأسباب وأشيعها ، ما نعرفه لكل جديد من شيوع . ونرى ذلك مع المكتشفات والمستحدثات في التجارة والصناعة والعلم ، فما تكاد تولد في بلد حتى تطير إلى البلد الآخر . والناس عبيد كل جديد ولهم ولع بالتقليد . وهذه المستحدثات تفرض نفسها على الألسن المختلفة بأسمائها دون أن يمسهما تبديل ، وقد قدمت لذلك بعض الأمثلة . ويعد جديداً أيضاً ما يلقاه النازح إلى وطن غير وطنه من مسميات لا عهد له بها ، فهو آخذها مجزبها على لسانه ضامها إلى قاموسه .

(ب) كيفية هذا التأثير :

(١) وشيء آخر مرده إلى البيئة الجغرافية . فالمشاهد أنه كلما أوغلت لغة في مناطق مترامية الأطراف وأبعدت عن مراكزها الرئيسية ، فقدت مع البعد بعض ما لها من خصائص وصفات ، وصيغت على جوهر آخر يكاد يخالف جوهرها الأول .

وشاهدنا على هذا من اللغات قديمها وحديثها في تطورها ، اللاتينية حين جازت موطنها الأول روما ، إلى مهاجر من الأرض وأبعدت في السير حتى البحرين ، الأطلسي والأسود ،

لقد أصابها ما أصاب غيرها ، فبدت في مهاجرها غيرها في مهدها ، جوهرها غير الجوهر وخصائص غير الخصائص .

(٢) وهناك ظاهرة اجتماعية نعرفها في البدو الرحل ، فهم أبعد من غيرهم عن التأثر بلهجات سواهم لما في طبيعة البدوى من الاعتزاز بكل ما يملك ، فهو حريص على عاداته متمسك بتقاليده معتز بلسانه . يساعدهم على ذلك ، مجانبتهم لأهل الحضر ، إلا في القليل الذي تقضي به شئون الحياة ، ذلك إلى أن نزوحهم إلى تلك المناطق كان متأخراً ولم يحن مبكراً .

وغير البدو سكان الحواضر ، فهم مدنيون يأخذون ويعطون ، ولذلك كانوا أسرع إلى التأثر من البدو يفيدون من اللغات المحيطة بهم وتؤثر فيهم .

(٣) وثمة شيء آخر مرده إلى اللغة . فالأسماء دون الأفعال ، والحروف والصيغ ، سهلة على الأخذ ، هينة في الاستعمال . من أجل ذلك كان أول ما يشيع في لغة من اللغات أسماؤها . وأكثر ما نعد من الدخيل يكون من الأسماء . والناس مع الأفعال والحروف والصيغ أقل أخذاً وانتفاعاً .

٥ - نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع إلى أصل بربرى :

ونستطيع بعد تعرف هذه المبادئ ، أن نعرض جملة من الصيغ والكلمات البربرية التي دخلت إلى العربية في تلك الأصقاع .

تَالَكَة : القصل دَالِيس : الخيزران سَاسَنُو : القَطْلِب (نوع من الشجر) سَكُّوم : الهليون (كشك الماز) سَمُّوم : الحصرم طَاقَة : العرعر قَرُوش أو كَرُوش : نوع من البلوط وَرَوَار : السنبوقة	(١) في الصيغ معروف أن في الجزائر ومراكش ، يبنى العوام أسماء الصناعات والصفات الخلقية على صيغة « تافعال » بزيادة تاء في أول وتاء في الآخر للتأنيث . ونعرف أن هذا من خواص اللغة البربرية . مثال ذلك في الصناعات قولهم : تابَنايت ، أى البناية ، وهى صناعة البناء ، وتابَياعت تاشرايت ، للتجارة وهى حرفة التجار .. ومثال ذلك في الصفات الخلقية : تاشيطانت ، ويقابلها بالمصرية الشيطنة . وتاحراميت ، وهى صفة اللصوصية أو المكر .
(د) في الحيوان بييط : نوع من الطيور أَبْرِيَز : نوع من الجراد تَاتَة : الحرباء (أم حنين) تَبَّيب أو تَبْشوب : المدهد جَغْلَال : الحلزون ارَزَزَى أو فَرَزَزُو : الزنبور زَاوَش أو بِزْوِيش : العصفور فَكْرُون : السلحفاة قَطُّوس : القط قِلْوَاش : الجمل (تصغير جلى) قُلَاف : حيزق النحل قَمَقُوم : منقار الطير مِيسِي أو مَسُوسِي : نوع من الطير (أبو فصادة) مُولَاب أو بُولَام : الجردون ودَاد : الوعل وُكْرِيَف : العجيل (تصغير عجل)	(ب) في الكلمات (١) مثال ذلك من الأسماء قولهم : (أ) في الطبيعيات تَبْرُورِي أو تَبْرِيرُو : البرد (الحبقر) أَمِيلُوس : الوحل أَزَايت أو أَزِيَاط : الريح الشديدة العاصفة أَكْدَال : المروج والمرعى غير المباح .
(ب) في المعادن أَلْدُون أو أَدَنْدُون : القصدير بُولْدُون : الرصاص (ج) في النبات أَمْدَر : فرع الشجرة	(ب) في المعادن أَلْدُون أو أَدَنْدُون : القصدير بُولْدُون : الرصاص (ج) في النبات أَمْدَر : فرع الشجرة

(ز) في المصنوعات	(هـ) في الانسان
أَشَاشُو : مكيا . أَفْرُور : نوع من الخزف الأحمر .	(١) جسمانيا أَلِيط أو وَيَلَط أو لَطَه : بثرة جافة تكون في جفن العين (الشعيرة)
أَقْرَاب : الخرج أو الجراب المصنوع من ألياف الدوم .	شَنْتُوف : الشوشة مَصَاصَة : الخاصرة والقطن والكفل
أَقْوَال و قَلَال : نوع من الطبل المسمى عند أهل مصر بالدريكة .	(٢) اجتماعيا
أَقْرور : خُم الدجاج . تَافِزَة : نوع من الحجر الرملي .	مَزُوار : نقيب الأشراف مَازُوزِي : الاخير من النتائج زراعي كان أو آدميا
تَافِرَة : إناء من الفخار أو الخشب .	تِيوزَة : التبادل والتعاون بين أهل القرى
أَفْرَاك : جدار من النسيج (توك) .	قَنْدُوز : التلميد لُيوس : السلف (أخو الزوج)
زَقَاو : مقطف كبير . قَلُوش : إناء صغير من الفخار .	تِيغْرَاض : الأجر (ومعنى الكلمة البربرية الأصلية تدل على الأكتاف)
نَمْسِير : الثفال . هَرَكُوس : جذاء مستعمل أو من صنع غير دقيق	(و) في المأكولات
(٢) مثال ذلك من الأفعال قولهم : صَيَفَطَ زَيْفَط . صَفَّط : أرسل . سَاط أو صَاط : نفخ في النار بالمنفاخ : تبلل . فَسَزَق : لطح بسواد أو فضح	أَنْكُول : نوع من الرغيف (يقرب من شكل الشريك المصري) بَرْقُوقِيس أو بَرْكُوكِيس : نوع من الكسكسي الحشن .
(٣) مثال ذلك من الحروف قولهم : نَيْت : ذات أو نفس تستعمل في التراكيب	بُوزَلُوف : رأس الحروف المطهى قَرْشَالَة : النخالة الناعمة

مثل هونيت ، هو

نفسه ، في ديك الساعة

نيت ، أى في تلك

الساعة بالضبط

: مستعملة كحرف

جر عوضاً عن لام

الجر في طنجة

فيقولون : قال

انحاك بدلا من قال

لأخيك .

: أداة الإضافة مثل :

: أبو القائد .

: أم القائد .

: أخو القائد .

بنوآين القائد

نجمآين القائد

خآين القائد

(٤) مثال ذلك من تراكيب الكلمات :

تنكر اللغة البربرية أداة التعريف ، شأنها

في ذلك شأن التركية والفارسية واللاتينية

والروسية . فن أجل ذلك نرى أن الألفاظ

التي استعارتها العربية من البربرية لاتزال

مستعملة في بعض النواحي المراكشية من غير

« ال » التعريفية تأثراً بالبربرية . فيقولون

مثلا : هات أنقول أى هات الرغبة ،

وعدم وجود ألف لام التعريف لا يدل على

التنكير بل هي معرفة .

الختام

ولو قصدت إلى التوسع في التمثيل

والاستقصاء في الاستشهاد لسقت كثيراً مما

لا يتسع له حصر ويضيق عنه الوقت . وإنما

أردت التدليل والإبانة ، فاكثفت بما أوردت .

ولو كان كلامي في غير أثر البربرية في

العربية ، لعقبت على كل كلمة بذكر بيئتها

الجغرافية ، وعرضت لأصلها والأطوار التي

مرت بها وصلتها بغيرها ، ولكن لهذا بحثاً

مستقلاً نتناوله إذا أردنا الكلام على البربرية

وحدها ، عندها يتسع المجال للتشعب

والإسهاب .

وآعود إلى حديثي عن أثر البربرية في

العربية فأذكر أن تلك النتائج التي انتهت إليها

والتي هي ذات التأثير في اللغات ، أعني

الظروف الجغرافية والظاهرة الاجتماعية ثم

خفة الأسماء وسهولة الانتفاع بها دون الأفعال

والحروف . فلكل من هذه الثلاثة أثره

المحسوس فيما نحن بصدد من تأثير البربرية

على العربية ودليل ذلك :

(١) أن أثر اللهجات البربرية في العربية

أشد وأقوى في المغرب الأقصى منه في

المغرب الأوسط ، وهو في الأوسط أكثر

منه في المغرب الأدنى . وسنده ما قدمنا من أن

اللغة كلما بعدت عن مركزها الأصلي ضعفت

غلبتها وقوى عليها غيرها . وأن البربرية

اتخذت من المغرب الأقصى معقلها الأنخير

في فرارها أمام زحف العربية .

(٢) أن الحضر كانوا أكثر أخذاً للكلمات

البربرية ، وذلك لأن البدو أبعد عن الاختلاط

وأحفظ لموروثهم ، وعلى العكس من هذا

الأمر في الحضر ، فهم في اختلاط مستمر

ثم هم يتطورون بتطور المدنيات . ومعلوم أن

اللغات تسير المدنيات وتأخذ منها .

(٣) أن الكثرة من الأصل البربري في العربية من الأسماء والقلة من الأفعال والحروف والصيغ والتراكيب .

ثم نضيف إلى ما سبق ملاحظات شتى :

(١) أن القدر الأوفى مما دخل العربية من البربرية إنما كان لمسميات جديدة من نبات أو حيوان أو غيرها لم يعرفها العرب من قبل ، فحملوا على أخذها حملاً ليسدوا فراغاً لم يجدوا في لغتهم ما يسده .

(٢) ونجد أن أكثر تلك الأسماء ذات دلالة ذاتية ، والقليل النادر منها ذات دلالة معنوية ، والندرة في المعنويات دليل على أن الثقافة العربية أوسع نطاقاً وأبعد مدى . ولو مكن لي أن أفيض في البحث عن تأثير العربية في اللهجات البربرية ، لوصلت إلى ما يأتي : وهو أن هذا التأثير أفسح مدى من تأثير البربرية في العربية ، وسبب هذا هو ما أشرت إليه وهو سيادة الثقافة والمدنية العربيين على البربرية .

(٣) وقد يسبق إلى الظن أن كل ما أوردت من الكلمات البربرية للتمثيل والاستشهاد ينتهي إلى أصل بربري ، بل قد وجدت منه ما إلى اللاتينية أصله أو من العربية مأخذه . مثال ذلك «قطوس» ، فلما من أصل لاتيني . ثم «أقرب» فلما من الكلمة العربية «قرب» ثم زادت عليها البيئة ما يجعلها منها .

(٤) وقد ذكر بعض المستشرقين كلمات

رجعوا بها إلى أصل بربري رأيت ألا أجعلها في مساق تمثيلي لأن لي معها رأياً آخر ، مثال ذلك «زيتون» ، التي هي بمعنى الزيتون فقد قيل عنها إنها مأخوذة من البربرية ، وأكاد أرى أنها عربية الأصل وأنها ترجع إلى كلمة زعيج العربية ، وعنها تحورت بعد ، ففقدت عينها طبقاً لقانون صوتي للغة البربرية وكذلك الحال في «كركور» التي بمعنى الحجارة المترامية فقد قيل عنها هي الأخرى لأنها من أصل بربري ونميل إلى أنها من أصل عربي وهو «قهقور» وعنه تشكلت .

وهذا البحث جزء من كل ، يمت إلى موضوع واسع شغلت بدراسته - ولا زلت مشغولاً به - أريد أن أخلص منه إلى نتائج عامة عن تأثير اللغات بعضها ببعض ، فعندى أن اللغات مهما بعد ما بينها في الظاهر ، لها صلات بغيرها ، وإن قدر للأهم أن تعيش في معزل عن غيرها بعض الوقت فقد قربت الحياة بينها أكثر . وما من شعب إلا وحمل إليه كما حمل عنه . والأهم والشعوب كالأفراد لا تهدأ لها صلة ولا تسكن لها ثائرة .

وأمل أن أتبع هذا البحث الجزئي بغيره فأتناول اللهجات العربية في بيئاتها المختلفة وأفرد المصرية الشائعة اليوم ببحث أكشف فيه عن تأثيرها بالمصرية القديمة .

وتعرفون أن لعلم اللغة أسلوبيين ، أحدهما نظري والآخر تطبيقي ، فأولهما : ينظر للغة كأداة للنطق والتفاهم من غير خضوع للزمان والمكان : وموضوع هذا البحث دراسة

ولكل لغة تاريخها الموهل في القدم ، وهذا الماضي الحافل بالأحداث التاريخية لا يمكن لدارس أن يستغنى عنه إذا أراد أن يفهم خصائص هذه اللغة على المنهج السليم . كما أنه لا يمكن أن نفهم خصائص إنسان ما ، من غير رجوع الى ماضيه وأحداثه ، وكذلك أثر البيئة في حياته .

كل لغة كوحدة مستقلة وتعرف أسباب تطورها الذاتية من غير نظر الى مؤثر خارجي .

وثانيهما - وهو التطبيقي - فإنه يعد كل لغة كجزء من مجموع اللغات ، فإذا تعرض لها يبحث أو دراسة ، رجع الى اللغات من حولها والعلاقات بينها وبين بعضها ، والتفت إلى الزمان والمكان ليعرف أثرهما في ذلك اللقاح

الألفاظ الأيوبية في كتاب «تقويم النديم»

للسيد الأستاذ محمد رضا الشيباني عضو المجمع (١)

كتاب « هر القحوف » والشيخ قاسم الدمشقي في معجمه نسجا على منوال فخر الدين بن حمويه ، فهو أقدم أديب عاليج هذا الموضوع على كل حال ، وقد قلت فيما قلت في تلك الجلسة إني لعل استعداد لإهداء نسختي التي ظفرت بها من الكتاب إلى مكتبة المجمع أو الى وزارة المعارف المصرية لأن مصر بهذا الكتاب أولى من العراق ، هذا ولما قفلت الى بلدي بعد انقضاء المؤتمر الماضي بعثت بالنسخة المذكورة فوراً الى الوزارة المشار اليها ضمن كتاب أرسلت نسخة منه الى مكتب المراقب الإداري في هذا المجمع . فوزارة المعارف هي التي تملك حق التصرف في الكتاب الآن .

إلى هذا الحين كتب غير واحد من المعنيين بالبحث عن الأصول القديمة يرون أن نسختنا العراقية هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب ، بيد أني ما زلت منذ نزلت القاهرة في منتصف الشهر الماضي حتى

كتاب «تقويم النديم ، وعقبى النعيم المقيم» ، وبهذا الاسم ورد ذكره في «كشف الظنون» وفي غيره من فهارس الكتب ، كتاب غير غريب عن المؤتمر ، فقد ورد ذكره في معرض البحث عن المصطلحات الحرفية ، في مؤتمر السنة الماضية ، وهو البحث الذي عالجه الأستاذ «ماسينيون» في محاضرة لطيفة أشار فيها الى عناية بعض علماء الشرق بوضع معجم في ألفاظ الحرف والصناعات ، وكانت لي كلمة في التعقيب على المحاضرة قلت فيها إن أول من طرق هذا الباب أديب مصري من أعلام القرن السابع ومن وزراء الدولة الأيوبية في عصر الكامل بن الملك الصالح أيوب ، وهو الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه الجويني ، في كتاب له سماه «تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم» ، ضمنه جملة صالحة من المصطلحات الحرفية الشائعة في عصره . وما من شك أن الشريفي في

(١) بحث ألقى في الجلسة الثامنة للمؤتمر (١٥

من يناير ١٩٥١) .

الأيام الأخيرة ، في سبيل التنقيب عن أصول الكتاب في دور الكتب هنا وهناك ، الى أن ظفرت بنسختين جديدتين ، توجد إحداهما في دار الكتب ، والثانية وهي أقدم خطأ وأدق ضبطاً في المكتبة الأزهرية ، وإن كانت ناقصة قليلاً ، ولعلها نسخت في عصر المؤلف أو قريباً منه ، فهي أصل يعتمد عليه ، لأن كلا النسختين العراقية ، ونسخة دار الكتب ، سقيمة لا يوثق بكل ما جاء فيها ، وفيهما ما فيهما من المسخ والتحريف والتصحيف .

مؤلف الكتاب : مؤلف كتاب «تقديم النديم وعقبى النعيم المقيم» ، سمو الأمير صاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين محمد شيخ الشيوخ بن حمويه الجويني ، من أعلام مصر في صدر القرن السابع ، ووزير بني أيوب ، ومقدم جيوشهم في الملك الكامل وآل حمويه بيت مشهور يمت اليه عدد من الأعلام ، وحملة السيوف والأقلام ويراجع عن سيرة المؤلف وأهل بيته كتب التاريخ والطبقات بين أواخر القرن السادس وصدر القرن السابع ، وممن ترجم لمثنىء هذا الكتاب السبكي في طبقاته وترجمته ضافية مستوفاة ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة . وابن أبي شامة في الذيل على الروضتين وجل المؤرخين المصريين والشاميين الذين عنوا بتاريخ الحروب التي دارت رحاها في مصر بين الأيوبيين والفرنسيين في منتصف القرن السابع وهي حروب طاحنة في بعض وقائعها أسر ملك فرنسا وفي واقعة منها وقعت سنة ٦٤٧ قتل مؤلف هذا الكتاب .

قال ابن أبي شامة في حوادث السنة المذكورة ما نصه : « فيها قتل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وهو آخر أخوته موتاً » ، وفي حوادث السنة عينها من النجوم الزاهرة ما نصه « توفي إصاحب فخر الدين يوسف صدر الدين بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه الجويني كان عاقلاً جواداً ممدحاً خليقاً بالملك محبوباً إلى الناس ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمياط ، ندب إلى الملك فامتنع ولو أجاب لما خالفوه ، واستشهد على دمياط » وقال أيضاً « ومن الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، الأمير مقدم الجيوش فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين الجويني في ذي القعدة شهيداً يوم وقعة المنصورة » وفي تاريخ أبي الفداء وابن الوردي مثل ذلك .

موضوع الكتاب : موضوع الكتاب أدبي بل هو سلسلة طويلة من المنظوم والمثور ، ولك أن تقول إنه مقامة واحدة من هذه المقامات الأدبية ، لم يراع فيها التنوع والتقسيم ، فلا عجب إذا اعتري قارئ الكتاب ضرب من السأم ، وإنما قلنا «مقامة» لأن المؤلف استهل الكتاب بقوله «حكي السرور ابن اللذة : قال كنت وشعلة جنون شباني في عنفوانها وصحيفة عمرى لم أقرأ منها غير عنوانها» وهذه العبارة شبيهة ببعض عبارات الحريري وغيره من أصحاب المقامات ، والمقامة كلها قحة من أولها إلى آخرها ، فاضمت بضروب الفحش والجون الذي لا يستساغ نشره فيما أرى وإن نشر الناشرون ما هو أسوأ منه وقد حاول المؤلف في مواضع عدة من الكتاب ، تأكيد سلامة نيته ، وحسن قصده

المصطلحات من أوضاع المصريين في اللغة أو من مصطلحاتهم المولدة .

شاعرية الجويني : والقريض في هذا الكتاب كثير وأكثره من إنشاء المؤلف وهو مدمج في النثر فالجويني شاعر وشعره في طبقة نثره وله طريقة خاصة في اختيار شواهد الشعرية شرحها في آخر كتابه ولا يخاو أسلوبه من تصنع في المنظوم والمنثور .

المصطلحات الحرفية في الكتاب :

تصفحت الكتاب فعثرت فيه على مجموعة من المصطلحات والألفاظ الحرفية التي شاع استعمالها في دواوين الدولة الأيوبية ، وعلى ألسنة الجمهور والكتاب في مصر وما إليها من البلاد وقد وجدت أن أصول كثير منها فصيحة بل عريقة في الفصاحة في تلك العصور ولم أجدها لبعض ألفاظه ذكراً في المعجمات ، إما لأنها ألفاظ مولدة ، أو أوضاع حادثة في العصور الأيوبية ، ولم أنقل كل الألفاظ أو المصطلحات الواردة في الكتاب ، لكثرة المسخ والتحريف في نسختي منه ، وليس في وقتي الآن متسع للمقابلة والتحقيق ، ولذلك عنيت بنقل نموذج من ألفاظ الكتاب مع شرح موجز وإيضاح لمعانيها أحياناً ، وأما البحث في أصول تلك الكلمات ونقل مذاهب اللغويين وأحكامهم فيها وفي جواز استعمالها فإن له وقتاً آخر والأمور مرهونة بأوقاتها ، وهذه هي مصطلحات الكتاب .

الفلاحة والزراعة وما يتصل بالملاحة :

جزان . مشاق . قلفاط . جसार . مرابع . فلاح ريس قرقورة وطراح . مفرك ودقاق

في مجونه وعبته الفاحش ، وأن ذلك مجرد أقوال لم تقترن بأعمال وأفرد فصولاً أخرى في أول الكتاب وآخره للدفاع عن نفسه والاعتذار عن شطحاته وبدواته ، وعرض ببعض خصومه الذين نسبوا إليه الجحد ، ورموه بسوء القصد وزعم أنه نسج على منوال البلغاء ، فما وضعوه من الكلام منسوباً إلى الحمادات أو ما عزوه من الحكم إلى الحيوانات مثل ما جاء في كتاب «كليلة ودمنة» وكثير من المقامات وقد يكون هذا العذر مقبولاً لولا أن الجويني أسرف والحق يقال - وأفرط في تماجنه وخلاعته من هذا القبيل ، ومع ذلك فإن وجه الانتفاع بنشر جانب من هذا الكتاب ظاهر لعناية المؤلف بتدوين المصطلحات الحرفية الشائعة في عصر على وجه لم يسبق له مثيل .

في مطاوى كتاب تقويم النديم مجموعة ألفاظ ومصطلحات كانت تدور على ألسنة المصريين في عصر الدولة الأيوبية ، وقد عني المؤلف عناية خاصة بتدوين هذه الألفاظ أو المصطلحات الأيوبية وإنما قلنا «ألفاظ أيوبية» مع أنها لا تخلو من ألفاظ عباسية أو فاطمية ، من باب التغليب أو لأنها أوضاع شاع استعمالها في العصر المذكور بطريقة الاشتقاق أو التوليد أو التعريب أو بطريق من طرق المجاز أو الاستعارة .

قد يكون حفظ هذه المصطلحات وإضافتها إلى تراثنا اللغوي إحدى غايات هذا الأديب من إنشاء هذه المقامة ، كما كان حفظ أو ابد العربية إحدى غايات الحريري من إنشاء المقامات ، وبعض هذه الألفاظ أو

قفاص . قفاف . خواص . تبار . علاف .
ناخوذاه . وربان .

جران - صانع الأجران .

مشاق وقلقاط - من الألفاظ الداخلة في
صناعة السفن .

جسار - القيم على الجسر ، وهي شائعة
إلى اليوم في العراق فيقولون : «جسار»
للقيم على الجسر أى (الكوبرى) باصطلاح
المصريين اليوم والكوبرى تركية ولا تستعمل
في العراق والشام .

مرايع وفلاح - الفلاح معلوم وأما المراع
فالأغلب أنه الفلاح أو الأجير الذى يأخذ
ربع الغلة ولا أدرى أهي شائعة في مصر
اليوم أم لا .

«ريس قرقورة» وطراح - قال الخفاجى في
شفاء الغليل قرقور ضرب من السفن تكلّموا
به قديما، هذا كل ما ورد في «شفاء الغليل»
وقال الجواليقي في «المعرب من كلام العجم» ،
القرقور ضرب من السفن أعجمى وقد
تكلّمت به العرب ، وزاد ابن دريد أنه
ضرب من السفن كبار ، وفي «اللسان» ، قيل
هي السفينة العظيمة الطويلة ، والقرقور
أطول السفن وجمعه قراقرير . أما الطراح
فالأغلب أنهم كانوا يستعملونها في العصر
الأيوبي بمعنى الملاح وما الى ذلك .

مفرك ودقاق - المفرك هو الذى يفرك
الحب قال في القاموس أفرك الحب آن له
يفرك واستفرك في السنبلة سمن واشتد وفرك

السنبل دلكه فانفرك . وأما الدقاق فهو بائع
الدقيق قال الفيروزابادى ، الدقيق الطحين
وبائعه دقاق ، ومن ذلك يعلم أن أفصح
الألفاظ والمصطلحات كانت تدور على
ألسنة جمهور المصريين في عصور الدولة
الأيوبية .

قفاص . قفاف . خواص - القفاص
صانع الأقفاص والواحد قفص وهو الذى
يحفظ به الطير وغيره والقفص أيضا أداة
زراعية ينقل بها البز الى الكدس . والقفاف
صانع القفاف أو بائعها واحدها قفة بالضم
وهي معروفة كهينة القرعة تتخذ من الخوص
والخواص قال المجد الفيروزابادى الخوص
(بالضم) ورق النخل ، والخواص بائعه ومما
يستدرك عليه إناء مخوص فيه على أشكال
بائع الغلف قال في القاموس وهما لفظان
شائعان في مصر الآن .

ناخوذاه وربان - ناخوذاه فارسية معربة
استعملها شائع في العراق من القديم الى اليوم
بمعنى ربان السفينة ولكنهم يقولون الآن
«نوخذه» والظاهر أنها كانت معروفة
في مصر أيضا بالمعنى المذكور على عهد
الأيوبيين قال المجد الفيروزابادى في مادة
«نخذ» «النواخذة» ملاك سفن البحر أو
وكلاؤهم معربة الواحدة «ناخذاه» اشتقوا
منها الفعل وقالوا تنخذ كترأس .

الفاكهة والمأكول والمشروب

مواز . قماح . تمار . رزاز . لبان .
سماك . جبان . سمان . هراس . شواء .
قلاء . قراب . مزار . عكار . بداد .

جباس وجبان - الجباس هو العامل بالجبس أى الجص والجبان فى العراق هو الذى يجبن الجص ويحمله الى البناء والكلمة شائعة على ألسنة العراقيين اليوم .

المبلط - عامل حرفته فرش الدار بالبلاط والبلاط الحجارة التى تفرش بالدار وكل أرض فرشت بها أو بالآجر يقال بلط الدار وأبلطها وبلطها فرشها به . والكلمة معروفة الآن فى البلاد المصرية .

المرخم - وزان المبلط وهو الذى يعمل فى البناء بالرخام ولا يوجد فى المعجمات وفى مصر الآن يقولون المرخمانى - المعنى المذكور -

مصور - دهان : معروفان .

حرف الجوهرين والمعدنين

ذهبي . مداد . سكاكينى . براد .
مبيض . نحاس . صيرفى . نقاد . مرصص .
سباك . حجار . طلاع . نشار . حكاك .
ققال .

الذهبي - بائع الذهب أو الحلى الذهبية
مداد - هو الذى يمد الذهب أو ييسطه ويسويه (من الأوضاع اللغوية المولدة فى عصر الأيوبيين) .

ققال - صانع الأقفال أو بائعها .

البراد - فى حرفته برد المعادن من ذهب وفضة وحديد وبردها عبارة عن قشرها أو نحتها والمبرد آلهة والبرادة هى نخالة المعادن المبرودة .

من ألقاظ الكتاب فى هذا الباب مواز وقماح وتمار ورزاز لباعة الموز والقمح والتمر والرز ومن ذلك لبان وسماك وجبان وسمان وهراس وشواء وقلاء والألقاظ الأخيرة شائعة فى أقطار الشرق العربى إلى اليوم .

قرباب : الغالب أنه صانع القرب جمع قرية أو من يمتن سقى الماء من القرية وهى صيغة مولدة وجائزة يكون المقصود به صانع العمدة أو القرباب .

مزار - بائع المزر نبيذ الذرة أو الشعير .

عكار - لبائع العكر وهو النخالة .

بذاذ - العامل فى البد وهى معصرة الزيت قيل انها مصرية ولكن شائعة الآن بمعنى آخر .

البناءون وما يتصل بالبناء

طواب . عجبان . خراط . جبانس .
جبان . مبلط . مرخم . مصور . دهان .

طواب - صانع الطوب أو الطوبية لغة شامية أو مصرية بمعنى اللبن عندنا فى العراق وهو هذا الطين المضروب للبناء .

عجبان - ورد فى الكتاب مرادفا لكلمة طواب وقد يراد به من يعجن الطين أو غيره من مواد البناء .

خراط - من خرط العود اذا قشره وسواه وحرفته الخراطة وهى معروفة بهذا المعنى الآن .

صيرفي . نقاد : معروفان .

مرصص - عامل حرفته طلي الأشياء
بالرصاص ، قال المجد الفيروزابادي شيء
مرصص مطلي بالرصاص .

سباك - أصله من سبك المعدن أذابه
وأفرغه وهي معروفة الآن .

مبيض - أصله من يبيض ضد سود والمراد
به على الأكثر مبيض المساكن والبيوت
بالخص والبورق وفي العراق يطلقون هذه
الكلمة الآن على الماهن الذي يبيض الأواني
بالقصدير .

الحكاك - يطلق في العراق على من
يسوى فصوص الخواتم والقلائد وما إلى
ذلك ولا يعلم المراد منه في هذا الكتاب .

الحرب والسلاح

رماح . زراد . نشابي . قواس . تراس .
سياف . صيقل مشاعلي . نفاط . جرخي
زراق .

رماح - الرماح متخذ الرمح وحرفته
الرماحة قاله المجد الفيروزابادي في القاموس
والرماحة أيضاً فرقة عسكرية تحمل الرماح .

زراد - الزراد صانع الزرد والزردي هي
الدرع المزرودة .

النشابي - نسبة إلى النشاب والنشاب النبل
والنشاب بالفتح متخذة وقوم نشابة
يرمون به .

القواس - صانع القوس أو الذي يتخذ
القوس سلاحاً له .

تراس - صاحب الترس أو صانعه
والتراسة صنعته .

الحيوان

فهاد . دباب . قراد . لسائس الفهود
والديبة والقروود .

كباش . حمار - صاحب الكباش والحمير
قال في القاموس الحماره أصحاب الحمير
كالخماره وهي شائعة في أقطار الشرق العربي
اليوم .

المطير . طيورى - الذي يلعب بالطيور
والصبيغة الأولى شائعة في العراق اليوم .

البراج - القيم على الأبراج والمقصود بها
هنا الأبراج التي تتخذ للطيور .

كلابزى - قال في «شفاء الغليل» الكلابزة
هي معرفة حال الكلاب السلوقية منسوبة إلى
سلوق بأرض اليمن . قيل إن الكلمة مصرية .

بزدار - صاحب الباز أو الخبير بطباعه
وإعدادة للصيد (معرب) كما في الصحاح .

ويقال بيزار وجمعه بيازرة قال في الشفاء
تصرف فيه المولدون حتى قالوا لصناعته
(بيزرة) أو (بزدره) كما فعلوا في البيطرة
وقد وضعت في هذا الفن كتب بعضها يسمى
(كتاب البيزرة) وعندى شيء منها ويراجع
عن هذه المادة كتاب المعرب للجواليقي
والتذكرة الأنطاكي .

ألقاب الخدم

البلان - أصل هذه الكلمة من مادة
البلل وكانت شائعة قديمة بمعنى الحمام ذكرت

اليوم يقال للماشطة التي تزين العروس ليلة البناء (بلانة) على ما رواه لي بعض أدباء القاهرة .

الوقاف - تطلق هذه الكلمة في العراق اليوم على الرقيب الذي يقف مع الأجير وهو معناها على الظاهر في عصر مؤلف الكتاب فهي كلمة مولدة وكلمة (الوهين) في الفصحى تسد مسد هذه الكلمة قال الفيروزابادي : الوهين رجل يكون مع الأجير في العمل يحثه عليه .

هذا طرف من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التي وجدتها في كتاب تقويم النديم ولم آت على كل ما يوجد في تضاعيف الكتاب من هذا القبيل أو من الأوضاع اللغوية التي كانت شائعة في عصر الدولة الأيوبية . فالكتاب مفيد كل الفائدة لمن يعنى بالبحث عن المصطلحات والألفاظ الحرفية في العربية الفصحى أو في اللهجات العربية الشائعة في أقطار الشرق العربي ويستفيد منه مضافاً إلى ذلك من يعنى بتاريخ العمران والحضارة في مصر الإسلامية .

هذا ومن رأي أن وزارة المعارف تحسن صنعاً إذا عهدت بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتهذيبه إلى لجنة من اللجان المعنية بنشر المخطوطات النادرة . والغالب أن الوزارة المشار إليها تعنى الآن بالنظر في وجوه الاستفادة من هذا الكتاب .

مرتين في القاموس ففي حرف اللام وفي مادة (البلل) قال المجد الفيروزابادي «البلان كشداد الحمام جمعه بلانات» وقال أيضاً في حرف النون «البلان كشداد الحمام» وذكر في اللام و«محمل القول أصل هذه المادة من البلل» ولكن المجد الفيروزابادي لم يخلص إلى رأى معين في أصالة النون أو زيادتها بيد أن الشارح تدارك ما أهمله الماتن وهاك ما قاله الزبيدي في التاج: «البلان» كشداد الحمام جمعه بلانات والألف والنون زائدتان وإنما يقال دخلنا البلانات عن أبي الأزهر ولأنه يبل بمائه أو بعرقه من دخله ولا فعل له وفي حديث ابن عمر سفتحنون أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها البلانات من دخلها ولم يستتر فليس منا قلت—والقول للزبيدي - وأطلق الآن البلان على من يخدم في الحمام وهي عامية .

وعاد الزبيدي شارح القاموس إلى شرح الكلمة مرة أخرى في باب النون فقال «البلان» كشداد أهمله الجوهري وقال ابن الأثير هو الحمام ومنه الحديث سفتحنون بلاداً فيها بلانات أى حمامات قال والأصل بلالات فأبدلت اللام «نوناً» .

هذا وفي عصر المؤلف وهو عصر بني أيوب شاع استعمال هذه الكلمة بمعنى خادم الحمام أو الدلاك ومن رأى بعضهم أن أصل الكلمة من اليونانية وإلى هذا ذهب اللغوي العراقي أنستاس الكرملي وليس بشيء إذ لا يخامرني أدنى شك في عروبة هذه الكلمة وفي مصر

رأى فى تحديد العصر الجاهلى

للأستاذ إبراهيم مصطفى ، عضو المجمع (*)

وتحديد هذا العصر بمعالم من التاريخ أول واجب لتصوره ولفهم مجرى حوادثه .

وآخر هذا العصر معروف محدد هو سنة ٦٢٢ وهو بدء التاريخ الهجرى .

وإذا نظرنا وجدناه لا يؤرخ بزوغ الدعوة الإسلامية وبدء ظهورها فقد دعا الرسول الى دينه سرا وجهرا وأعلن رسالته فى الأسواق وهى مجامع العرب وعرض نفسه على القبائل وتم ذلك كله قبل الهجرة ولم يعد شىء منه نهاية للعصر الجاهلى .

وكذلك لا يؤرخ انتشار الاسلام وغلبته على الجزيرة العربية فقد كان الاسلام فى المدينة وحدها بل فى جزء منها وسلطان الحياة الجاهلية لم يزل مبسوطا فى الجزيرة وأرجائها الواسعة . والمسلمون أقلية صغيرة ضئيلة كما كانوا أقلية بمكة .

ولكن أمير المؤمنين عمر والعرب معه لم يتخذوا هذا التاريخ اعتباطا ولا حدوده تحكما بل رأوه تاريخ تكوين حكومة خضعت لها البلاد العربية وشملها سلطانها ونظامها وقضت على حالة من الفوضى تنهب فيها الأموال والأنفس . والضعيف نهب القوى .

ولم يتخذ تاريخنا حتى كان سلطان تلك الحكومة وطيدا شاملا وأمنها مظلا وارفا .

وكان تكوين الحكومة عقب تلك الرحلة

يرجع أدبنا فى أصوله الى العصر الجاهلى — ألفاظ لغتنا ، وطرق اشتقاقها ، وبناء الجملة ونظم تأليفها ، وأوزان الشعر وقوافيه وهيكल القصيدة .

ومثل البداية فى العصر الجاهلى وصور الحياة فيها لم تزل منبثة فى تفكيرنا وإيماننا ونظم حياتنا وكل تنوير لهذه الحقبة من التاريخ يرجع بالإضاءة والكشف على أصول أدبنا وتكوين حياتنا .

وهو عصر غامض حتى لا نعرف مداه ولا نقف على تحديده ولهذا ترسل الحوادث فيه مبعثرة مضطربة غير مرتبطة بأوقاتها ويغشيها ستار من الخيال ومن المبالغة تنيه فيه الحوادث ويضل المؤرخون .

فحرب « داحس والغبراء » مثلا وهى من أشهر حوادث هذا العصر يعدها بعض المؤرخين فى أوائل القرن الخامس ويراها آخرون من حوادث القرن السادس ومنهم من يقول إنها امتدت أربعين سنة ومنهم من يرى حصرها فى عشر هذا الزمن أى نحو أربع سنوات .

وزهير بن جناب الكلبي عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة أو ٤٥٠ سنة وطى بن أد عاش ٥٠٠ سنة .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة التاسعة للمؤتمر (١٧ من يناير ١٩٥١) .

القاسية السعيدة الفاصلة وهي الهجرة فسمى التاريخ بالمهجري .

فهذه نهاية العصر الجاهلي قرنت بالمهجرة وبتكوين الحكومة الإسلامية .

فما مبدأ هذا العصر ؟ يرجع المؤرخون به الى أول الخليفة ويجعلونه شاملا لكل ما كان قبل الإسلام وهم بهذا يقررون أن العرب أو عرب الشمال على الأخص قد جاءهم الإسلام وهم على حالة بدائية لم يتصلوا قبلها بحضارة .

ونحن مضطرون هنا أن نشير إلى نوعين من الجاهلية . جاهلية فطرة وتكون الأمة فيها بدائية متبربرة خشنة العيش لم ترث آثار مدنية سابقة . وجاهلية فترة وهي حال أمة كانت لها حضارة فقدتها بسلطان من الطبيعة أو أحداث السياسة وتدهورت في حياتها درجات وبقي مستكنا فيها آثار ما تمتعت به من حضارة .

وإذا كان مسلك المؤرخين يفيد أن جاهلية العرب هذه كانت جاهلية فطرة فإن كل شيء في التاريخ وفي حياة العرب يشهد أنها كانت جاهلية فترة ؛ جاهلية موقوتة تحمل آثارا قوية من حضارة أو حضارات سابقة . لغتهم وبيانهم لم تكن لغة أمة بدائية ولا قريبة من البدائية .

وعملهم وهو التجارة — والتجارة الخارجية خاصة — بعيد أشد البعد من عمل أمة بدائية وحكمهم للبلاد يوم فتحوها وسياستهم أهلها لا يمكن أن يتبها لأمة فطرية .

حتى ردائل الجاهلية ، فيها ما يشهد ببعدها عن الحياة البدائية : هذا الربا الذي شدد الإسلام في النهي عنه والذي عني به الرسول في خطبة الوداع ووضعه عن الناس ، يشهد تعدد أنواعه والتشدد في تحريمه بتغلغله في الحياة الجاهلية . وما كان تقويم المال وتقديره وأرباحه عملا من أعمال الأمم الفطرية .

وربا الفضل نوع من الاتجار في الأثمان وفي النقد وعمل من أعمال «البورصة» ومضارباتها وهو من أمراض حضارة غنية مرفهة فقد كان نقد الفرس بأيدي العرب يعاوي ويهبط تبعا لانتصارهم أو هزيمتهم. وكذلك نقد الروم فتضطرب الثروة في أيدي الناس وينتهز الفرصة البصيريون النهازون كما يفعل اليوم تجار النقد . وقد عالج الإسلام أصلح علاج : الذهب بالذهب والفضة بالفضة مثلا بمثل يدا بيد .

والقرآن يشهد للعرب بحضارات سالفة بائدة : فهم على دين أبيهم ابراهيم ، وأرسل الى العرب رسل منهم هود وصالح وشعيب ولكل دين رسالته وفي كل دين حضارة .

وطبيعة البلاد العربية وموقعها في وسط الدنيا تأبى أن تكون بمنأى عن الحضارات وأن يعمرها قوم منعزلون فطريون فنذ أقدم عصور التاريخ كانت الجزيرة العربية وبواديها قناة التجارة بين الشرق والغرب من قبل أن تقد قناة السويس بل إن طبيعة الجزيرة اليوم تعمل في قوة وسرعة لتسترد قناة التجارة إلى مسالك بواديها . ولا يغفل عن

ذلك الا من سد أذنه وأغمض عينيه فالسيارات القوية العاتية الوثيرة المريحة تصل ما بين البصرة وبيروت في يومين وللسرعة حسابها في التجارات وفي هذه الأيام خاصة . وقناة السويس تنظر بخضوع وحسرة — إن لم تكن غافلة — إلى هذا المنافس الذي يحاول أن يسترد من بين يديها الثروة والغنى والمجد . والصحارى كالبهار تكون عازلة حتى إذا مهدت وذلت كانت سبيل القرب وهمزة الوصل . والذين اجتازوا البوادي العربية ورأوا طبيعتها الحجرية لا الرملية دهشوا لهذه الفجاجة التي مهدتها الطبيعة وسوتها يد الله . وقد شهدت عشرات من الرجال مهدوا بأيديهم أميالا من الطرق لتمر بها سيارات الملك ابن السعود وسيارات جنده وكل ما عملوا أنهم كنسوها صغار الحجارة التي تسمى عندهم « بالحراجل » .

والمنقبون لا يزالون يكشفون عن آثار حضارات عظيمة في اليمن وشمال الحجاز وبطرة وتدمر والحيرة فهل يقبل أن تقوم هذه الحضارات في نواحي الجزيرة وإخوانهم في جوفها بدائيون غير متحضرين؟

والآثار تشهد أن تلك الحضارات كانت تجارية، من التجارة ثروتها وربحها وعليها قيامها وبقاؤها . والتجارات تأتي من طرف الجزيرة إلى طرف آخر وتمر في مسالكها ولا بد لهذه المسالك من الاطمئنان والأمن ولا يكون ذلك إلا في ظل حضارة وسلطان قوى .

هذه حقائق تملأها الطبيعة وتنطق بها الآثار

ولكن روايات الأخبار التي بأيدينا تغطي هذا أو تطمسه لأن رواياتها دوت بعد صدر من الإسلام وعمل في تدوينها العرب وغير العرب .

أما العرب فقد كان لدى أغابهم أن الإسلام لا يظهر فضله حتى تكبر سيئات الجاهلية وحتى لا يكون في الجاهلية إلا شر قلبه الإسلام خيرا .

والإسلام رسالة ووحى ولكن الذين استجابوا له وقاموا به هم رجال ربوا في ظل الجاهلية ولا بد أن تكون مواهبهم وتجاربهم قد أعدتهم لقبوله أو النهوض به والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وأما غير العرب فقد حز في قلوبهم ضياع دينهم ودولهم ، ولم يستطيعوا عيب العرب إلا أن ينالوا من جاهليتهم . وجهاد الشعوبية في هذا كبير ووسائله شتى ظاهرة وماكرة .

فلا ينكر متبصر أن الجزيرة العربية شهدت قبل الإسلام حضارات ذات شأن . وعلى هذا الأصل نحاول أن نحدد أول الجاهلية العربية قبل الإسلام ، وسبيل ذلك أن نعرف آخر حضارة قامت بالجزيرة ونحدد نهايتها فتكون بدء هذا العصر الجاهلي .

فاذا اقتصرنا على العصر التاريخي وعلى ما كشف من آثار حضاراته ذكرنا حضارة الأنباط وقد كانت في شمال الجزيرة وامتدت من العراق إلى مصر ووصلت في الجنوب إلى القرى وأبقت آثاراً خالدة وصمدت للروم في

حروب شديدة مريرة . ثم جان حينها فانقضى أمرها على يد « تراجان » سنة ١٠٦ من الميلاد وورثت مكانها تدمر ووسع سلطانها الشام ومصر وما بين النهرين والأناضول إلى أنقرة وجاء يومها فانقضى ملكها سنة ٢٧١ على يد أربليان الروماني أيضاً .

وكانت الحروب الطويلة القاسية بين الروم والفرس سبب انقطاع التجارة بينهما وكان لابد للتجارة أن تشق لها مجرى إذا سد مجرى فاتخذت سبيلها في مفاوز البلاد العربية البعيدة عن سلطان الدولتين . وكان الروم أشد حسرة لانصراف التجارة إلى أيدي العرب ولا بد لها من هذه التجارة ولا بد للغرب أن ينال مواده وقوته من البلاد الشرقية المشمسة الممطرة الغزيرة الإنتاج . فكان من عناصر سياسة الرومان وتصميمهم أن يصلوا إلى كنوز الهند وأن تكون تجارتها خالصة لسلطانهم .

ولهذا تجشموا الأهوال في القضاء على بطرة وعلى تدمر وحاولوا القضاء على دولة اليمن أيضاً وأرسل « أغسطس » حملته المشهورة بقيادة قائده العظيم « إلياس جلاس » فهلك في الصحراء جيشه وعاد بجنية سجلها رفيقه وصديقه « استرابون » وأورثهم يأساً أبدياً من أن ينالوا بلاد اليمن عن طريق شمال الجزيرة .

وفي القرن الرابع كانت المسيحية قد انتشرت وصالحتها الدولة الرومية البيزنطية واستعانت بها على مد سلطانها . وكان رسل هذه الديانة قد وصلوا إلى الحبشة وبشروا فيها بدينهم فقامت بها دولة مسيحية حبشية

تقابل في البلاد العربية دولة اليمن اليهودية وقامت العداوة بين الأختين فأحباش هذه الدولة من أصل عربي يمني ولكن المنافسة في التجارة والعداوة في الدين أججت نار الحرب بينهما . ومن آثار تلك العداوة حديث الأخدود والنار ذات الوقود . وأرسلت بيزنطة رسلها وسفنها إلى الأحباش فكنتهم من القضاء على الدولة الحميرية باليمن بعد حرب سجال وانتهى بذلك عهد آخر دولة مستقلة قامت قبل الإسلام في الجزيرة العربية وكان ذلك سنة ٥٢٥ ميلادية .

ولا نذكر التجاء اليمن إلى الفرس أعداء الروم ولا استعازتهم لنصيب من حكم بلادهم ولا سعى الفرس لبسط سلطانها عليهم وإنما نذكر أن بلاد العرب خلت من دولة تحكمها وتؤمن سبلها وتحمي تجارتها ووقعت في فوضى نرى بعض صورها في شعر كشر الحارث بن حلزة إذ يقول :

هل علمتم أيام يُنتهب النـا
س غوارا لكل حي عواة
لا يقيم العزيز بالبلد السـ
ل ولا ينفع الدليل النجاء
ليس ينجي موثلا من حذار
رأس طود وحره رجلاء

فهذا عندنا حد العصر الجاهلي العربي وتلك سماته التي أوحى إلى الشاعر القديم أن يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهلهم سادوا

وإذا نظرنا إلى الجزيرة العربية في هذا القرن وجدنا آثار المعسكرات اليمنية ومعاقلها مبعثرة في أنحاء الجزيرة .

بنو الحارث بن كعب في جنوب الحجاز وكانوا يلقبونهم ملوكا . والأوس والخزرج في شماله، وفي نجد طى وكلب وملوك كندة . وفي عمان الأزدي، وفي تخوم العراق المناذرة، وفي مشارف الشام الغساسنة . وكلهم ينتسبون إلى اليمن وقد نشبت الحروب بينهم كل يريد الملك لنفسه كما فعل قواد الإسكندر في ملكه الواسع من بعده وثار العرب من غير اليمن وهم العدنانيون وتطلعوا إلى الاستقلال والنفوذ بالسلطان واشتعلت الحرب بين العدنانيين واليمنيين وبين العدنانيين والعدنانيين ، ونهض كل مغامر طموح ، وطمعت كل قبيلة ذات قوة أن تستبد بالسلطان، وغلبت عليهم حمية العداوة والثأر ومضى شعراؤهم يتغنسون بفضائع الحرب .

وحليل غانية تركت مجدلا
تمكو فريسته كشدق الأعلم
فشكت بالرمح الأصم جنانه
ليس الكريم على القنا بمحرم
فركته جزر السباع ينشئه
يقضمن حسن بنانه والمعصم

كان جاجم الأبطال فيها
وسوق بالأماعز يرتمينها
نجز رؤوسهم في غير بر
فا يدرون ماذا يتقوننا

ولكن حياة العرب — كما قدمنا — تعتمد

على التجارة ورزقهم منها ولا بد لهم أن يتجروا ليعيشوا . والأثر الوارد: تسعة أعشار الرزق من التجارة . والرسول كان منذ الصبا تاجراً ، وأبوه وعمه وجده تجار وزوجته خديجة ترسل في التجارة أموالها وبسبب من التجارة كان زواجها . وأبو بكر وعمر وعثمان تجار وما شئت من وجوه الصحابة وأشرف العرب كانوا يعملون في التجارة .

واللغة نفسها تحمل أثر التجارة وغلبتها على أعمالهم فالإيمان تجارة لن تبور وتجارة تنجيكم من عذاب أليم والله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . والمؤمنون لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعهد الخلافة بيعة .

فلا بد لهم من التجارة ليعيشوا ويرتزقوا ولا مناص لهم من الحرب ليثأروا ويتسلطوا وهنا عظمت شعائر الأشهر الأربعة الحرم

وشاعت البيوت المحرمة الآمنة وكان أمجدها بيت قريش بمكة وحرم الله الذي امتن به القرآن على قريش « أو لم يروا أننا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم » .

وبدت عادة التحالف وتضام بعض القبائل إلى بعض والحرص على العهد والوفاء بالعقد .

واذكروا حلف ذي الحجاز وما
قدم فيه — العهود والكفلاء

حذر الطيخ والتعدي وهل
ينقض ما في المهرق الأهواء

وبدت نعمة التحذير من الحرب والثناء
على السلم وتمجيد مساعيه .

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عيباً وذييان بعد ما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقلم قلتما أن تدرك السلم واسعاً
بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومآثم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقمتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتنصر إذا ضريرتموها فتضرم

والشعر لزهير في معلقته . وولداه كعب
ويجير قد لقيا المصطفى وآمنا به .

فهذا تحديد العصر الجاهلي وتلك ملامحه
ومعالم حوادثه . يبتدئ بفقد حكومة البلاد
وضياع أمنها واضطراب نظامها في سنة
٥٢٥ وينتهي بقيام الحكومة التي تقرر السلام
وتنشر الأمن في سنة ٦٢٢ .

وما بينهما عصر الجاهلية والفوضى والتناحر
على السلطان .

ومنذ بدا لي هذا الرأي جعلت أختبره
فما أقرأ من أخبار فأرى حوادث الجاهلية
تمضي في حدوده منسجمة منسقة متضامة
يوضح بعضها بعضاً .

وأجد من الشواهد في تواريخ الأمم
المجاورة ما يؤيده .

فالعساسنة كانوا يتاخون الروم في الشام
قبيل الاسلام ولهم مع الدولة البيزنطية
صلات مدونة نرى أنها مرت بحالتين
صلة الجار الذي يسلم ويحارب وصلة التابع
الذي يستمد ولايته الشرعية من غيره .

وللمستشرق العظيم «نلدكه» بحث في تاريخ
أمراء غسان كتبه وهو شاب لينال به الدكتوراه
ثم رجع إليه بالتحقيق بعد النضج وبعد ما
ظهرت مستندات من تأليف المعاصرين
ومن السجلات الرسمية في الكنائس وغيرها
- وقرر أن أقدم اتصال للعساسنة ببيزنطة
اتصال التابع كان في زمن الجارث الأكبر
من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٦٩ إذ أنعموا
عليه ثم على ولده من بعده بلقب بطرق
وهو لقب حكام الأقاليم عندهم؛ وتفسير ذلك
أن العساسنة وهم يمنيون كانوا يستمدون
سلطانهم من دولتهم اليمنية ويجاورون الروم
مجاورة الجار قد يسلم وقد يحارب، فلما زالت
دولة اليمن وجاءتهم الحرب من حيث كانوا
يلتمسون العون اضطروا الى الاستعانة بالروم
واستمداد السلطان منهم ونعلم أن العربي لا
يقبل هذا الا بعد القهر والقسر .

وفي تخوم العراق كان المناذرة ملوك
الحيرة وكان لهم اتصال بملوك الفرس من
آل ساسان .

ونقرأ من أخبارهم أن «يزد جرد» أرسل
ولده «بهرام» ليتربى في بلاط المنذر بالحيرة .

فان سبيل أمرىء القيس أن يستعين بمنافسيهم الذين ينازعونهم الرغبة في التسلط على البلاد العربية وهم الروم ويقصد في ذلك الى الحارث بن جبلة والحارث كما علمنا ولى من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٦٩ .

وهكذا نرى ان ما نكشف من تاريخ الحوادث يؤيد ما بدا لنا من التحديد .

فاذا أقررتم تحديد العصر الجاهلي على هذا الوجه فتحتم الباب لدوره دراسة قديمة وكان ما بأيدينا من الشعر المروى مددا كافيا لتوير هذا العصر وتوضيحه .

فاذا أخذنا قبيلة واحدة مثل قبيلة بكر وهى أخت تغلب وكلتاها من وائل - ووائل فرع من فروع ربيعة .

إذا أخذنا هذه القبيلة وجدنا أنا نروى لأكثر من خمسين شاعرا من شعرائها بينهم نحو عشرين يمكن أن يكون شعر الواحد منهم ديوانا وخمسة لهم دواوين باقية مطبوعة متداولة بأيدينا وهم :

عمرو بن قميثة وطرفة بن العبد والخرنق أخته والمتلمس والأعشى .

وهو قدر كفيل أن يهديننا الى معرفة واضحة لأحوال تلك القبيلة .

فاذا درست على هذا النمط كل قبيلة وتضامت أخبار القبائل ووضح بعضها بعضا أمكن أن يكون بأيدينا تاريخ لهذا العصر أوضح وأصح وأثبت من هذه الروايات المبعثرة المشوبة بكثير من الخيال والمبالغة .

وأن « يزد جرد » لما مات ثار الفرس رافضين أن يتولى أحد من أولاده لما كانوا يكرهون من حكمه وأن بهرام استعان بالمنذر وولده النعمان في جيش قدره بثلاثين ألفا وبهم تمكن من الجلوس على عرش أبيه ولا أرى في هذا صورة التابع الخاضع وقد كان ذلك سنة ٤٢٠ .

ولكن في زمن كسرى أنوشروان نرى المنذر الثالث يتولى السلطان من يد كسرى وحكم كسرى من سنة ٥٣١ الى سنة ٥٧٨ والمنذر قتل في واقعة محددة التاريخ سنة ٥٥٤ واستمر الأمر على ذلك يولى الفرس حاكم الخيرة من المناذرة ، وربما ولوه من غيرهم كما ولوا عليها إياس بن قبيصة الطائي فهذه أسرة يمنية أخرى تبدلت طبيعة اتصالها بجارتها بعد أن سقطت دولة اليمن سنة ٥٢٥ .

وفي داخل الجزيرة كان امرؤ القيس آخر ملوك كندة وحاربه المنذر الثالث وحارب أسرته نزاعا على الملك وقتل كثيرا من أمراء كندة ويكيهم امرؤ القيس فيقول :

ملوك من بنى حجر بن عمرو
يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركة أضيئوا
ولكن في ديار بنى مرينا

فلم تغسل جاجهم بغسل
ولكن في الدماء مرليننا

تظل الطير عاكفة عليهم
وتتنزع الحواجب والعيونا

وإذا كان المنذر يستند إلى سلطان الفرس

الأصول الثلاثية في اللغة العربية

للاستاذ ل. ماسينيون ، عضو المجمع (*)

ومن أنواع الجزازات المفيدة الطريفة :
نوع تستخرج فيه المواد اللغوية كلها من
شعر الشعراء ونثر الكتاب العرب . كما صنع
ذلك المرحوم «فيشر» للثلاثة القرون الهجرية
الأولى . وأشير إلى ما يأتي :

أولاً - نضع في خزانتنا جدولاً لكل
الكلمات الموجودة في بعض المتون النموذجية
للأدب العربي . مثلاً في هذه السنة يقوم
أستاذ من أساتذة العربية في جامعة باريس
اسمه (بيلا) Pellat باستخراج الكلمات
الموجودة في إحدى رسائل الجاحظ عنونها
(رسالة الترييع والتدوير) وقد بلغ غدد
الكلمات الأصلية ٢٤٠٠ . وقد طلبت منه أن
يزيد في تدقيق ورودها . أي تكرار ورود
كل واحدة منها في هذا المتن . حتى يتبين لنا
تماماً أي الكلمات أكثر استعمالاً عند الجاحظ .
فنتستطيع أن نستنتج أصول أسلوب الجاحظ .
ويمكن الاعتراض على هذا الإجراء من حيث
اختيار هذه الرسالة بعينها وحدها ولكن على
كل حال فهذا عمل ابتدائي .

ثانياً - أشرت غير مرة في المجمع إلى
أهمية خزانة للجزازات تشتمل على ورود
وتكرار ورود كل واحد من الحروف الثمانية
والعشرين العربية في بعض المتون النموذجية
لتحديد عبقريتها التوافقية الموسيقية ولا شك
أن الابتداء الواجب يكون من المصحف .
ومن اللائق أن يختار بعض الخبراء من القراء
المعدودين لنفرغ نهائياً من مشكلة إحصاء

أريد أن أبدأ كلمتي بتأييد فكري في
توجيه نظر المجمع إلى شيء سبق لي أن تحدثت
فيه غير مرة وهو أهمية تأسيس خزانة
للجزازات في هذا المجمع اللغوي المصري
أسوة بما هو قائم في كل مؤسسة لغوية لإحياء
أي لغة كانت في العالم المثقف .

فلتكن خزانة الجزازات أقساماً مرتبة
بحسب حاجة الاطلاع عليها بطريقة ميسورة .

إن حياة كل مركز لغوي في الدوائر
الأدبية الدولية تعتبر بمقتضى العدد السنوي
لمن يطلعون على جزازات خزانته . ومن
الطبيعي أن يكون النظام الإداري للخزانة
يقوم به خبراء لغويون أصليون .

في العهد الأول للمجمع كنا رتبنا نوعاً
من خزانة الجزازات يختص بجزازات معجم
زميلنا المرحوم «فيشر» . وكان زميلنا المرحوم
«نلينو» قد بذل جهداً في إقامة إدارة ثابتة
لقيام خزانة الجزازات في المجمع . بناءً
على تأليف معجم فيشر ، وبناءً على تسجيل
المصطلحات الجمعية .

ولا شك أنه يجب علينا أن نتخذ هذا
الأسلوب . وأن نزود الخزانة بأنواع أخرى
تجعلها أكبر فائدة ويكون فيها نوع من
الطرافة التي تجتذب المطالعين إلى مركز المجمع .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة العاشرة للمؤتمر (٢٢
من يناير ١٩٥١) .

$19656 = 28 \times 27 \times 26 = 3 \times 3276$
وهذا هو العدد المفصل للأصول الثلاثية
العربية الممكنة . وإذا زدنا الأصل المضعف
مثل بث وشد وجدنا العدد الشامل المفصل
 $21952 = 328$

ولكن إذا أردنا العدد الشامل للأصول
الثلاثية والمضغفة بدون ترتيب ولا تمييز وجدنا
$$4060 = \frac{19656}{6} + \frac{2268}{3} + \frac{28}{1}$$

وكل هذه أرقام ورموز من مملكة وهم
الرياضيين .

وفي الختام أرجع الآن إلى الحقائق الموجودة
في حيلتنا الاجتماعية العربية . ولنا أن نحقق
بالضبط عدد الأصول الثلاثية والمضغفة
الممكن استعمالها في اللغة العربية على حسب
تنفيذ قواعدها . ولنا أن نستخرج هذا العدد
الحقيقي من ذلك التقدير الرياضي الموهوم
الذي ذكرته فيما سبق . لأن أساتذة هذا
العلم الجديد (علم الصوتيات) أبانوا أن
بعض هذه الأصول الثلاثية معدومة فعلا لأن
هناك حروفا لا تتلاصق لتأفرها الأصلي .
مثل السين والصاد . والصاد والضاد . والعين
والحاء ومجموع هذه المعلومات لكل أصل
ثلاثي يبلغ $6 \times 26 = 156$. وإلى الآن
ليس لنا جدول لكل الأصول الثلاثية
الممكنة وهي المعدومة فعلا . ولا يمكن البحث
في ذلك إلا بمعونة خبراء مختصين يعملون
في خزانة جزازات المجمع .

عدد حروف المصحف على قراءة ما لقد أشار
الأستاذ يوسف العش إلى الخلاف الموجود
بين شاهدين عدلين في هذا الإحصاء . أي
بين إحصاء ابن مجاهد شيخ القراء في بغداد
زمن الرازي بالله والإحصاء المسمى «ترتيب
زيبا» المستعمل في تركيا المطبوع في استامبول .

(أما عدد ابن مجاهد فمكتوب على هامش
مصحف في الظاهرية بدمشق تحت رقم ١٠٠).

ثالثاً - فلتكن لنا خزانة جزازات لإحصاء
الحروف المفردة . ولا سيما ورود وتكرار
القواف الشعرية . وهذا العمل يمكن استخراجه
بجهد الخبراء المختصين من فهارس مثل
فهرست الأغاني مثلاً . وقد أشرت إلى
الأهمية الخاصة كذلك في علم جديد اسمه علم
الصوتيات (Phonologie) في الجلسة الثانية
عشرة من مؤتمر المجمع في العاشر من يناير
سنة ١٩٤٩ .

وأخيراً أشير إلى مشكلة عدد الأصول
الثلاثية . لأن من رأي أنه لا يمكن الوصول
إلى تحليلها إلا بواسطة خبراء مختصين توضع
نتائج عملهم في خزانة الجزازات . لقد
ذكرت في كلمتي إجمالاً أن عدد الأصول
 3276 ولكن هذا العدد يقتضي مراجعة .
لأنه مبني على مذهب الخليل وابن جني في
الاشتقاق الأكبر ولم يلاحظ الترتيب بالتقديم
والتأخير بين الحروف الثلاثية . وعندهما أن
(بدل) و (بلد) و (دلب) و (دبل)
و (لد) و (لدب) هي من أصل ثلاثي
واحد . فأما إذا أردنا أن تفصل كما هو متبع
في المعاجم فإننا نجد :

ضبط الكتابة العربية

للأستاذ محمود تيمور ، عضو المجمع (*)

فهل مبعث ذلك أننا عددنا أنفسنا عرباً أقوى سلاطناً من العرب الخلفاء في العصر الأموي ، وأقدر منهم على قراءة ما يكتب بالحروف العربية غير مضبوطة ؟

كلا ، فانه لا خلاف على أن قراءة الكلام غير المضبوط قراءة صحيحة ، أمر يتعذر على المثقفين عامة . بل إن المختصين في اللغة ، الواقفين حياتهم على دراستها ، لا يستطيعون ذلك إلا بإطراد اليقظة ، ومتابعة الملاحظة . وإن أحداً منهم إذا حرص على ألا يخطئ ، لا يتسنى له ذلك إلا بمزيد من التأني ، وإرهاق الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب .

لم يكن مبعث اقتصارنا في الطباعة على الحروف العربية دون ضبط أننا وجدنا فيها غنية وكفاية ، وإنما كان مبعثه أن أوضاع الكتابة العربية يصعب معها إدخال علامات الضبط في المطابع ، فلم يتح لهذه العلامات أن تأخذ مكانها على الحروف المطبوعة إلا في أحوال قليلة ، وضرورات خاصة .

وكان في مقدمة هذه الضرورات والأحوال بعض الكتب المدرسية الخاصة بمواد اللغة العربية : مثل كتب النحو والمطالعة فطبعت مشكولة لاستعمالها في المدارس . ولكن كان لذلك أثر سيئ ، فقد أشاع بين المثقفين شعوراً نفسياً نحو هذا الشكل ، شعور استعلاء عليه ، وأنفة منه . إذ توهم

ما كاد يبدأ عهد التدوين العربي في عصر الدولة الأموية ، حتى تبين أن هذه الحروف العربية وحدها ليست مغنية في ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأمويون في ابتكار علامات للضبط توضع على الحروف ، نفيًا للخطأ ، ورفعاً للباس . هذا والأمة العربية في جملتها يومئذ مستقيمة الألسن ، صافية السلاطن ، فصيحة اللهجات .

ولقد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط ، أنهم لم يكونوا يقتصرون على وضع العلامات المقررة ، بل لقد كانوا يلجئون إلى التعبير في المواضع المهمة للكلمات التي يخشون عليها الالتباس . فيكتبون مثلاً أن الكلمة بفتح الحرف الأول وسكون الثاني وضم الثالث وكسر الرابع . وما بعثهم على ذلك إلا خوف التصحيف والتحريف ، بل لعلمهم خشوا أن تذهب علامات الضبط ، أو أن يستقل النساخ نقلها ، فأرادوا تسجيلها بالتعبير . وليس أبلغ من هذا دليلاً على رهاقة شعورهم بنقص الحروف العربية وحدها في الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطاً لا لبس فيه .

فأما نحن فإثنا في مستهل نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربية عارية عن علامات الضبط للكلام .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة للدور (٢٤ من يناير ١٩٥١) .

الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصغار، وأنه للتلامذة دون الأساتذة، وأن الكتب المدرسية هي وحدها التي تظهر مشكولة، وعار أن تضبط الكتب التي توضع بين أيدي المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم. فمن قدم لمثقف كتاباً مضبوطاً فقد أساء الظن به، وعزا إليه تهمة الجهل بأوضاع اللغة، وقواعد النحو والصرف.

وجلي أن هذا الشعور النفسى نحو الشكل شعور وهمى لا أساس له، ولا حق فيه. فهو لون من ألوان الغرور يتواضع عليه الناس. وأولئك هم الناطقون باللغات الأجنبية من فرنسية وإنجليزية وطليلية وغيرها، لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطاً أتم ضبط، ولغاتهم على وجه عام لغات كلام وكتابة معاً، فهم بها أبصر، وهى عليهم أيسر، وسلاقتهم فيها أدعى إلى الاستغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه. ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه، لا يعولون على علمهم باللغة، ومرانهم على القواعد، وانسياق ألسنتهم إلى الصواب.

فأول ما يجب أن نؤمن به، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة، كتابة ناقصة، وأتينا نعبر عن غرور نفسى، وأن هذا الغرور ينحى بين ثناياه عجز الغالب منا عن القراءة الصحيحة، وفقاً لقواعد اللغة وأوضاعها. فنحن بهذه الكتابة الناقصة نرضى غرورنا، وإن كنا في حقيقة أمرنا نخطئ فيما نقرأ غير مباين.

ولا غرو في أن يعجز العامة عن القراءة الصحيحة، وأن يجد الخاصة فيها صعوبة وحرجا، فقد ذهبت عن العرب سلاتقها الفصحى منذ عهود وآماد، وأصبحت اللغة تؤخذ تلقيناً، وتكتسب تمريناً. إذ استقرت لنا لهجة عامية يجرى بها على ألسنتنا مألوف الكلام، وهذه اللهجة تجانب لغة الكتابة الفصحى في خصائصها الواضحة، أعنى الإعراب وما إليه مما يقتضيه الاشتقاق وتصريف الألفاظ والصيغ. فأصبحنا إذا أردنا أن ننطق بما نكتب، عابثاً أن نعربه، وأن نقوم بتصريفه معاناة لانتخاؤنا من تكلف، ولاتسليم من تعثر. ولذلك نجد المدرس في مدرسته، والمحاضر على منصته، والمتحدث أمام المذيع، يستنجدون مضطرين بالوقف، ويمتنصون بعض الصيغ، فراراً من كلفة الإعراب، واتقاء للخطأ في تصريف الألفاظ.

وقد أدت هذه المصاعب التي يضيق بها الناطقون بالفصحى، أو الحرصاء على النطق بها إلى المنادة بترك الإعراب، واللجوء إلى الوقف. على أن الأخذ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب، فمن وراء الإعراب ضبط بنية الكلمة، في أوائلها وأواسطها، مما تقتضيه قواعد الصرف، وسماع اللغة. فإذا نودى بأن ننفذ عن اللغة إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعاً، فلا تسمية لذلك إلا أنه « انحلال لغوى »، إذ هو يفقد اللغة مقومات من جوهرها الأصيل.

حقاً لقد شاعت في البلاد العربية بيئة

عليهم إلا معربا أصبح إعراب ؛ ألا يكون ذلك سبيلا إلى طبع الألسنة على صحة النطق ، وإكسابها ملكة الإعراب ؟

لا ريب أننا أسعد حظا من العرب في العهود الغابرة ، فما كانت لديهم هذه الوسائل التي تسنت لنا الآن ، من مطبعة تخرج الكتب والصحف على اختلافها في سهولة ويسر ، ومن مذياع ينقل إلى الآذان ما تلفظه الأفواه في دقة ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجعة ما كان للعرب الأقدمين من وسائل محدودة وعرة بلحوا إليها لإشاعة الضبط ، والتعريف بالصواب ؟

ولكن وسائلنا على يسرها ، وقوة أثرها ، لم نحسن استخدامها ، فلم تفدنا شيئا وذلك لأننا لم نلتزم ضبط الكلام فيما نؤلف من كتب ، وما نصدر من صحف ، وما نلفظ من قول في المذياع .

فما علة إمساكنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يحجم بالمطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصرا أصيلا في الكلام ؟

لعل أكبر البواعث في ذلك أن المطبعة العربية بدأت كما بدأت الكتابة العربية نفسها ذات حروف غير مشكولة ، فأصبحت على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أريدت المطبعة على إدخال الشكل ضاقت به ذرعا ، ووجدته ضيقا عليها ثقيلًا ، ولم تر فيه إلا واهلا دخيلا . فقد أخذت الكلمات في كتابتها أوضاعا من التركيب لا تحتل وقوع هذه الشكلات عليها .

ثقافية لها لغتها الفصحى ، وحقا إن هذه البيئة لها منبعان فياضان من المقروء والمسموع . ولكن هذين المنبعين لم يغنيا أهل العربية شيئا في صحة القراءة ، فإن المقروء عار عن الضبط ، والمطالعون يمشون في قراءتهم على غير هدى . وأما المسموع فاللحن فيه شائع ، والخطأ كثير ، وربما كان ضرره أكبر من نفعه .

ولو كانت هذه البيئة الثقافية بمنبعيها الفياضين كافلة للقارئ والسماع ضبطا صحيحا للألفاظ والصيغ ، لأدت لأهل العربية نفعًا عظيمًا ، ولكانت بذرة مخصبة لإثمار سلائق سليمة .

وأكاد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لو شاع فيها الضبط ، لأصبحت أقوى أثرًا من تلك البيئة البدوية التي كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم في فجر الإسلام وضحاها ، لاكتساب العزيمة من اللحن في الإعراب ، والسلامة من الخطأ في تصريف الكلام .

فلنتمثل في خاطرنا أن الضبط قد شاع بين أهل العربية في سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتقطه الآذان : الطالب في مدرسته من أول مرحلة في حياته الدراسية إلى أن يتخرج في جامعته ، في مختلف مواد دراسته والقارئ عامة فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنشرات ، والأسرة كلها بمسمع من المذياع — فلنتمثل في خاطرنا أن هؤلاء جميعا لا يقرعون ما يكتب لهم إلا مضبوطا أدق ضبط ، ولا يسمعون ما يلقي

باتخاذ الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استنباط حروفها الحالية ، فلم يظفر بها ، بل لقد تخيل أنه لن يظفر بتحقيق هذه الأمانة المحببة لنفسه ولأنفس أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بداً من اختيار هذه الحروف اللاتينية التي شاعت في أكثر لغات العالم . فهي وسيلة تقرب بين الأمم ، وهي مع ذلك قد مورست في الطباعة ، واكتسبت مراعاة في الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويسرها في ضبط كتابة اللغات الأجنبية . وقد اتخذها « معاليه » أساساً لطريقته ، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل ما يناسب ضبط الكلام العربي على أدق وجه ، بحيث تجعل كل حرف في الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالة صادقة لا لبس فيها ولا انبهام .

ب - والمنحى الثاني هو اختراع حروف جديدة تحمل محل حروفنا العربية ، ذات علامات للضبط ملائمة لها . وقد تكاثرت الواردون على هذا المنحى من الحلول ، وتراجعت مراميه للفنانين يبتكرون ما يوحى إليهم التصور والتفكير ، ويقربون أو يبعدون عن صور الحروف العربية القائمة . وربما كان في ألوان هذه الحروف المخترعة ما يتوافر له الجمال والاختصار ، والسهولة واليسر ، وسائر المزايا التي لا تتوافر للحروف العربية أو اللاتينية جميعاً . فإلى المنحى من سبيل ، وإن المجال أمامهم لطيق ، يتيح لهم حرية الإنشاء ، ولا يقيم حيالهم عقبة مما هو قائم عتيد . ولكن الأخذ بحروف مخترعة لاعتد بها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ،

وعلى الرغم مما بذله أهل فن الطباعة من محاولات في معالجة الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الكلمات لمواقع الشكل ، فإن الضبط في الحرف المطبعي ما زال يثقل الكلمات من كل جانب ، ويجعل البصر يزيج في تصيد ما فوقها وما تحتها من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيح هذا الشكل في تجارب الطبع عسير جد عسير ، وأن الخطأ فيه على فرط العناية به كثير جد كثير ، ولذلك لا ترضى بإجراء الشكل في الكتب إلا بعض المطابع الخاصة . وإنما لتقيم لهذا الإجراء أكبر الوزن ، وتحسب له أكبر الحساب ، طوعاً لما يتطلب إدخال هذا الشكل من جهد وعنت في صف الكلام طورا ، وفي تصحيحه طورا .

فكيف السبيل إلى حل هذه المشكلة ؟

لقد تناولها بالبحث كثير من ذوى رأى ، وأعلنوا ما بدا لهم من مقترحات وحلول . وإنى لأحسبها ترجع إلى مناح ستة :

أ - المنحى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ، وقد آثرت أن أبدأ به تحية لأستاذنا « عبد العزيز فهمي باشا » متعه الله بالعافية . فقد نادى بهذا الحل في بيان لا أعده إلا وثيقة تاريخية من أنفس وثائقنا التي تعالج مشكلاتنا الثقافية . وقد تكفل « معاليه » ، فيما أفاض فيه من بيان ، بتجلية ما يرد على هذا الحل من مختلف وعقب عليها ما شاء أن يعقب بالرد والتفنيد ، فلم يدع هذا المنحى زيادة لمستزيد . ومجمل ما رأى « معاليه » أنه بلحا إلى المنادة

وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الحديد الغريب أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية . لأن التبنى للحروف المخترعة التي لم تثبت لها كفاية ، ولم تعرف لها مرانة ، أشق كلفة من اقتباس حروف متعارفة ، ثبتت كفايتها في الأداء ، وكفلت مرانها في العمل .

ج - وثالث المناحي الإبقاء على الحروف العربية القائمة ، مع اختراع علامات للضبط يلاحظ في اختراعها أن تكون ميسورة على المطابع ، واضحة للقارئ ، فتلحق هذه العلامات بتلك الحروف .

ولا ريب أن حروفنا العربية إذا لحقت بها تلك العلامات ، أفقدتها صورتها المألوفة وأفاضت عليها مسحة من التنكير والغموض .

فهذا المنحى يلتقى هو والمنحى الأول والثاني معاً في ضرورة الاتفاق بآدىء بدء على أن نزل عن حروفنا العربية فيما ألفنا من صورها ، وما عرفنا من علامات ضبطها .

د - وأما المنحى الرابع فهو الإبقاء على الحروف العربية وعلامات ضبطها ، على أن تصب علامة الضبط مع الحرف في بنية واحدة ، حتى لا تنحيد عنه ، ولا تنفلت منه فتبدو الحروف المطبوعة معها ضبطها متصلاً بها ، ليس بينهما من تفاوت .

وهذا المنحى تقوم في وجهه عقبتان ، كلتاهما كأداء ، أولاهما فنية ، والأخرى اقتصادية . فإن صندوق الحروف العربية

في أوضاعها القائمة كثير الصور ، يعيا به الصفاون ، إذ يبلغ أكثر من ثلاثمائة عين . ولو أضيف إلى الصندوق صور جديدة من الحروف عليها علامات الضبط على اختلافها ، لازداد جهد القائمين بصف الكلمات أضعافاً مضاعفة ، ولاستنفد من أوقاتهم بضعة أمثال ما يستنفدون الآن . فهذا المنحى مدعاة لكثرة التكاليف ، مضیعة للوقت ، مجلبة للعت . ولذلك لا يقبل تنفيذه الطابعون ، ولا يرضى به الناشرون . ولا سيما في عصر طابعه السرعة والتيسير ، طابعه اكتساب الزمن ، واقتصاد الجهد ، والتهوين من النفقات .

ه - وثمة منحى خامس ، وهو وضع علامات الضبط بجانب الحروف ، منفصلة عنها ، كالشأن في الحروف اللاتينية ، لا كما توضع العلامات الآن فوق الحروف أو تحتها .

وهذا الحل يقتضى أن تتغير أوضاع الكتابة العربية في تركيب الكلمات ، لكي يكون بعد كل حرف منفسح تحل به علامة الضبط ، وأن يفصل بين حروف الكلمات بهذه العلامات . وإذن تبدو صور الكلمات فيها تنكير ، وفيها نبو عن المألوف . يضاف إلى ذلك تقويت مزية الاقتصاد في حجم الكلمة ، فإن الفصل بين حروفها بعلامات ضبطها يضاعف حجمها .

و - وخاتمة المناحي الستة هو الاقتصاد على الحروف المنفصلة ، تسهلاً لوضع علامات الضبط عليها ، وتخفيفاً على صندوق الحروف في المطبعة العربية .

وفي هذا المنحى مغامر من جهات مختلفة . فهو أولاً : يزيد في الحيز المقسوم للكلمات ، وهذا تفويت لمزية الاقتصاد . وثانياً : لا يحمي من خفاء الكلمة أول وهلة ، لافتراق حروفها . وثالثاً : يقتضي بقظة ورعاية للفصل بين كل كلمة وكلمة ، ولو وقع التهاون في هذا الفصل - وهو واقع لا أمان منه - لاختلطت حروف الكلمات بعضها ببعض ، ولتعذر على القارئ أن يميز كل كلمة في جملتها ، ويفرق بينها وبين الكلمة التي تتلوها .

وبخلة ما نادى به المنادون من المقترحات سواء ما كان منها يشيد باتخاذ الحروف اللاتينية ، وما يتخذ للكتابة حروفاً مخترعة ، وما يقتضي إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات - جملة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض - وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعارضون من مأخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد . فاذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق ، وكتبوا بها ، عجزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من تراث ثقافي عريض ، وحيل بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذي لاتزهد فيه الأمة العربية بحال .

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلو في القول ، وإسراف في التصور . فان أية حروف بل أية علامات وإشارات تكتب بها اللغة العربية لاتقطع بين قديم اللغة وجديدها ، ولاتفصل بين ماضيها وحاضرها . بل لعل حروفاً

مقتبسة أو مخترعة تكتب بها اللغة العربية تكون سيلاً إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها ، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المخترعة أدق ضبطاً ، وأدنى تناولاً . فانها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة ، وأقوم لساناً ، وأفصح بياناً .

وعلة إثارة النقاد والمعارضين لدعوى القطع بين القديم والجديد ، أنهم يخشون إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التي توارثناها على توالي الأحقاب مستغلة مستهمة لا يمسها قارئ . وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح والعقول

ولكن الحق أن جيلاً جديداً إذا شب عربياً في منطقته ، بأية حروف وبأية علامات ، فتمكن من قراءة الكلام العربي مضبوطاً أدق ضبط ، معرباً أصح إعراب ، واكتسب بذلك ملكة الإفصاح - فان هذا الجيل الجديد لا يعجزه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التي كتبت بالحروف العربية القديمة ، وأن يقرأ ما فيها من بيان ، وينتفع بما حوت من علم وأدب ، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات في تعلم صور الحروف العربية القديمة ، باذلاً في هذه السيل أيسر جهد .

ولا ريب أن كل امرئ في مكنته تعلم الصور الخطية لثمانية وعشرين حرفاً ، أية كانت ، في ساعات معدودات وبجهد غير معسور .

الوضوح ، لا يصرفنا عن أن نسأل أنفسنا :
أتريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع
العملي ؟

إن كنا نريد النظريات ، فجال القول
ذو سعة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ،
تتنافس فيه الأذهان .

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب
أن نصارح أنفسنا في غير موارد ولا مرايا .
لغتنا العربية في جوهرها ومظهرها ليست
ملكاً لوطن وحده ، ولا هي مقصورة على
دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من
الأوطان والدول . وجلى غاية الجلاء أن هذه
الطائفة التي تضم بين جوانحها الأمة العربية
كلها يجري فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على
الكتابة العربية القديمة . والتهيب للعدول عنها
وإن كان الرأي العام في الأمة العربية كلها
يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات
الضبط ، ويعانى من صعوبتها ما يعانى .

ثم عامل نفسى يسرى بين جوانح الأمة
العربية ، من أغفله لم يأمن الشطط . فان
جماهيرنا في نهضتنا الحديثة التي تقوم على
أساس الحضارة الغربية الراهنة ، تمتلكها
نزعته المبالغة في الحرص على شخصياتها
القومية ، وهذه الجماهير — في شديد حرصها
ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية
إحدى هذه الشخصيات ، فان نبذتها كان
ذلك إمعاناً في التطرف ، وهدماً للمأثور ،
وتفريطاً في الجانب القومى العزيز .

وعلى الرغم من أننا طلاعون في نهضتنا

ولو قدر للأمة العربية أن تتواضع على
اقتباس حروف أجنبية ، أو اختراع حروف
جديدة ، لوجب مع ذلك أن نلزم الناشئة
تعلم تلك الصور القديمة للحروف العربية .
حتى إذا شبوا وقد انتقادت اللغة لألسنتهم ،
ومررتوا على ضبط نطقها ، وأحسنوا تصريف
كلماتها ، وأمنوا من اللحن في إعرابها —
استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة
أن يطالعوا ما شاعوا من تراث السلف ، ولا
سواء المراجع الكبيرة ، وأمهات الكتب ،
في فروع العلوم والفنون والآداب .

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية
القديمة قائمة ، حتى يتسنى لنا أن نعيد طبع
هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التي
تتواضع عليها . وستقل وطأة حاجتنا إلى
هذه الحروف كلما مضينا أشواطاً في طبع
تلك الكتب والمراجع . ولكن قدراً من هذه
الحاجة سيبقى قائماً وإن أعدنا طبع مئات من
المؤلفات ومئات .

ومن هذا يتبين أن تواضعنا على أية حروف
لكتابة اللغة العربية ، لا يقطع الصلة بين
قديمنا وجديدنا في ميدان التأليف . فالصلة
باقية ، وربما بقيت على نحو أوثق مما هي
الآن . وغاية ما هنالك أن الأمر يقتضينا
معرفة حروف العربية القديمة ، فاذا
عرفناها وضح لنا الطريق إلى منهل التراث
العربى ، نعب منه ما وسعنا أن نعب ، لا
يصدنا عنه شيء .

بيد أن هذا المنطق الذى نراه واضحاً كل

إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضمن ما وسعها الضمن بالنزول عن شئ من شئون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور .

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هي من جوهر اللغة في قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت في أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة الألفة بها . وطول العهد معها ، وجلال القدم فيها ، ولذلك لا يحسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافاً بشيء تحيط به حالة من الجلالة والإكبار .

وإذن فهذا العامل النفسى المتأصل ، هو الذى يقف عقبة في سبيل ما ينادى به المفكرون وذوو الرأى ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخترعة لكتابة العربية .

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التى تستقر بين جوانح الأمم لا تسقط بخلة بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحجة إقناع . وإنها كذلك ، لا تسقط بظهور مضرة ، واستبانة نفع . فإن للعوامل النفسية أسبابها والملايسات رويداً زالت معها تلك العوامل رويداً ، وليس كالزمان دواء لها وعلاجاً .

هيات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون ، وهيات أن يلزم الناس إلزاماً بإقناع ، وكل محاولة تجافى المجرى الطبيعى لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق .

فن حق الأمة العربية علينا أن نساير في عهدها الحاضر رأيا العام ، وأن نسوس هذا الرأى في حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تهيأ النفوس فيه لقبول الجديد .

فالإجراء الذى يمكن أن نكفل له قبول الأمة العربية في جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة الغربية حل لا تتغير به الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورتها المألوفة .

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأى العام في استبقاء القديم ، فإن الناس جميعاً يرحبون بما نتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التى تعترض حل تلك المشكلة في ميدان الطباعة .

وقد حدانا هذا على أن نعرض طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية في أوضاعها الراهنة ، بيد أننا ننفى عنها ما كان عائقاً عن إدخال علامات الضبط في الحروف المطبعية .

إن صندوق الحروف في المطبعة العربية يحمل لكل حرف صوراً متعددة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف في بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق الحروف من ناحية ، فتعذر أن يحتل معه صندوقاً آخر لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى . فأصبح وضع علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر استئثار علامات الضبط ، وإخفاقها في أداء مهمتها ، وهو

العقبة في سبيل استعمالها في الكتب التي تخرجها المطابع .

وإني أرى أن تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكون لصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنخلص من تلك العيون التي تزيد على ثلاثمائة ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التي يجري بها الاستعمال . وسيرحب بها الصندوق الذي تخفف مما كان يغص به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات في غير مشقة ولا عسر . وطوعا لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من تعميم الضبط بلا عناء .

وأقترح أن تكون الصورة التي تقتصر عليها من صور الحروف ، هي الصورة التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهي التي يسميها أهل فن الطباعة : «حروفا من الأول» ، على أن تؤثر الكاف المبسوطة ، وتظل حروف الألف والذال والذال والراء والزاي والواو والياء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها في حالة إفرادها .

وأكبر ظني أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأي العام بقبول شيء جديد .

وعندي أن هذه الطريقة تتحقق بها المزايا الآتية :

أولا :

أنها تنفي شبهة القطع بين القديم والجديد فالحروف هي الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هي القديمة المألوفة .

ثانيا :

أن الحروف ستكون واضحة لاخفاء بها . فهي غير مركبة ، بل مبسوطة ، يعرب فيها كل حرف عن صورته في تميز واستقلال .

ثالثا :

أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظار باللمح ، فلا ترجح العلامات بين الحروف المركبة في الكلمة الواحدة . إذ أن كل حرف رحب الصدر لما يقع فوقه أو تحته من علامة الشكل . وبذلك تأمن العلامات من التزحزح ، وتسلم من التعرض للخطأ والاضطراب .

رابعا :

أن اتخاذ صورة واحدة للحروف في جميع مواقعها من الكلمات ، أولا ووسطا وآخر ، سيجعل تعليمها أيسر مثونة ، لأننا لا نروع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفا في حالة إفراده عنه في أحوال تركيبه . ولذلك أثره في تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين .

خامسا :

أن المصاعب التي تتجشمها المطبعة الآن لا يبقى لها محل . فإن صندوق الحروف

سيتحرر من أكبر ما يثقله . فاذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضق بها جميعاً . وسيصبح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروف وعلامات ضبطها جميعاً لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة فى حالتها الراهنة المتعددة الصور يربى على ثلاثمائة .

سادساً :

أن وقت العمال الذى كانوا ينفقونه فى اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليل منه فى اجتلاب الشكل . . وسيصبح صفهم للكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها .

سابعاً :

أن اجتناب التركيب فى الحروف سيجعل الكلمات مهسوة ذات أفق أقل انخفاضاً من الأفق الذى تقتضيه الكلمات المركبة الحروف ، فزداد السطور فى الصحيفة ازدياداً يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الحيز .

ولقد رغبت إلى المطبعة فى أن تستن هذه الطريقة فى صف جملة من الكلام ، فلم تعى بذلك ، وأثبتت التجربة أن الطريقة لا تعترضها فى العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت فى إنجاز ذلك على صندوق الحروف الذى يحوى به الاستعمال الآن .

ولو أن هذه الطريقة لقيت حظاً من

القبول ، ووضعت موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن فى مسابك الحروف بما يوحى به وضعها الجديد ، وأن يزيدها تجميلاً ، ويضيفوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدق أداءً ، وأتق منظراً ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان .

بقى أن نعرض لشيء لا نجد سبيلاً إلى أن نضرب عنه صفحا . ذلك هو أن لمشكلة ضبط الكتابة جانباً غير الجانب المطبعى الفنى الذى تحله هذه الطريقة .

إن المطالبة بضبط الكتابة أمر تعترضه مصاعب يتبرم بها الكاتبون . فلأنا إذا رغبتنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولاً على وجه الدقة ، استشعر من ذلك غتنا ، ولأق فى سبيله رهقاً . أليس هو مطالباً بأن يتحرى الصواب فى الضبط ؟ وهل يتسنى لكل كاتب أن يحسن ضبط ما يكتب ؟ أو ليس ذلك يقتضى بصراً باللغة ، وإتقاناً لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون الضبط الجديد سبيلاً إلى إشاعة الخطأ من حيث نبتغى إشاعة الصواب ؟

ولكن هذا الذى نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطأ إذا أريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون ، دليل أسطع دليل على أننا تعوزنا المراتبة على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليل أسطع دليل على حاجتنا القصوى إلى تعميم الضبط فى الكتابة .

على أن لكل تغيير ظاريء مصاعبه

تنفيذها عقبة ، فاننا لانستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاماً ، ولا أن نفرضها على المطابع فرضاً . ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية تزكيا عند الناس ، وتحذوهم على اتخاذها بالطوع والاختيار .

ولعل أهدي سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة المعارف طبع كتبها التعليمية في مختلف المواد والمراحل ، وافية الشكل ، صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهينة الميسورة . ولن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية ، وعقبات مطبعية ، حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم .

فاذا ألزمت وزارة المعارف نفسها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزاً على اتخاذ تلك الطريقة في محيط الجمهور .

وسينشأ تبعاً لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات ، هو عامل التأسى والاقتداء ، عامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبها بما تخرج وزارة المعارف من كتبها في شتى مواد العلوم والفنون والآداب .

ويومئذ يتحقق غرض منشود ، سعى إليه « مجمع اللغة العربية » ، وأبتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغى ، ذلك هو تعميم الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور .

الأولى ، ولكل إصلاح عثراته في فواتح الطريق ، حتى يستقر الأمر ، وتستتب الحال . فلا ريب في أننا حين تأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير ، إلا أن هذا الخطأ سيقبل ويضمحل على توالي الزمن ، وفقاً لتبع النقاد ، والرغبة في توخي الصواب . ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقضى تخصيص طائفة من البصراء باللغة للإشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطأ في ضبط الكلام .

ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكتاب والمؤلفين يغنون بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتماً متى شب على قراءة ما يقرأ مضبوطاً أم ضبط ، إذ يتعود سلامة النطق ، وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة ، فيكتبها كما ألفتها عينه ، ويتلفظ بها كما سمعها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف ، دون تخصص في تعلم النحو والصرف . شأنه في ذلك شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحاً لا خلل فيه ، طوعاً لما أدمن من قراءة الشعر ، ولو لم يعرف من علم العروض شيئاً .

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التي نراها حلاً للمشكلة الفنية المطبعية في ضبط الكتابة ، طريقة ميسورة ، لا تقف في سبيل

صَحْبِ قَدِّ الْمِثَالِ
أَرَبِ أَنْ نَقْتَصِرَ مِنْهُ صُورَ الْحُرُوفِ فِي
عَلَيْهِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ
لِصَنْدُوقِ الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ عِيُونُ
لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ عَدًّا . فَنَخْلُصُ
مِنْ ذَلِكَ الْعِيُونِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَيْهِ
ثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَنْ نَتَّخِذَ عِلَامَاتِ الضَّبْطِ
الْمُتَعَارِفَةِ الْجَارِيَةِ بِهَا الْإِسْتِعْمَالُ ،
وَسَيُزَحَّبُ بِهَا صَنْدُوقُ الْحُرُوفِ الذِّي
تَخَفَّفَ مِمَّا كَانَ يَغْصُّ بِهِ مِنْ الصُّورِ
الْمُتَعَدِّدَةِ لِلْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ وَأَنْفُسَحَتِ
جَوَانِبُهُ لِتَقَبُّلِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ فِيهِ غَيْرِ
مَشَقَّةٍ وَلَا عُسْرٍ . وَطَوْعًا لِهَذَا يَتَوَافَرُ
لِلطَّبَاعَةِ غُزْمٌ مِنَ السُّهُولَةِ وَالتَّيَسِيرِ
كَمَا يَتَوَافَرُ لِكِتَابَةِ غُزْمٌ مِنَ تَعَمُّيْمِ
الضَّبْطِ بِلَا عَنَاءٍ .

وَأَقْتَرِحُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الَّتِي
نَقْتَصِرُ عَلَيْهَا مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ هِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي تَقْبَلُ الْإِتِّصَالَ مِنْ بَدْءِ
الْكَلِمَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيَهَا أَهْلُ
فَنِّ الطَّبَاعَةِ : « حُرُوفًا مِنَ الْأَوَّلِ » .
عَلَيْهِ أَنْ تُؤَثَّرَ الْكَافُ الْمَبْسُوطَةُ وَأَنْ
تَظَلَّ حُرُوفُ الْأَلِفِ وَالذَّالِ وَالرَّاءِ
وَالزَّايِ وَالْوَاوِ وَالنَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ
وَاللَّامِ أَلِفٍ بَاقِيَةٍ عَلَيْهِ صُورَتُهَا فِيهِ
حَالَةٌ لِأَفْرَادِهَا .

وَمَا هُوَ ذَا نَمُودَجُهَا فِيهِ صَنْدُوقِ
الْحُرُوفِ الْمَطْبَعِيَّةِ :

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض
ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة العامية المصرية

للدكتور عبد الوهاب عزام عضو المجمع (*)

— ١ —

هذه كلمة أقدمها الى مؤتمر المجمع لا أحاول فيها الاستقصاء بل أكتفى بالتمثيل وسأنشر بحثا مفصلا مستوعبا كل ما أهدى اليه من الكلمات الفارسية والتركية في اللغة العامية المصرية . أنشره في مجلة المجمع إن شاء الله .

— ٢ —

وينبغي أن أقدم قبل ذكر هذه الكلمات أن الفارسية منها دخلت الى العامية المصرية في ثانيا اللغة التركية . ومعلوم أن التركية تشمل على ألفاظ عربية وفارسية كثيرة . ثم بعض الألفاظ التركية والفارسية تسربت الى لغة المصريين قبل تسلط الأتراك العثمانيين على مصر أى في عهد المماليك ، وتاريخ ابن إياس فيه كثير من هذه الألفاظ .

— ٣ —

تكثر هذه الألفاظ في اصطلاحات الجيش وفي أسماء الأطعمة . مثل : جاويش ، أون باشى ، يوز باشى ، بيك باشى ، صاغ ، صول . (ومثل جويرمة ، قاورمة ، دوندورمة ، كلاش) .

— ٤ —

من الألفاظ التي أخذت من التركية

(*) بحث ألقى في الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٢٤ من يناير ١٩٥١) .

والفارسية ألفاظ عربية استعملت على الطريقة العجمية مثل الكلمات المنتهية بتاء التانيث في العربية . فقد استعملت بتاء مفتوحة تشبه تاء التانيث في الفعل وفي جمع المؤنث السالم مثل رحمت ، حكمت ، رأفت ، عفت ، نشأت الخ .

وبعض هذه الكلمات توهم المصريون فيها الجمع لأنهم لم يألّفوا هذه التاء في الأسماء المفردة . فقالوا في الأسماء : عنايات جنات ، في عنايت وجنت . وقالوا شربات وأصلها شربت من الكلمة العربية شربة .

وكذلك جمعت بعض صيغ الجمع اتباعا للأسلوب التركى . فالأتراك لا يدركون صيغ الجمع العربية فيجمعون صيغ الجمع العربية كما قالوا — اللوازمات العفونات وقاس عليها المصريون — الشحومات والزيوتات والفحومات .

ويقابل هذا أن المصريين ، وهم يفرقون بين صيغ الجمع والمفرد في العربية ، أخذوا عن الترك كلمة غروش أو قروش ، وهو مفرد في التركية مأخوذ من إحدى اللغات الأوربية ، فلما وجدها المصريون صيغة جمع توهموا لها مفردا فقالوا غرش أو غروش .

- ٥ -

بعض الكلمات التي نبحث عنها دخلت العامية وبقيت دون تغيير ، أو مع تغيير يسير وبعضها لحقه تغيير كبير ، وبعضها اشتق منه على الطريقة العربية ، وبعضها توهم أنه عربي فالحق بأقرب الكلمات للعربية إليه .

(١) فن النوع الذي لم يلحقه تغيير أو لحقه تغيير يسير «تختة» وهي في التركية لوح من الخشب ، و«تختة بوش» ، وهي المكان المغطى بالخشب ، وهي مستعملة في بعض البلاد المصرية ، وهو تركيب من تختة وبوش ، وهذه فارسية معناها المغطى أو اللابس . ومعنى التركيب ، المغطى بالخشب .

ومن هذا «سبية» وهي فارسية معناها ثلاثة أرجل وهي مستعملة في مصر عند الوزانين تقال للقوائم الثلاث التي يعلق فيها الميزان وعند الجزارين تقال للقوائم التي يعلق فيها اللحم .

ومن هذا أوطة وطوغرى وطولة ، ومعناها بالتركية المملوء ، ويالانجى طولة ، ومعناها المحشو الكاذب أى الذى لا لحم فيه ، فان الناس حين يرون المحشى يظنون فيه لحما فإن لم يكن فيه لحم فقد كذب .

ومنه بفتة وهي فارسية معناها النسيج دوش : وهو الكتف بالفارسية وهو من لغة الجزارين

شبكة : فارسية ، وهي الكرش ويطلق في مصر على الكرش المحشو

جنكل : شنكل ، وهي كلمة تركية معناها مشبك الباب أو الشباك

شيشة : فارسية معناها الزجاج وتخص في مصر بزجاجة التبناك

كليم : فارسية ، نوع من البسط

أورمة : تركية ، وهي الوضم بالعربية - أى الخشبة التي يدق عليها اللحم

خانة : فارسية ، تستعمل مركبة في مثل اجزاخانة ، كتبخانة ، عربخانة ، شفخانة

أتك : تركية ، معناها الحجر ، وهي مستعملة عند الحياطين .

أورمان : تركية ، وهي مستعملة في حديقة الأورمان في الجيزة .

خردة : وهي في الفارسية الصغير من الأشياء ، واستعملت في مصر للصغير من السكة (النقود) ، وللصغير من السلع ، وقالوا حديد خردة ، وجمعوها على خردوات .

بارة : وهي فارسية معناها القطعة ، واستعملت في مصر في أجزاء القرش ، فقالوا عشر بارات ، وعشرين بارة . والقرش أربعون بارة .

جنزير : أصلها بالفارسية زنجير . وهو للسلسلة . وجمعت في مصر على جنازير

روشن : فارسية معناها المنور . وقد سمعنا في إحدى القرى تستعمل لكوة في السقف تجعل للضوء .

طرشى : بالفارسية ترش أى حامض .

بشاة : يقال فى العامية «دا بشاة ودا بشاة» أى هذان شيان مختلفان وهى من بشقة ومعناها فى التركية غير .

(ج) ومن الألفاظ الفارسية والتركية ألفاظ جمعت أو صرفت على القواعد العربية أو قربت إلى كلمة عربية لتوهم أنها من العربية . مثل :

طسلاة : أصلها بالتركية طاسلاق وهو الشيء الذى لم يحكم عمله أو الذى لم يكمل يقال فى العامية المصرية طسلاة ، للعمل غير المحكم الذى له صورة وليس له حقيقة .

باط — باظ الشيء فسد أو بطل ، وبوظه أفسده أو أبطله وهى من بوزمق فى التركية أى الإفساد أو الإبطال ومنه بوزوق بمعنى الفاسد أو الباطل .

شرك : سمعت كثيراً قول العامة فيمن يفحص للجندية فلا يقبل : شركوه . وأصله فى التركية جوروك . وهو ضد صاغ أى سليم . يقال للشيء العفن أو المكسور جوروك .

برم : برم الشيء يبرمه برماً ، قتله . وهو من التركية بورمه أى مفتول ، وبورمك القتل . ويقال فى المصرية أيضاً خيط برمه . ومن هذا الفعل البوريك وهو طعام يصنع من عجينة يرقق ويلف .

رنوك — هو رنك بالفارسية ومعناه

ماهية : من الفارسية ، «ماه» معناه الشهر . وينسب إليه «ماهى» ، بمعنى شهرية وقد غيرت إلى ماهية ، وهى غير ماهية العربية التى تقال لحقيقة الشيء فتلك منسوبة إلى «ماهى» ؟

(ب) ومن الكلمات التى لحقها تغيير كبير . كلمات مبدوءة بهمزة مفخمة فى الفارسية أو التركية قلبت همزتها عينا فى العامية مثل :

غطشجى : مركبة من آتش ومعناها بالفارسية النار ، وجى ، وهى من علامات النسب فى التركية . فعنها عامل النار أى الوقاد .

عرض : وهى مستعملة فى بعض البلاد للجيش ، وبها سميت قرية جنوى القاهرة قرب طره ، وأصلها بالتركية «أوردو» أى الجيش . وتستعمل فى الجيش المصرى «أورطه» .

عنترى : صدار معروف « وهى فى التركية أنترى » .

عنبر : أصله بالفارسية أنبار أى مخزن . وهى مستعملة فى الجيش وفى المدارس وغيرها . ومنها عنابر السكة الحديدية فى القاهرة .

عربية : أصلها بالتركية آرابه ، وينسب إليها آرابه جى أى عريبى .

ومن الكلمات المغيرة كثيراً غير ذوات الهمز :

شراب : وهو بالفارسية جوزب .

وهو من الفارسية ييش رو بمعنى أمام أو متقدم الخ . وقد عرب على هذه الصيغة .	اللون، ويطلق على الشارات في بعض المصالح المصرية .
- ٦ -	بركات و ارثة . وتلفظ بركات وارسه . وأصلها بالتركية برکت ويرسون .
هكذا يستطيع الباحث أن يتبع ألفاظا كثيرة في العامية المصرية أصلها فارسي أو تركي . ويستطيع التمثيل بها لما يلحق الكلمات الدخيلة من تغيير وتعريب في البلاد العربية عامة ومصر خاصة .	ومعناها ليعط البركة ، وتستعمل في مقام الحمد لله . فتوهم العامة أنها من الميراث أى شيء يورث البركة . فقالوا وارسه على انبهاهم معناها عندهم . بشرف - من اصطلاحات الموسيقى .

طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية

للشيخ محمد الحضر حسين عضو المجمع (*)

ومن بين العلوم التي وجدت في اللغة العربية بغيتها علم الطب ، فتقبلته وتقبلت كل ما يدخل فيه أو يتصل به من فنون .

وجد هذا العلم في اللغة أيام انتقاله إلى العرب مادة غزيرة ، واستطاع أن يأخذ منها كل ما يسد حاجته ، ويجعل العرب والمستعربين يتدارسون به بلسان عربي مبين .

انتقل هذا العلم إلى العرب وهم يعتزون بلغتهم : ويحرصون على أن تكون لغة العلم كما كانت لغة السياسة والأدب والاجتماع ، فالتفت علماء الطب إلى الألفاظ العربية التي وضعت لمعان تدخل في علمهم أو تتصل به ، من نحو أسماء العلل (١) وأسبابها وأعراضها وأطوارها . وآثارها (٢) ، وأسماء الأعضاء وأجزائها ظاهرة كانت أو باطنة وأسماء ما يركب منه الأدوية من نحو النبات والمعادن والأحجار . وأسماء الأدوات التي يستعان بها على المداواة (٣) .

كان مجمع اللغة العربية ندبني لتمثيله بالمؤتمر الطبي العربي المنعقد في القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م فقدمت للمؤتمر هذا البحث ولم أزد على أن ألقينه بالمؤتمر ، وحيث لم أقدم للمجمع ولا لمجلسه في ذلك العهد نسخة من هذا البحث الذي هو في الحقيقة عمل مضاف إلى المجمع ، بدا لي أن أقدم نسخاً منه إلى حضرات الأساتذة أعضاء المؤتمر اللغوي اليوم لينظروا ماذا يرون فيه أو يحيلوه على لجنة الأصول ولجنة الطب حتى يأخذ البحث صيغة أعمال المجمع الرسمية ، ويدل على وجهة المجمع في وضع المصطلحات العلمية منذ ذلك العهد ، والبحث مايتلو :

...

شرف الأمة في رقي لغتها . رقي اللغة في مسيرتها للعلوم والفنون . واتساعها لأن تخوض في بحث كل علم أو فن . وتشرح مسائله وإن بلغت في كثرتها وعمومها أقصى غاية .

كانت العلوم والفنون على اختلاف موضوعاتها : قد وجدت من بيان اللغة العربية معيناً لا ينضب فلم تلبث أن لبست من ألفاظ هذه اللغة وأساليبها حلاً ضافية .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢٨ من يناير ١٩٥١) وقرر المؤتمر إحالته إلى لجنة الأصول والطب .

(١) معظم أسماء العلل جاء على وزن فُعَال ، نحو (صداع) أو وزن فَعَلَ نحو «بهق» .
(٢) نريد من آثارها ما يعقبها من نحو «الندبة» لأثر الجرح بعد برئه ، ونحو اللهب لحسن الوجه بعد علة ،

(٣) نحو «الميجر» لما يصب به الدواء في القم «المسط» لما يصب به الدواء في الأنف «والدسام» لما يسد به الجرح من نحو القتيلة .

وكلمات صاغوها على مثال الإضافة كما قالوا : «حمى القى» ، وهى الحمى المعروفة «أقطيقوس» .

أو على مثال تركيب الصفة والموصوف كما قالوا : الشريان الصاعد ، والشريان النازل . أو على مثال النسب الذى يقصد به التسمية كما سموا أحد أنواع النبض «الموجى» لأنه يشبه الأمواج إذ يتلو بعضها بعضها على الاستقامة مع اختلاف بينها فى السرعة والبطء .

وقد نبه أبو على بن سينا فى كتاب القانون على وجوه تسمية الأمراض فقال : قد تلحقها التسمية من وجوه .

إما من الأعضاء الحاملة لها (١) ، كذات الجنب وذات الرئة ، وإما من أعراضها كالصرع وإما من أسبابها ، كقولهم : مرض سوداوى ، وإما من التشبيه كقولهم داء الأسد (٢) وداء الفيل (٣) وأما منسوبة إلى أول من يذكر أنه عرض له ، كقولهم : قرحة طيلانية منسوبة إلى رجل يقال له

(١) اشتق العرب من بعض الأعضاء أسماء العلل التى تصيبها وهى : القلاب لداء يصيب القلب ، والسكباد لداء يصيب السكبد ، والنكاف لداء يصيب النكفتين وهما غدتان يكتنفان الحلقوم من أصل اللعى ، والقوام لداء يصيب الشاة فى قوائمها .

(٢) الجذام لأن وجهه للبلى به يشبه وجه الأسد فى كراهة منظره .

(٣) زيادة فى القدم والساق . وسمى داء الفيل لأن رجل المريض به تشبه رجل الفيل ، ومن هذا القبيل اسم السرطان فانه فى الأصل اسم لدابة نهريّة ، وسمى به الداء المعروف ، لأنه إذا كبر ظهر عليه صروق حمر وخضر تشبه أرجل الدابة التى تسمى السرطان .

التفتوا إلى هذه الكلمات واستعملوا كثيراً منها فى معانيها المعروفة فى اللغة - ولعلّ لا أكون مخطئاً إذا قلت ، إن علم الطب قد وجد فى اللغة العربية مدداً أكثر مما وجدته غيره من العلوم المنقولة إليها .

ووجد علماء الطب بعد ذلك المدد أصولاً فى اللغة تسمح لهم بوضع مصطلحات لمعان طبية لم يتقدم للعرب أن وضعوها لها أسماء ، مثل أصول الاشتقاق والمجاز والنقل ، فصاروا يضمون مصطلحات زائدة على ما تكلمت به العرب فى هذا العلم ، وصارت كتب الطب تصدر فى عبارات عربية فصيحى .

فاذا ألقينا نظرة على كتب الطب المؤلفة فيما سلف بأقلام عربية فصيحة ، وجدناها قائمة على كلمات مستعملة فيما وضعها له العرب من المعانى الطبية ، وكلمات اشتقها أولئك الأطباء لمعان يتحقق فيها معنى الفعل الذى اشتقت منه ، كما سموا العرض دليلاً نظراً إلى مطالعة الطبيب إياه ، ومعرفته ماهية المرض منه .

وكلمات نقلوها من معانيها المعروفة عند العرب إلى معان تربطها بتلك المعانى مناسبة كما استعملوا الرسوب فى كل جوهر أغلظ قواماً من المائية وإن لم يرسب ، قال ابن سينا فى كتاب القانون : « إن اصطلاح الأطباء فى استعمال لفظة الرسوب والنقل قد زال عن المجرى المتعارف ، لأنهم يقولون : رسوب وثقل . لالما يرسب فقط : بل لكل جوهر أغلظ قواماً من المائية ، متميزاً عنها وإن طفا » .

في كتب طبقات الأطباء وطبقات اللغويين والأدباء ، مثل الرئيس أبي علي الحسين بن سينا برع في الطب ، وأتقن الأدب وبلغ في اللغة مرتبة عليا . وله في الطب مؤلفات كثيرة منها كتاب « القانون » وله مؤلف في اللغة يسمى « لسان العرب » .

ومثل أبي بكر محمد بن أبي مروان بن زهر (١) ، فقد كان كما قالوا بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين ، وكان يحفظ شعر ذي الرمة مع الأشراف على جميع أقوال أهل الطب (٢) .

ومثل محمد بن أحمد بن رشد (٣) فقد جمع إلى الطب والفلسفة التضلع في علوم العربية وله في الطب مؤلفات منها كتاب « الكليات » ، وله في العربية الكتاب المسمى « الضروري »

ونرى طائفة ممن بلغوا في علوم الشريعة مرتبة الاستنباط ، ولا يبلغ مرتبة الاستنباط في الشريعة إلا من كان له في علوم اللغة قدم راسخة ، وقد برعوا في علم الطب ، ومن هؤلاء الامام ابو عبد الله محمد بن عمر المازري (٤) ، وكان يعد في طبقة المجتهدين . ودرس علم الطب واللف فيه ، وقالوا في ترجمته « كان يفرع إليه في الفتوى (٥) » .

ولا عجب أن يقبل الفقهاء على علم الطب ،

طيلانس ، وإما منسوباً إلى بلدة يكثر حدوثه فيها ، كقولهم القروح البلخية ، وإما منسوباً إلى من كان مشهوراً بالإنجاح في معالجتها ، كالقرحة السيزونية ، وإما من جواهرها وذواتها ، كالحمى والورم .

وتجدد لذلك العهد أسماء عربية لأدوات طبية ، كأسماء آلات الكى والجراحة التي ذكرها أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى (١) في كتابه المسمى « التصريف » (٢) فانه رسم في هذا الكتاب صور الآلات ، وذكر لكثير منها أسماء مناسبة نحو المكواة والزيتونية والمنشارية والهلالية والمسمارية .

ودخل في مصطلحاتهم كلمات مولدة ككلمة « بجران » للتغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة ، وكلمة « تفسيرة » لماء المريض المستدل به على علته ، يقال أرسل فلان تفسرته إلى الطبيب ، ونظر الطبيب في تفسرة المريض .

ومن أسباب أخذ علم الطب فيما سلف مكانه في اللغة الفصحى أن كثيراً من رجال هذا العلم كانوا قد درسوا اللغة العربية إلى أن صاروا من أتمتها أو صاروا من كبار أدبائها تجدون الحديث عن هؤلاء الرجال والتنبيه على رسوخهم في علم الطب واللغة

(١) ذكره ابن حزم في رسالة أودعها مؤلفات الاندلسيين وقال « وقد أدركته » وابن حزم توفي سنة ٥٣٩٩ هـ .

(٢) طبع بالعربية واللاتينية في أكسفورد ، وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية .

(١) توفي سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) فتح الطيب للمقرئ .

(٣) توفي سنة ٥٩٥ هـ .

(٤) توفي سنة ٥٣٦ هـ .

(٥) كتاب الديباج لابن فرحون .

فإنهم يرونه من العلوم التي رفع للشرع الإسلامي منزلتها ، حتى إنهم بنوا كثيرا من الأحكام الشرعية على رعايته ، واستعانوا في بيان أسرار الأوامر والنواهي بشيء من مسأله ، ومثال هذا أن النبي صلوات الله عليه قال « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بتراب » والعلامة محمد ابن رشد جك الفيلسوف ابن رشد أول من نبه ، فيما بلغنا ، على أن هذا الأمر مراعى فيه وجهة طبية ، هي ما يخالط لعاب الكلب من مواد ضارة له عند ما يصاب بداء الكلب ، وإصابته بهذا الداء قد تكون خفية ، فلا تظهر لكل ناظر .

فلولا أن علم الطب قد وقع فيما مضى بأيدي علماء اللغة ما ظفر هذا العلم بتلك المصطلحات التي ترتبط باللغة ارتباطا محكما . ويدلكم على أن أولئك الأطباء اللغويين كانوا يجتهدون في أن يخرج علم الطب في لسان عربي فصيح تحريره العربية الفصحى في ألفاظ مؤلفاتهم ، نجد في ترجمة الطبيب اللغوي مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، أنه كان إذا تفرغ من افتقاد المرضى من أعيان الدولة وغيرهم ، يأتي إلى داره ، ويأتيه طلاب علم الطب قوما بعد قوم ، وكان إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية ، كتب اللغة : «الصحيح» للجوهري ، و«المجمل» لابن فارس ، و«كتاب النبات» لأبي حنيفة الدينوري ، فكانت إذا جاءت في الدرس كلمة لغوية محتاج إلى كشفها وتحقيقها نظرها من تلك الكتب .

ومن يطالع شيئا من مؤلفات أولئك الأطباء ويعمن النظر فيما يستعملون من أسماء الأمراض وغيرها من المعاني المتصلة بعلم الطب يعرف أن أولئك المؤلفين كانوا على اطلاع واسع في اللغة ، وبذلك أمكنهم أن يجعلوا اللغة تسير مع علم الطب جنبا لجنب .

ينبئنا بهذا أننا نجد جانبا عظيما من الألفاظ العربية غير الكثيرة الاستعمال ماثلة في هذا العلم ومنظومة في سلك مصطلحاته ، وكلمة « الحصف » للجرب اليابس ، وكلمة « الشرى » لبثور صغار حكاكة ، وكلمة « الحرصان » للحمة دقيقة لاصقة بحجاب البطن ، وكلمة « الصاخة » لورم يكون في العظم من صدمة أو كدمة و« القطرب » لنوع من المالبخوليا (١) .

وقف علم الطب بعد هذا في الشرق عند حد . وتناولوه الغربيون من مؤلفات علمائنا وأوسعوه بحثا ، وقطعوا فيه أشواطا بعيدة المدى ، وصارت المصطلحات العربية التي وضعت له من قبل لا تنفي بما تجدد فيه من آراء ومستكشفات .

ظل هذا العلم يتقدم خطوات سريعة وبقية لغتنا واقفة دونه بمراحل ، ولما أقبل أبناء العربية على دراسته اضطروا إلى أن يدرسوه بلغات أجنبية ، وأصبح علم الطب وهو في ديارنا يدرس بلسان غير عربي .

(١) المالبخوليا - المزاج السوداء .

هي « الموازنة » ، فقد شرحها المعاجم بأن لا يداوم الإنسان في عيشه على طعام خاص .

ويلحق بمثل هذه الألفاظ المطابقة لمعناها ، أن تذكر المعاجم في بيان مفهوم اسم المرض مثلا سبب المرض كما قالت « السواد » داء يأخذ الإنسان من أكل التمر يجد منه وجعا في كبده ، فترى أن ذكر السبب لا يجعل الاسم خاصا بما ينشأ عن هذا السبب .

فإذا ظهر من طريق علم الطب أن هذا الداء بنفسه وأعراضه قد حصل في الكبد من سبب آخر غير أكل التمر ، صح أن نطلق عليه لفظ « السواد » وإن لم يحدث عن أكل التمر ولا نعد هذا الإطلاق من نوع التصرف بإخراجها عن موضوعاتها اللغوية .

وأنبه هنا على أن المعاجم تذكر للكلمة الواحدة معاني طبية متعددة ، كما قالوا « الذرب » فساد الجرح وفساد المعدة ، والمرض الذي لا يبرأ .

والمجمع يتجنب في وضع مصطلحات العلوم أن يكون بينها لفظ مشترك ، ويحافظ على أن يكون للاسم الواحد في العلم الواحد معنى واحد .

وقد تذكر المعاجم للمعنى الطبي الواحد مثلا أسماء متعددة توردها على أنها مترادفة كما قالوا لما يقاس به غور الجرح : سبار ، ومسبار ، ومحراف ، وقالوا كذلك للمرض :

وإذا وجد قبا سلف لغويون أطباء استطاعوا أن يسيروا بعلم الطب تحت ظلال اللغة ومقاييسها فإن علم الطب الحديث واسع المباحث كثير الفنون ، فلا يتيسر لعلماء اللغة اليوم أن يبرعوا فيه كما برع فيه كثير من اللغويين من قبل إلا بمجهود كبير وعناية متناهية .

ومن هنا شعر الناس في هذا العصر بالحاجة إلى إنشاء مجمع لغوي عربي يقوم بوضع مصطلحات العلوم ، كي تسير اللغة الفصحى مع العلوم كتفا لكشف .

أخذ مجمع اللغة العربية يعمل لهذه الغاية المنشودة ووجد في ميسوره أن ينقل العلوم وبينها علم الطب في اختلاف فنونه ، وكثرة مصطلحاته ، إلى العربية الفصحى .

ولأنك لتجد في المعاجم ألفاظا كثيرة تتصل بهذا العلم ، وهذه الألفاظ إما أن تكون نصا في المعنى الطبي نحو « مثبير » بمعنى الموضع الذي تلد فيه المرأة ، فلو أطلقناه على الحجرة أو الغرفة المعدة في المستشفى للولادة كان استعمالا للفظ في معناه العربي من غير تصرف فيه .

وأذكر بهذه المناسبة أني رأيت الطبيب أبا المؤيد محمد بن الصائغ الجزري ينهى في وصية له طبية عن أن يلتزم الإنسان في غذائه طعاما خاصا ، فيقول :

إياك تلزم أكل شيء واحد

فتقود طبعك للأذى بزمام

ووجدت لهذا المعنى بعد ذلك كلمة عربية

السل والسحاف، ولواضعي المصطلحات وجه من الحق في تخصيص كل اسم بنوع من أنواع ذلك المعنى متى تعددت أنواعه، وقد سلك المجمع هذا المسلك في طائفة من مصطلحات العلوم .

وقد تشير المعاجم إلى اختلاف اللغويين في معنى الاسم ، كما قال صاحب القاموس « السلعة خراج في العنق أو غدة في العنق ، أو زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت » .

وقد جرى المجمع أن يأخذ في مثل هذا بالقول الذي يسد حاجة العلم .

ووجد المجمع في مؤلفات الأطباء فيما سلف مصطلحات محكمة الوضع ، وخطته أن يحافظ على المصطلحات القديمة ما وجد لها وجهها تدخل به في حدود العربية .

ووجد في علم العربية مقاييس تساعد على أن يصوغ للمعاني التي حدثت أو تحدث أسماء عربية ؛ فلو اتخذ في المستوصف مثلا ، محل خاص ينزع فيه المريض ثوبه ووجد العرب قالوا « ثرب فلان المريض يثربه » نزع ثوبه — صح أن يسمى ذلك المحل «مثربا»

ولم يقتصر المجمع على الأصول المعروفة أنها مقيسة نحو الاشتقاق من المصادر أو الأفعال ونحو المجاز والنقل ، بل نظر في طريق آخر سلكه العرب في وضع كثير من المفردات وهو الاشتقاق من أسماء الأعيان

كما قال العرب : جلده ورأسه وبطنه وصمخه . أى أصاب جلده ورأسه وبطنه وصمخه وقالوا : رمحه ، وسهمه ، وسافه ، أى أصابه بالرمح والسهم والسيف ، ومنه أبرته العقرب أى أصابته بإبرتها وقالوا : لبته وعسله ولحمه ، أى أطعمه اللبن والعسل واللحم والشحم^(١) وقالوا : جدر ، وبأر أى صنع الجدار والبئر .

وقد قرر المجمع صحة الاشتقاق من أسماء الأعيان في مصطلحات العلوم عند الحاجة وجرى على هذا في وضع طائفة من مصطلحات العلوم .

ومن الطرق التي تتسع بها اللغة وأخذ بها المجمع في وضع المصطلحات العلمية، طريقة المصدر الصناعي : وهو المصدر الحاصل من إلحاق ياء النسب لأسماء الفاعلين والمفعولين وغيرهما نحو العالمية والمعلومية والجاهلية والمجدوبية، وقد استعمله علماؤنا من منطقة وفلاسفة وغيرهم في مؤلفاتهم كثيرا .

ويمتاز هذا المصدر عن المصدر الصريح لأنه يدل على معنى الوصف من حيث صدوره عن الفاعل أو وقوعه على المفعول ، بخلاف المصدر الصريح فإنه لا يدل على هذه الناحية الخاصة بنفسه .

ويمتاز هذا المصدر الصناعي عن المصدر

(١) نص ابن مالك في كتاب التسهيل على أن هذه الأنواع الثلاثة مضطردة فيصح القياس عليها .

الصريح من وجه آخر ؛ هو أنه يدل على المبالغة متى كان المنسوب إليه من صيغ المبالغة فالعلامية أبلغ من العلم ، وقد رأينا الأطباء السابقين يقولون المصحاحية والمراضية وهاتان الصيغتان من قبيل المصدر الصناعي فالمصحاحية تدل على الصحة التامة لأنها نسبة إلى مصحاح وهو كثير الصحة ، والمراضية تدل على المرض الشديد أو الكثير لأنه نسبة إلى مراض وهو شديد المرض أو كثيره .

وفي المصدر الصناعي سعة من جهة أخرى هي أن نتوصل به إلى وضع أسماء لمعان يشير إليها اسم العين ، فاذا أردنا أن نتحدث عن كون الشيء إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو حجراً مثلاً ، قلنا الإنسانية والحيوانية والنباتية والحجرية .

ووجد المجمع المعجمات قد تقتصر في بعض المواد على ذكر المصدر أو الفعل أو الوصف فوضع قواعد لتكميل المادة الناقصة . مستمدة هذه القواعد من أقوال علماء العربية ، فإذا وجدنا المعجمات تقول مثلاً : المؤتنب ، من لا يشتهي الطعام صحح لنا أن نسمى علة انقطاع شهوة الطعام « اثتبابا » .

وإذا وجدنا المعجمات تقول « سنن » هذا الشيء أى شهي الطعام ، صحح لنا أن نزيد فيها فعلاً ، ونسمى الدواء الذى يقوى شاهدة الطعام « سنينا » ، وإذا وجدنا المعاجم تقول « القامح » الكاره للماء لأى علة ، صحح لنا أن نسمى علة انصراف النفس عن شرب الماء « قماحا » . ومن المعروف فى وضع المصطلحات تفضيل اللفظ المفرد على المركب ، والمجمع

يحافظ على هذا القصد ، فيؤثر المفرد على المركب إلا أن يكون فى المركب مزية تدعو إلى اختياره فلو أراد المجمع أن يضع لفظاً للموضع الذى يتداوى فيه بجمرة الشمس ، لا أحسبه يعدل عن كلمة « المشرقة » إلى لفظ آخر مركب ، فإن المشرقة موضع القعود فى الشمس للتمتع بدفئها ، وهذا المعنى متحقق فيما يقال له « الحمام الشمسى » . ورأيت ابن سينا فى « القانون » يعبر بالضحي إلى الشمس عن التعرض للشمس بقصد التداوى . وقالت العرب فى هذا المعنى ، أضحي الصبي ، وفسرته المعاجم بقولهم وضعه فى الشمس من مرض يصيبه ، والألفاظ العربية تختلف من حيث أنس السمع بها وإساعة الذوق لها ، والمجمع يلاحظ هذا فيما يضعه من المصطلحات ، فإذا وجد فى المعجمات مثلاً توحش فلان أى أخلى معدته من الطعام لشرب الدواء ، أثر عليها كلمة تحامى للدواء لأن الذوق يسيغها أكثر من كلمة توحش .

ومع ما أحرزته اللغة من الثروة الواسعة والمقاييس التى يمكننا أن نتصيد بها من الأسماء ما نشاء ، لم يقف المجمع وقفة الرفض لكل مصطلح علمى أجنبي ، بل أبقي باب التعريب أمامه مفتوحاً حتى إذا دعت الضرورة إلى قبول اسم غير عربى وإلحاقه بالمصطلحات العربية الصميمة أجاب داعى الضرورة ، وله فى المعرب القديم أسوة إذ قالوا : الترياق^(١)

(١) دواء مركب من أجزاء كثيرة ويطلق على ماله نفع عظيم سريع

والقولنج^(١) والنقرس^(٢) والكيماوس^(٣) والكلمات الأربع يونانية ، وقالوا البرسام لذلك المرض الصدرى والكلمة فارسية .

ومن ينظر فى كتب الطب أيام رقيه فى البلاد العربية يرى المؤلفين فيه قد يختلفون فيه فى بعض المصطلحات ، فابن سينا مثلاً استعمل البرسامة والشوصة وذات الجنب على أنها أسماء مترادفة ، وغيره يجعل كل واحدة من هذه الأسماء اسماً لمرض مختص به^(٤) . وإنما جرى مثل هذا الاختلاف

(١) مرض معوى .

(٢) مرض فى مفاصل السكبين أو أصابع الرجلين

(٣) الغذاء بعد أن تهضمه المصارة المعدية .

(٤) يخص البرسام بالورم المعارض للحجاب الذى بين الكبد والمعدة ، والشوصة بالورم المعارض فى أضلاع الخلف ، وذات الجنب بالورم المعارض للغشاء المبطن للأضلاع والحجاب ، انظر « كشف مصطلحات العلوم » .

بينهم لأن المصطلحات فى ذلك العهد لا تصدر عن مجمع أو مؤتمر يعقد له .

ومن أهم ما قصد إليه من إنشاء المجمع اللغوى توحيد المصطلحات العلمية ، ودليل هذا أن المجمع لم يؤلف من أعضاء مصريين فقط بل ألف من أعضاء يمثلون البلاد العربية من نحو المغرب والشام والعراق .

وصفوة ما كنت أقول أن الطموح إلى عزة ليس بعدها عزة يقضى علينا بأن نعبد علم الطب ، وسائر العلوم والفنون إلى لغتنا العربية ، وأن هذه اللغة تسع بما أتاها الله من غزارة العلم وحكمة المقاييس كل ما تدركه الأبصار والعقول .

ولم يبق علينا إلا أن نرجع إلى معاجم علمائنا ومصطلحاتهم ومقاييس لغتنا ، ونتعاون على أن تكون مصطلحاتنا العلمية واحدة .

الثنائية والألسنة السامية

للأب مرمرجى الدومينيكي (*)

المقارنة « الذى طبقوا أصوله على مختلف الفروع العلمية ، فنجم عن ذلك حقائق ثمينة ومفيدة ، كانت بقيت مجهولة لولاها . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات والشرائع والآداب واللغات . ضمن دائرة اللغات تولدت موازنة الصوتيات والصرفيات والنحويات والمعجميات . ومن ذلك كله المقارنة الألسنية السامية .

ومعلومكم أن الساميات الأمهات تنقسم إلى طوائف ، منها الطائفة الشرقية وهى اللغة الأكديّة الداخل فيها الآشورية والبابلية . والطائفة الغربية الشمالية الشاملة الكنعانية والأرمية والعمورية . الكنعانية فرعان ، هما الفينيقية والعبرية . والأرمية فرعان أيضا ، هما الأرمية الغربية ، والأرمية الشرقية ولهجتها الفصحى هى السريانية . ثم هناك الطائفة الغربية الجنوبية الشاملة اللغات العربية واللغات الحبشية . العربية تنشعب إلى فرعين العربية الجنوبية ، وفيها السبئية والحميرية ، والعربية الشمالية ، ولهجتها الفصحى هى العربية القرآنية . اللغات الحبشية ثلاثة فروع ، الجعزية ، وهى الفصحى القديمة ، ويلها الأمهرية والنكرية .

هذا ولم يعد للتقصي عن أصول الألفاظ العربية أو السريانية أو العبرية أن يكون الباحث متضلعا من واحد أو اثنين من هذه

أيها السادة الأجلاء :

من المنجلى للعيان ولا يختلف فيه اثنان هو أن مصر المحروسة متبوثة عرش الزعامة والتقدم بين سائر البلاد العربية ، ولا سيما في ميدان النهضة الثقافية والعلمية واللغوية . ومن ظواهر ذلك الجامعات المتعددة ودورالعلوم ودور الكتب الكثيرة ، ولجان التأليف والترجمة والنشر . ومن ذلك خاصة خدمة اللغة العربية والسعى في إنعاشها لتصبح آلة مرنة فتجارى الحضارة والمعارف العصرية . ومن تلك الوسائل الفعالة هو مجمعكم الموقر ولذا أشعر بغبطة وحبور لوجودى بينكم ، أنتم على أرباب العلم والأدب والحكمة وسدنة حرم هذه اللغة العربية الكريمة سيدة جميع لغات بنى سام . وقد لبيت بكل افتخار دعوتكم اللطيفة لأبسط لكم كيفية محاولتى المؤازرة فى خدمة المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية ، وهى وسيلة قد بذلت الجهد فى تأليفى قصد تبيان فوائدها الجمة ، وإن ظهرت فى أول وهلة غريبة غير مألوقة ، فأقول :

من العلوم العصرية التى نشأت على يد أرباب البحث فى البلاد الغربية « علم

(*) وافق مجلس المجمع فى جلسته الرابعة والمشرن على دعوة الأب مرمرجى الدومينيكي لالقاء هذا البحث ، واستمع إليه وناقشه فى الجلسة الخامسة والمشرن (٢٨ من مايو ١٩٥١) .

الألسن ، بل أن يكون واقفا على قواعد وخواص معجميات. كل هذه الساميات الأمهات وما يرجع إلى كل وحدة منها من اللهجات ، فضلا عن معرفة بعض الألسنة غير السامية التي لها علاقة بالعربية أو غيرها من الأخوات الساميات .

ثم إن علم التأصيل في المعجمية غير متوقف على الإشارة إلى أن كلمة من الكلمات مستعملة أو واردة في اللغة الفيلانية بل لارتقائها إلى اللغة الأم الصادرة عنها اللفظة المذكورة . وغير كاف الوقوف عند اللسان القناة المارة فيه تلك المفردة . فان ادعى أحد الباحثين أن هذا الحرف سرياني دخيل في العربية ، وظهر بالتقصي أنه ليس بسرياني بل « مسرين » ودخيل في اليونانية أو الفارسية . أو الأكديّة أو العبرية فلا يجوز إذ ذاك القول بسريانيته وهو غير سرياني . إذ قد يكون دخيلا في كلتا اللغتين من لسان ثالث مثال ذلك الألفاظ التالية الواردة في العريسة والسريانية معا : فردوس Pardeyse بستان Bustana ببغاء Babga باغ Bag بادنجان Bâdingana أسطوانة Estûna أبنوس Abanusa أسفين Esfina كعبة ، بدوى .

فهل من المعقول الذهاب إلى أن كل هذه الكلمات سريانية دخيلة في العربية ؟ في حين أن التقصي يثبت أن الست الأول منها فارسية وأن أبنوس وأسفين من اليونانية وأن كعبة وبدوى من العربية ذاتها.

ثم إن المقارنة الألسنية السامية غير متوقفة على البحث في لغة واحدة من الساميات بل في جميعها ثم يتحتم اعتبار هذا المجموع كلغة واحدة قد تفرقت خواصها وأسرارها في مختلف اللغات والأخوات مما يقتضى معه الاستعانة تارة بميزات الواحدة لفائدة الأخرى وطورا السعى في إثارة الغامض في هذه بما هو واضح وصريح في تلك فلا يكتفى والحالة هذه وضع أصول الساميات الآخر بإزاء المادة العربية لأن مثل هذا العمل لا يلتقى على المواد المبحوثة إلا نورا ضئيلا ولا يأتى إلا بفائدة جزئية لعجزه عن إيضاح التناسق المعنوي وإزالة التضارب والتنافر ليس بين المفاهيم العربية فحسب بل بين مداليلها ومداليل أخواتها السامية البواقى . ثم لتأصيل الألفاظ عن طريق الاشتقاق هناك قاعدة لازمة الاتباع وهي الانتقال من الفحاوى المادية المحسوسة إلى المدلولات المجردة والمجازية ومن حياة البداوة إلى حياة الحضارة ومن مزاولة الرعي والزراعة إلى معالجة الصناعات والفنون والعلوم . ومن هذا القبيل نجد العربية آلة من أنفع الآلات تبرز سائر أخواتها السامية إن لم نقل ! اللغات البشرية .

إن العائشين اليوم في عصر التمدن والرقى على اختلاف ضروبه ليكرهون البادية ماقتين حياتها البدائية . وهذا معقول لأن الرقى غير متوقف على الرجوع إلى الوراء ولا على النزول إلى أسفل بل على التقدم دائما لبلوغ الكمال قدر المستطاع ولهذا يود بعض

معاصرنا إخلاء معاجمتنا من كل الكلم التي يشتم منها رائحة الحياة البدوية حتى لا يبقى فيها سوى الألفاظ والتعابير الحضرية لا بل العصرية الحديثة وما يلزم أن نستحدثه منها اندفاعاً مع تيار التقدم المتواصل .

هذا من حيث الروح والذوق العصري أما نحن معشر المتخصصين للمعجمية وما تشمله من اشتقاق وتأصيل وثنائية والسنية فلا يسعنا إلا حسن الاشادة بفضل أولئك اللغويين القدماء الذين قاموا بالرحلات العلمية قاضين السنين الطويلة بين ظهرائي أهل الوبر فجمعوا لنا كل تلك المفردات البدوية الخالية منها الألسن السامية الأخر التي لم تجمع وتدون مفرداتها إلا إبان بلوغ أربابها طور الحضارة فقد منها أغلب الأصول والرساس الأولية بمعانيها المادية المحسوسة . وهذا هو الفضل العميم ، فضل اللغة العربية على شقيقاتها والدليل الساطع على قدم الفاظها مع أنها دوت بالكتابة آخر جميعها . مما نتحقق معه هذه الحقيقة الجلية وهي أن العربية هي المفتاح النفيس لفك مغاليق كثير من ألغاز المعجمية السامية وذلك بالرجوع إلى الرس الثنائى الصائن عادة أقدم المدلولات أى الفحاوى البدائية الفطرية المحسوسة الملموسة .

فلنر ما هي هذه الثنائية :

إن طريقة الاشتقاق والتوسع في الساميات قائمة على الارتقاء من الأقل والأنقص الى الأكثر والأكمل أى حسب السنة الطبيعية سنة الرقى

وليس بالعكس إلا من باب الاختزال وهو نادر ولا يحدث في طور التكون والنشوء بل في عصر الكهولة والهرم . وأنا من القائلين بأن الاشتقاق في العربية يتم بزيادة حروف ولا بطريقة النحت أو التركيب . لأن اللغات السامية عموماً والعربية خصوصاً ليست بنحتية والعلاقة الأساسية الثابت وجودها في الغالب بين المشتق والمشتق منه هي اللحمة أو الصلة المعنوية مع توسع الدلالة وتطورها بالانتقال من حيز المعاني المادية الحسية إلى حيز المداليل المجردة والمجازية ثم العقلية والروحية .

وفي طور التكون اللغوى تبدأ الزيادة بالحروف عن طريق السماع دون القياس فتنشأ بضرب من الفوضى ثم تسير رويداً رويداً في سبيل التكامل والاستقرار فنها ما يبلغ درجة القاعدة والقياس المطلق أو النسبي ومنها ما يتخلف فيبقى دون نظام . ومما يساعد على استمرار هذه الحالة هو مفاجأة اللغة المتكلم بها بتدوينها بالكتابة وإنزالها منزلة اللغة الفصحى المتصرفة بالميل الى المحافظة على الحالة الراهنة قدر استطاعها لمقاومة التطور الملازم طبيعة كل الأشياء .

هذا وأنا من الذاهين إلى عدم وجود علاقة طبيعية ضرورية بين الصوت والحرف أو الكلمة وبين المعنى المتعلق بها ؛ لأن الأصوات مجردة وليس في طبيعتها ما يجعلها دالة حتماً على الشيء الفلاني أو الفحوى الفلاني ، إنما تنشأ الصلة بين الصوت

ومعناه اتفاقا أو بإرادة المتكلمين عن طريق السماع أو الاستعمال .

أنا غير جاحد أن لبعض الكائنات الطبيعية دوى وللحيوانات أصواتا . بيد أن الناس لا يقتبسون القدرة على التصويت أو التكلم بالتعلم من الطبيعة أو الحيوان . لأن ذلك من خاصية أعضاء النطق فيهم وبفضل هذه الخاصية يتكون من محاكاة دوى الطبيعة وأصوات الحيوانات ، لكن بطريقة متباينة ، إذ أن كل فريق أو قبيلة أو شعب يتوهم فيها سماع نوع من الدوى والصوت فيحاكيها طبقا لهذا اليوهم .

وبعض الأحيان تجرى هذه الزيادة بالحروف لمقاصد تلوح متضادة . دونكم أحرف المضارعة فإنها تستخدم ليس لأداء دور واحد خاص بكل منها بل للقيام بأدوار عدة متميزة فالياء تستعمل للغائب والمثنى وللجمع المذكر والمؤنث ، والنون للمتكلمين لكنها تأتي في السريانية للغائب والجمع وفي بعض اللهجات العربية للمتكلم ، الهمزة تكون للمتكلم بيد أنها ترد للغائب في طائفة من اللهجات المسفورة . التاء تدل على المخاطب المذكر والمؤنث وعلى المثنى والجمع المذكر والمؤنث وكذا القول في الميم المتوجة بعض الصيغ فإنها تدخل على اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر المسمى واسم المكان والزمان واسم الآلة والوعاء وفي كل هذه المباني تختلف المداليل والحروف واحدة .

زد على ذلك أن الحروف عرضة للإبدال في العربية كما في أخواتها السامية فإن التاء العربية تبدل تاء في الأرمية وشيثا في العبرية والآكدية والحبشية ، والذال العربية تبدل زايا في العبرية والآكدية والحبشية ودالا في الأرمية . ثم إننا نجد في العربية العين والغين والحاء والخاء وفي اللغات الباقية لا يوجد سوى حرف واحد يقابل الاثنين العربيين وفي الآكدية لم يبق إلا الخاء . فضلا عن هذا هناك التغير الطارئ على بعض الحروف بفعل التفخيم فإن التاء تفخم فتصحي دالا ثم طاء ثم ظاء والسين تفخم فتصبح صادًا والضاد العربية تسمى صادًا في العبرية لا بل عينا في السريانية وهلم جرا .

كل هذا دليل على ما أبديناه من أن الحروف مجردة من ذات طبعها . إنما ينحصر لها معان وأدوار بالسماع والاستعمال . ومن باب الإطلااق يمكن القول بأن كل الحروف - ما عدا المتنافرة غير القابلة التجاور تركيبيا ولفظا - تصلح لأن تكون حروفا للتوسع ولا سيما في طور التكون أي طور الرساس الأولية الثنائية الذي يعقبه طور الثلاثية بزيادة حرف ثالث على الحرفين الرسيين أما تداول هذه الحروف فتباين إذ منها ما يستخدم أكثر ومنها ما يبقى نادر الورود .

ولنا مثال في العربية على بقاء حالة الفوضى وعدم الخضوع لقياس في المصادر الثلاثية المجردة وجموع التكسير وحركة عين

الماضي والمضارع من المجرد الثلاثي وعدم ورود كل الزيدات لكل واحد من المجردات فإنها كلها لا ضابط لها فنستند على السماع ونعرف من المعاجم . وكذا القول في الحروف التي تزداد على الرساس والأصول . فإن بعضها يستمر دون قيد ولا ربط على الحالة البدائية ولا اعتماد في شأنها إلا على الصلة المعنوية بين المزيد والمزيد فيه قدر ما يتوصل إلى تحقيقها بعد التطورات والتقلبات الكثيرة التي طرأت على اللغة بمرور الأجيال إلى أن بلغت طورها الحالي .

أجل ، في الزيدات الثلاثية والرابعة تجري الزيادة غالباً بحروف معينة للدلالة على معان خاصة كما هو مفروض في طور التصرف ، إلا أن هذا ذاته لا يتم باطراد مطلق ، إذ لا يخلو من أثر الفوضى القديمة لأن كثيراً من هذه الزيدات المعدودة قياسية تعود إلى الدلالة على المجرد عينه ، زد على ما ذكر أن الزيدات يراد بها مفاهيم مختلفة ومبتعدة أحياناً غاية الابتعاد عن المعنى المقصود من زيادة الحرف المعين لهذه الغاية أعني أنه لا يزال فيها شيء من الفوضى أو عدم الاستقرار الخاص بالطور القديم .

دونكم مثلاً وزن « أفعل » المزيد فيه همزة حسب قول الصرفيين للدلالة على التعدية نحو أجلسه ، أكرمه ، أبعدته ، فإنه خلافاً للقصيد المتوخى من زيادة الهمزة يراد به فحوى الدخول في الشيء ، نحو أصبح : دخل في الصباح . والمبالغة نحو أشغلته :

بالغت في شغله . والصيرورة نحو أفقرت الأرض : أضحت قفراً . والسلب نحو أشنى المريض . ذهب شفاؤه . وأخيراً يأتي بمعنى المجرد ذاته مما يتنافى المراد من الزيادة نحو أقلت البيع بمعنى قلته أي فسخته . كذا وزن « فَعَّل » المضاعف أي المكرر العين للتعدية فإنه يطلق فضلاً عن هذه الدلالة الخاصة على التكسير نحو قطعت الحبل : جعلته قطعاً . وعلى السلب نحو قشرت العود : نزعته قشره . وعلى اتخاذ الفعل من الاسم نحو خيم القوم ضربوا خيمهم كذلك وزن « استفعل » الدالة فيه الزيادة على الطلب فإنه يستعمل أيضاً لوجدان الفعل نحو استعظم الأمر : وجدته عظيماً وللتحول نحو استحجر وللتكلف نحو استجراً وللمطاوعة نحو أراحه فاستراح . وأخيراً يرجع إلى فحوى المجرد عينه كأنه لم تكن زيادة . نحو استقر بمعنى قر ، وقس على ذلك بقية الزيدات تلك التي تدعى قياسية بتخصيص دور الحرف المضاف إليها .

هذا ومن المؤلف والمقرر عند علماء العربية الأقدمين والمعاصرين وعند الأجانب من مستسيمين ومستعربين أن الزيادة تجري بالتتويج والإقحام والتذييل . وفي كل حال من هذه الأحوال يتم الأمر على سبيل الأغلبية أي بالسماع وليس بقياس محكم . وهذه طائفة من الأمثلة على أنواع الزيادة الثلاثية :

أولاً - الزيادة بالتتويج : « يقطين » كل شجرة لا تقوم على ساق . الياء زائدة

أولاً - كل حرف من الحروف التابعة

هناك الزيادة من باب الغنة «نحو رنز» من رز . «حنظ» من حظ . «انجار» من أجار . «انجاص» من أجاص .

هناك الزيادة لتقوية الحركة دون قصد معنى معين نحو «برا» يقال منه : برع والنسبة برعى أى برانى كما يقال توقع من توقى . وجزأ وجزع من جزأ . وبدأ وبدع من بدا .

هناك الزيادة لعذوبة اللفظ نحو يا أبى عوض يا أبى «عصاى» عوض عصاى قدنى قطنى بإقحام النون . لعلت ثمت وربت بإلحاق التاء .

هناك الزيادة لإقامة الوزن نحو تبيضض بدل تبيض .

هذا ومن نتائج نظرية الثنائية : أولاً أن المثال والأجوف والناقص ما هى سوى مزيادات أو توسعات فى الرس الثنائى الذى يبنى فيه التوسع بتكرار الثانى منه أو بتشديده أى بتكراره لفظاً ووضع الشدة عليه كلية .

ثم من جملة أنواع التوسع فى الأصول مثلاً : أن الفعل «وثب» مزيد فى الثانى «ثب» وأن «قام» هو الثانى «قم» أشبعت حركة حرفه الأول . مما يظهر فى السريانية فى كلمة «قم» إذ لا ألف مقحمة فيها ومن الكتابة العربية القديمة المتجلية فى رسم المصحف المحافظ عليه حتى اليوم . إذ لا تجد فيه قام

بل «قم» . كذلك الفتحات المشبعة لا يرسم عليها ألف . ويبين ذلك أيضاً فى مجرى التصريف الذى إن هو إلا رس الكلمة ملحقا به الضمائر . فيقال : «قم» ت - «قم» تم - «قم» نا . مما جاء دليلاً واضحاً على أن الأصل هو الثانى . وأن هذا الثانى يدل على معنى تام فى حالته الثنائية . وكذا الشأن فى الناقص . فان لامه ليست حرفاً بل إطالة أو إشباع الفتحة السابقة . مثلاً : «رمى» هو الثانى «رم» حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها فى الرسم ألف . كذلك «رم» ت هى «رم» تا هما . مما يظهر فيه الأصل الثانى ملحقا به ضمير متصل .

أما المضاعف فهو بالحقيقة مركب من حرفين كما يتجلى ذلك فى معاجم الأقدمين ككتاب «المقاييس» لابن فارس . فانه يسميه «الثنائى» ويذكر فى المادة حرفين لا غير ويرى ذلك فى المضاعف الرباعى أو المطابق كما يدعوه ابن فارس . وما هو سوى ثنائيين مكررين . مثلاً : «قرقر» «خرخر» «دبدب» «مرمر» «لعلع» «لألأ» ... الخ .

ومن هذه المادة شىء كثير فى اللغات السامية ولهجاتها وقد جمعنا منها ٣٥٠ فى العربية الفصحى . ويوجد أكثر منها فى اللهجات . وما هذه الأفعال وأسمائها إلا حكاية أصوات الطبيعة والحيوانات المندفعة إلى تكرار مقاطع لا حروف . وكل مقطع مركب عادة من حرفين متحرك فساكن . مما هو وارد على هذا النمط فى اللغات السامية

الباقية كالسريانية مثلا نجد فيها « بلبسل »
« زلزل » . وكذا الحال في اللهجات . أما
الفصحى فالفتحة الواقعة في آخر الثنائي . وفي
آخر الأفعال السالبة . إنما داعى وجودها هو
الوصل . فعوض القول : خرخر الماء .
قبل في الوصل : خرخر الماء .

وأنت ترى أن الطبيعة عينها ميالة إلى
الثنائية لا إلى الأحادية . كما يمكن بعضهم
التوهم أن الإنسان الأول بدأ يتكلم بحروف
منفصلة . لأن الحروف المنفصلة لا وجود
لها إلا في جدول الأبجدية . أى في الكتابة
ولا في اللفظ . والسبب أن أعضاء النطق
عينها لا تخرج للتكلم حروفاً صامتة متفرقة .
بل مقاطع مركبة من الصامات تحركها
الصائتات .

ومن الأدلة على وجود الثنائي في أصل
اللغات ولا سيما السامية منها هو أن المضاعف
العربي الذي يقال إنه مركب من ثلاثة أحرف
أصلية لا نجد مقابله في السريانية إلا بحرفين
اثنين لا أكثر . مقابل « مصّ » « مص » وبهذا
« حَم » « حم » وبإزاء « مسّ » « مس » وهكذا
كل المضاعفات التي هي بالحقيقة ثنائيات .
والثنائي وارد في كل الساميات متصفاً بمعنى
حقيقي وتام .

ولنا برهان حسي جلي على وجود الثنائي
في أصل اللغة يستخرج من العناصر الأولية
للغة العربية وهي أسماء الأصوات ودعاء
الحيوانات وزجرها وبعض أسماء الأفعال

فهي ثنائية . ومنها كان بدء صوغ الفعل
المضاعف ومكرره مثلاً « أف » كلمة تكره
« آه » للتوجع « به » « بخ » لاستعظام
الشيء « غس » لزجر الهر . « ضع » اسم
صوت يزجر به الحمل عند ترويضه « بس »
دعاء . وزجر للغنم . « صه » أمر السكوت .
« مه » أمر بالكف .

فن هذه الثنائيات صيغ أفعال إما بتحريك
الساكن وتشديده وإما بتكرار الثنائي ذاته
وتحريك الآخر في العربية فقليل : أف آه
به - بخ - غس - ضع - بس - صهصه -
مهمه . وكذا القول في « ثب » فإنه مشتق
من ثب ومنه المكرر « ثب ثب » .

أما « وثب » فهو ثب زيدت فيه الواو
توييها . فحصل من ذلك ما يدعى في الصرف
« مثالا » وجدير بالملاحظة كيفية وقوع الزيادة
في « ثب » ووثب . أى بإضافة حرف مع
بقاء اللحمة المعنوية بين المجرد والمزيد . وهي
بالحقيقة مستمرة بينهما . إذ أن « ثب » يراد
به الجلوس يتمكن . و « وثب » يعنى القعود
في لغة حمير . ويدل على النهوض وعلى الطفر .
على أن هذا التضاد يزول إذا عرفنا أن
الثنائي « ثب » متضمن معنى عاما . هو
فحوى الحركة التي هي أساس هذه المداليل
المختلفة . لا بل المتنافرة ظاهريا . فعند فريق
أو قبيلة من القبائل دل الفعل على القعود .
لأن في القعود حركة ، وعند قبيلة أخرى أطلق
الفعل على القيام والقفز لأن في ذلك كامن
المدلول العام وهو الحركة .

أما القول - وهو قول أحد الغربيين - بأن « من وثب هو بمنزلة من جلس في الهواء » فهو من المعاني التي لم تخطر على بال العرب حين تداولوا كلمة « وثب » لحسان مثل هذا الحادث عصر ذلك من خوارق الأنبياء . بيد أنه يفهم في عصرنا الذي تمكن فيه الإنسان من أن يجلس نوعاً من الجلوس في الهواء أي بركوبه الطائرة .

ومما يجدر بالذكر أن مقابل « ثب » العربية وارد في السريانية Yethéb ومعناه وثب . جلس . قعد . مما ينجم عنه بوضوح أن الرس الثنائي هو « ثب » فتوسع في الزيادة بطرق مختلفة مع استمرار الصلة المعنوية بينه وبين مزياداته أي فحوى الحركة أولاً بالعربية بتضعيف حرفه الثاني . فجاء ثب ثم بإضافة واو تنويجا في العربية ذاتها فصدر عن ذلك فعل وثب وبزيادة ياء بالتويع أيضاً في السريانية فنشأ Yèthéb وكذلك زيدت الياء بعين الطريقة في العبرية Yâshab وفي الأرمية Yèthéb ونجد في الحبشية Awsaba كما في العربية بالواو . أما الأكديّة فوارد فيها Washabu و Wshâba أي بإضافة واو في العربية والحبشية .

من مفترضات الثنائية أن أصل المفردات بحرفان فيجرى التطور بزيادة حرف ثالث عليهما إما تنويجا وإما إقحاما وإما تذيلا مع بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي والثلاثي كما هي مستمرة بين الثلاثي والرابع وما فوقه من المزيادات .

على أني بفضل تفصيلات خاصة توصلت إلى الوقوف على أن الثلاثي غير ناشئ عن ثنائي واحد ليس إلا بل عن ثنائيين أو ثلاثة حسب اختلاف مداليه . وقد أوردت في تأليفي شواهد تثبت هذا القول . فأجتزئ هنا بسرّد واحد من الأمثلة . هناك فعل « هلب » المختلف لا بل المتنافر المفاهيم . لكن يمكن القول بأن « هلب » مشتق أولاً من « لب » بزيادة الهاء تنويجا . ثانيا : من « هب » بإنزال اللام إقحاما . ثالثا : من « هل » بإضافة الباء تذيلا .

هلب : كثر شعره من « لب » ومنه اللب أي القلب لتراكم الشحم عليه واللبة : اللحم المجتمع في أعلى الصدر وفيه معنى الوفرة والكثرة .

هلب : نتف وجز من « هب » المراد به القطع والتنف ضرب من القطر .

هلب : السماء القوم بلتهم بالندى ومنه ليلة هالبة أي ماطرة . والهلابة : الريح الباردة من « هل » الدال على هطول المطر وشدة انصبابه .

الأهلب : المتتوف الشعر . من هب ومنه هب السيف : قطعه .

الأهلب : الكثير الشعر من « لب » المراد به - التراكب والتجمع والتلبّد . وبهذا تنسق المعاني وتزول الضدية .

المعاني وتطورها مما هو واضح القصد في الحالة الثلاثية الحاضرة .

فمن ثم لا خشية على المعاجم من الثنائية لأنها بالعكس تنشئ فيها تنظيماً معقولاً كما أن ترتيب المعاجم الحديثة مثل « محيط المحيط » و « أقرب الموارد » و « البستان » لم يضر المعجمية بل نفعها . وإن خالف في الواقع تنظيم المعاجم القديمة أو بالأحرى عدم التنسيق فيها .

والآن أكرر للمجمع الموقر آيات الشكران متمنياً لجميعكم التوفيق والنجاح في خدمة اللغة العربية الجلييلة والسلام .

أختم بالقول أن الثنائية ليست كما يتبادر إلى الوهم ، هدامة للثلاثية والرابعة . ولا هي مقوضة أركان المعاجم إنما هي وسيلة للتأصيل السابق طور التصريف . فالقائل بالثنائية يدع التصريف على ما هو للثلاثي والرباعي . ويحصر عمله في المعجمية . وفي هذا الحقل عينه لا يتوخى بحق الثلاثية والرابعة لكنه يرتئى بأنه كما أن الرباعي يسوغ رده إلى الثلاثي كذلك يمكن رد الثلاثي إلى الثنائي مما ينجم عنه أن ليس الثلاثي بدء الاشتقاق بل الثنائي .

ويرى عملياً أن في هذه النظرية فوائد جمة للمعجمية ، منها تجلي الانسجام والتساوق في تشعب الألفاظ بعضها من بعض وتوسع

تأبين المرحوم الأستاذ أحمد حافظ عوض

يلقى الأستاذ عباس محمود العقاد عضوالمجمع كلمة التأبين .

وقد انعقد الحفل في الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء أول جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ . (الموافق ٧ من فبراير سنة ١٩٥١ م .) بدار الجمعية الجغرافية المصرية بشارع قصر العيني ، وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد الكلمة التالية :

في ليلة السبت ٢٠ من ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ . الموافق ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ م . توفي المرحوم أحمد حافظ عوض عضو المجمع ، وخلف لنا تاريجاً زاخراً بجهاده في الصحافة والأدب واللغة . وقد نعاه رئيس المجمع إلى المؤتمر في صبيحة اليوم التالي ، وتقرر أن يقام حفل لتأبينه في مناسبة مرور الأربعين على وفاته ، وأن

كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد

تحول المازني من دراسة القانون إلى دراسة الطب ، ثم تحول من دراسة الطب إلى دراسة التعليم ، ثم ترك التعليم وعكف على صناعة القلم فلم يتركها حتى ترك الدنيا مأسوفاً عليه .

أما الأستاذ حافظ (بك) فقد ندم على اختياره صناعة القلم بعد أن عدا فيها أشواطاً يقصر دونها الكثيرون ، فوقف في وسط الفريق آسفاً يكتب الى ولده من رسائله المشهورة : « قف يوم تصل الى ساعة الاختيار موقف المفكر المتدبر ، ولا تعتمد على رأيك وميلك وهواك ، بل الجأ الى من هم أكبر منك سناً وأكثر تجربة في الحياة ، وخذ برأيهم واعتمد على مشورتهم ، فلن تجد في هذا الموقف من يخفى عنك الحقيقة » .

« قلت لك لا تعتمد على رأيك وميلك وهواك ، لأنني تعبت في حياتي من جراء

يتفق للكثير من النابغين والناهين أن تختار لهم الحوادث غير ما يختارون ، وأن يندموا على الواقع ثم تنجلي سيرتهم كلها عن الحقيقة التي احتجبت عنهم في مطلع الحياة : وهي أن الخيرة في الواقع الذي لم يطلبوه ولم يتوقعوه .

رأينا مثلاً لهذا في حياة فقيده كريم نعينا قبل نحو سنتين ، وهو الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، ونرى اليوم مثلاً آخر له في فقيده اليوم الأستاذ أحمد حافظ عوض (بك) ، رحمه الله .

كلاهما لم يقصداً إلى الاشتغال بالتعليم والصحافة في نشأته الأولى ، وكلاهما قد انتهت به خيرة الواقع إلى الاشتغال بالتعليم ثم بالكتابة ، فكان في عالم الكتابة علماً من الأعلام .

من رسائله ومقالاته ، بل لعله كان يتحدث
ليعلم ويعتز بالخبرة التي تسوغ له التعليم
وتشفع له فيه ، فأطلق عليه أصحابه
ومريدوه وزملاؤه في الصحافة اسم « المعلم »
لأنهم لم يجدوا له وصفا يصدق عليه كما
يصدق عليه وصف التعليم .

كان رحمه الله ظريف الحديث حلو
الفكاهة ، سمعته مرة يقول إنهم سألوه عن
عمره في مجلس من مجالس السمر فقال :
من أربعين إلى تسع وثلاثين !

هكذا كان يقول في معرض الفكاهة ،
فيخيل إلى من يسمع منه هذا الجواب
وأشباهه أنه يميل إلى تصغير سنه والاتسام
بسمات الشبية بين صحبه ، ولكنه لا
يلبث بعد ذلك هنية حتى يسمع منه ما
ما يدل على تقيض ذلك من الاعتزاز بالسن
والجربة والحكمة ، وبعد النظر إلى العواقب
قياسا على ما شهد من الحوادث وعرك من
أهوال الخطوب ، ولعله لم يكتب رسائله
إلى ولده إلا ليكون معلما في أبوته وأبا
في تعليمه ، وإلا ليرضى في نفسه سليقة
التعليم وسليقة الكتابة مجتمعين .

بل لعلنا نلمح هذه الخصلة في إعجابه
بطائفة من العظماء الذين ضرب بهم الأمثال
لمن تكتب لهم السير التاريخية ، وأكثرهم
من رجال الحكمة والرأى كعاوية وابن
العاص وصالح الدين وبونابرت ومحمد

الاعتماد على هذا الميل والهوى ، ولقيت
ما لقيت من متاعب ومصاعب وأمور
أنت أولى الناس بمعرفتها ، ولو أنني
أصحت لمن نصح لي باختيار مهنة الطب لكنت
— على ما أظن — قد وفقت إلى تحقيق ما
طمحت إليه وما أردت ، ولكنني أحبت
الأدب وشغفت بالصحافة ، فاندفعت في
طريق غير مأمون العواقب ، بل غير مجد ولا
ولا مخصب ، رغم ما فيه من ظهور وشهرة
وخدمة عامة ، قد يحقق الكثير منها في
أية حرفة من الحرف الشريفة العظيمة
الفائدة للأمة ، كالطب والهندسة والمحاماة ،
بل والقيام بوظيفة حكومة البلاد .

ثم ختم الرسالة قائلا : « من ذا الذي
شعر بالحياة أو أحس أنه قد فاتته في أيام شبابه
وعنفوان حياته ما كان مستطيعه ... فلم
يعد مستطاعا بعد ذلك ؟ أقول من ذا الذي
شعر بشئ من هذا ولم يردد الكلمة الفرنسية
المشهورة ... ومعناها بالعربية .

أواه لو عرف الشبا
ب وآه لو قدر المشيب

هكذا خطر للكاتب النابه بعد أن أوغل
في الطريق أنه قد أخطأ الجادة وضل عن
سوائها ؛ ولم يكن في الحقيقة إلا على السواء
الذي لا يهتدي إلى خير منه ولو خالف
هواه .

فقد عاش حافظ بسليقة المعلم والكاتب في
كل يوم من أيامه ، وكتب ليعلم في كثير

على ، ثم اختار منهم مثلاً فريداً هو عمرو بن العاص فقال :

« لنضرب مثلاً بتاريخ يوضع لحياة عمرو بن العاص وأثره في تاريخ الإسلام والشرق ... فيجب أن يوضع بحث خاص في نشأته الأولى في الجاهلية وماذا عرف عنه » إلى أن فرغ من سرد المواد التي يتألف منها ذلك التاريخ .

ولا نحسب أننا نغلو في تقدير الأثر الذي اتصل بهذه الخصلة في قريحة حافظ (بك) إذا رددنا إليها عنايته بفتح مصر في جميع عصورها ، حتى انتهى إلى تأليف ذلك الكتاب عن فتح مصر الحديث على يد بونابرت ، تمهيدا لعصر محمد على الكبير .

هل لهذه الخصلة علاقة بمزاج حافظ (بك) عوض أو بنشأته في بواكير حياته ؟

إن هذا السؤال لازم في العصر الذي فرض التحليل النفساني على كل ناظر في السير والتراجم ، ولكن الاحتراس في جوابه لازم كذلك في العصر الذي تهادى فيه بعض المحللين في هذه النزعة ، حتى أوشكوا أن يرجعوا بكل عمل وفكرة إلى ما يسمونه بالدوافع المكبوتة والتعويضات النفسية ، ومع القصد بين إهمال التحليل والتهادي فيه يبدو لنا أن عوارض الحياة لا تتمكن من النفس إلا إذا كانت النفس مهياة بمزاجها لتمكن آثار العوارض فيها ، ويبدو لنا بعد ذلك أن اليم الأليم هو العارض الذي مكن

من قريحة حافظ حبه للأبوة والتعليم ، وكلفه بنفع المتعلمين والناشئين بتجاربه وتجارب التاريخ كله ؛ فكانت الأبوة المعلمة تعويضا نفسانيا لفقد الأب المحبوب في باكورة الصبا ، وظهر هذا الشعور الكريم في الخطوة الأولى التي خطاها الكاتب الكبير في طريق التأليف ، فكانت قصة اليتيم باكورة هذا القلم وترددت صرخة الحزن من أعماق الفتى الوفي خلال القصة من مطلعها إلى ختامها ، وفي إحدى صفحاتها يصف الحالة في حجرة والده المحتضر فيقول « لما وصلت إلى غرفة نوم والدي رأيت منظرها على السرير ويجواره مرضعتي سكينه التي حين رأيته سلمت والدمع له في خدها الوردي ندوب ، وعيناها كأنهما قطعتا مرجان لكثرة ما ذرفته من الدموع ، ومثلها مريتي وخادمتا . وكان المنظر هادئا ووالدي بينهم ساكن البال مصفر الوجه ... ولما رآني حوّل نظره جهتي وأشار إلى بالقرب منه ، فدنوت منه وأنا لا أنفوه بينت شفة ، بل وقفت مبهوتا بجواره ، فمد يده ومسك بها يدي ووضعها على صدره ثم ذرف دمه على خدوده الصفراء وجعل ينظر إلى ويكي . منظر يفتت الأكباد ويخرج الفؤاد ... كل ذلك وأنا باهت بلا دموع ولا كلام . ثم نطقت قائلا : أبي ! وعندها انحدرت الدموع وخنقتني العبرات وسقطت مغشيا علي لا أعى ولا أتذكر شيئا ، إلا أنني شعرت ببرودة على جيني مما يدل على أنهم أنعشوني بالماء . ثم صرخت : أبي ، أبي ! ألا

ترد على ؟ أبي هل انتهت الحياة ؟ أبي
ان تركنى ، يا أبي ... »

كتب حافظ (بك) هذه القصة في سنة ١٨٩٨ وكتب بخطه على النسخة التي أهداها إلى دار الكتب أنه « ولد في دمنهور في غرة ذى القعدة سنة ١٢٩١ هجرية » أى في العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٤ ، فكانت سنه عند تأليف الرواية نحو الرابعة والعشرين ، وختمها مع هذا قائلا « يرجو الإخوان أن لا يعتقدوا أن الحكاية حكاية فلان أو فلان ، أو حكاية نفسه ، وإنما يغشون بهذا أنفسهم . والأولى بهم أن يعملوا بنصائحها ويتشبهوا بصاحبها . »

فاليتيم الذى اتخذ التعليم الأبوى فريضة محبة إليه قد دان نفسه بهذه الفريضة وهو في ريعان شبابه يخطو إلى الرابعة والعشرين التى يتلقى فيها شباب ذلك الجيل أوائل النصائح وفوائح التوجيه والإرشاد ، ثم أزم نمسه هذه الفريضة في المدرسة والصحيفة والكتاب ومحادثة الجلساء والمريدين .

* * *

قرأت لحافظ (بك) في الصحف ، وقرأت له في الكتب والمجلات . ويحضرني من كتاباته الصحفية أنها كانت تتسع للسياسة وغير السياسة ، ومنها ما هو بعيد عن الموضوعات التى تعود الصحفيون أن يطرقوها في الصحافة اليومية . فقد تناول يوما سيرة « أفلوطين » إمام الأفلاطونية الحديثة

فكتب عنه في صدر « المؤيد » مقالا مسهبا كثير الشروح والحواشي ، واقترح فيه على وجهاء « أسبوط » أن يجتهدوا في ترجمة كتبه ونشرها بين قراء العربية ، لأنه ولد في ذلك الإقليم وتردد بين الصعيد والإسكندرية .

وكان أسلوبه في السياسة أطبع ما يكون حين يتخذ له موضوعاً من موضوعات النقد التهمى والتصوير الفكاهي ، وهى طريقة كان رحمه الله يحسنها ولا يتعدى بها أن يضحك القراء من المنقود دون أن يجرحه أو يؤذيه . أما أسلوبه في الأدب فقد كان أطبع ما يكون حين يصف شعور الحنان والعاطفة الشجية ، وكان المعرض من معارض الكتابة الأدبية يجتذبه إليه ولو كان مشغولا عنه بما هو أقرب إليه وألصق بعمله . فحدث مرة أن مجلة من المجلات أعلنت عن مباراة عامة تدور حول طفل ضرير عاد إليه البصر بعد فقده ، فلما روجعت الأوراق وعرف اسم الناجح في المباراة إذا هو الكاتب المشهور أحمد حافظ عوض (بك) ، وكان يومئذ في أوج شهرته ومكانته ، غنيا عن التنويه وعن الجائزة ، ولكن الموضوع قد استهواه واجتذبه إليه فخرج من شواغله ساعة ليسهم فيه بقلمه . وقد مر بنا نموذج من تجاربه الأولى في وصف هذه المناظر المشجية وما نحا نحوها ، وهو وصفه لحجرة الموت في ساعة الاحتضار ، ومن بدأ يمثل تلك التجربة خليق به أن يروض هذه الموضوعات رياضة الأستاذ وقد جاوز الثلاثين .

وقد امتاز أسلوب الفقيه في الموضوعات جميعاً بالصفاء والسلاسة، وشففت كتاباته عن مصادر ثقافته في اللغات الأوروبية واللغة العربية، وغرامه بأسلوب «ماكولي» في اللغة الإنجليزية دليل على منهجه في تعبيره وتفكيره، فهو أسلوب السهولة والإمتاع والتشويق والاستطراد في غير مشقة ولا تعمق، وهو أسلوب التاريخ المعروض في سياق القصة والفصاحة المصقولة، وقد كانت هذه المزايا الكتابية قدوة المقتدين في رأى كاتبنا الفقيه، وأذكر أنه كان يستظهر بعض القصائد الإنجليزية ويحيط بتعليقات التقاد عليها، وكان يحفظ المقطوعات من النثر البليغ كما يحفظ الشعر المنظوم، ولكنه كان ينتهي بإعجابه إلى «ماكولي» في نثره وشعره، وإن لم يفقه أن مرتبته في المنظوم كانت دون مرتبته في المتنوع، وأن حظه من الكتابة التاريخية فوق حظه من الكتابة الأدبية، وفي المفاضلة بين الناقد «ماكولي» الذي يعجبه والناقد «هازليت» الذي يعجبنى تقضت سهرة من سهرات الصيف الممتعة في داره بالمطرية يوم كان يسكنها، فلا أنسى من ذكريات تلك السهرة أنني دعوته «حافظاً» بمعنى الكلمة كله. فإنه كان يلقي من حافظته قصائد شتى وعاما منذ أيام التلمذة، وقال لي متواضعاً إنه يحفظها هكذا لأنه يعاود قراءتها بين حين وحين.

وكان الفقيه رحمه الله يعرف الفرنسية ويتكلمها، وأحسب أنه استفاد منها في مجال الصحافة أكثر مما استفاد من كتبها ومصنفاتها.

أما نصيبه الأوفى من الثقافة الأوروبية فصدره الأول من اللغة الإنجليزية متنورها ومنظومها وكان يقتدى بأدبائها وبلغائها مستقلاً في رأيه واجتهاده، كما اقتدى في رسائله «من والد إلى ولده» بالورد «شستر فيلد» في رسائله المشهورة إلى ولده الذي أرسله متعلماً إلى البلاد الفرنسية، وليس بين رسائل حافظ ورسائل «شستر فيلد» من تشابه في غير الموضوع والعنوان، لأن حافظاً رحمه الله قد استوحى رسائله من تجاربه وهواه وفكره، ولم يقصد بها أن تغني قارئها الناشئ عن الرأى والتجربة، بل قنع من كل ناشئ يقرأها بأن يلتزمها حتى يقتدر على تركها، أو كما قال: «كن مع نصحي هذا كما تكون في حمام البحر وأنت لا تعرف السباحة، لا تترك الحبل من يدك لئلا تغرق، وإن درت حوله كيفما درت، فأنت آمن مادامت يدك قابضة عليه. وإذا بلغت اليوم الذي تجد فيه نفسك عالماً ماهراً بالسباحة فلست في حاجة إلى هذا الحبل، ولكنني أؤكد أنك ستجد نفسك - وقد بلغ بك الشعور بقوتك ومقدرتك مبلغه فاندفعت تسبح برأيك مستقلاً - في حاجة إلى الرجوع إلى شاطئ من صدر والدك ...

أما مصادر ثقافته العربية ففي وصاياها دلالة على ما يرتضيه من مصادر الأدب العربي للناشئ المهذب وما يرتضيه للعالم المتوسع، وذلك حيث يقول من رسالته

الثامنة : « إن اللغة العربية بحر خضم لاساحل له ، وإنك لو انقطعت لها طول حياتك جاعلاً بغيتك النبوغ فيها دون سواها ، لاقتضى ذلك أن تترك ما عداها من العلوم والمعارف اللازمة لفوزك في الحياة ، ولكي تكون لغويا عربيا أو شاعراً كبيراً يلزمك أن تنقطع إلى اللغة العربية دون سواها ، فتبدأ بحفظ القرآن الشريف ، والحديث ، وكتب اللغة المتعددة ، وتطلع على شعراء الجاهلية وتحفظ أشعارهم ، وتتبع ذلك بشعر الطبقة الأولى من المخضرمين ، وتقف على أيام العرب لتفهم بها ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والخاصة ، ثم تنقطع إلى مادة اللغة ومعجماتها بحيث لا تفوتك منها شاردة ولا واردة ، وتجيد دراسة النحو والصرف والاشتقاق وتتبع اللغة في تطوراتها ، وإن زدت في ذلك رجعت إلى تاريخ اللغة وأصولها في اللغات القديمة كالعربية والحميرية والنبطية والفارسية ودون ذلك خرط القتاد » .

أوصى الأستاذ بهذا للعالم المتوسع . ثم أشار على الناشئ المثقف باتباع وصية ابن خلدون حيث يقول « إن المقصود من الأدب عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجابة في فني المنثور والمنظوم ... » و « إن هناك استعداداً فطرياً يضعه الله في صدر الإنسان وسراً في سويداء فؤاده وعلقة قلبه ، لا يعلمه إلا الله الذي أودعه . وإنما يذكر على المطالعة ويربو بارتياح الأشكال الملائمة » .

على أنه قد استطرد من هذا الإجمال إلى سرد الكتب التي يحسن الاطلاع عليها ولم يستثن منها كتب الأساطير والخرافات لأنها تنمي ملكة الخيال . ولم يستثن كذلك كتب الطرائف والنوادر كفاكهة الخلفاء والمستظرف والكنشكول ، وخص بالذكر كتاب العقد الفريد : ثم استحسن بعد دراسة علوم البلاغة أن يطلع طالب الأدب على كتابي خزائن الأدب للحموي والوسيلة الأدبية للمرصني ، وأن ينظر في ديوان الحماسة والمفضليات والمعلقات ، وأمامه بعد ذلك جولة أخرى في دواوين الشعراء المجيدين من أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري والشريف الرضي وأبي نواس وابن هاني الأندلسي . ثم قال « وعندي أنك لو اكتفيت بسيد الشعراء المتنبي وكبير فلاسفة الشعر المعري وأحسن اختيار ما تحفظه منهما لكفاك ذلك » .

وقد أتبع هذه الوصية ببيان طريقته التي جرى عليها في دراسة دواوين الشعراء فقال « كنت أعد لكل شاعر دفترًا صغيراً وأنقطع ساعة أو ساعتين لتصفح ديوانه فأقرأ القصيدة مرة واحدة ، وأتصور عند تلاوة كل بيت من أبياتها إذا كان من الممكن أن أحتاج إلى هذا البيت أو ذلك المصراع للاستشهاد به في موضوع إنشائي أو في خطاب رقيق لأديب من أصدقائي أو في واقعة حال أو في إشارة إلى شيء مما كنت أتخيله في نفسي . فإن وجدت في البيت أو في أحد مصراعيه أو في تعبير منه ما أظنه ينفعني

قيده في دفتري . وربما مررت على القصيدة إن كانت غزلاً أو مديحاً أو رثاء فلا أقيد منها شيئاً . وربما قيدت نصفها أو ربعها أو بيتاً أو بيتين منها . وكانت تكفيني نظرة أو نظرتان أو ثلاث في الديوان . ولا أكاد أفرغ منه حتى أكون قد حفظت عن ظهر قلب ما حلا لنفسي ومالت إليه جوانحي وأتبع الديوان بالديوان حتى تجمعت لدى طائفة صالحة حفظتها واكتفيت بها .

والذين عرفوا الفقيد يعرفون أن هذا الذي اكتفى به من الشعر ليس بالشيء القليل ، فإنه كان في أحاديثه كثير الاستشهاد بالأبيات والمقطوعات في مناسباتها . وكان يقدم لأحاديثه أحياناً بالبيت والأبيات حيث تقع من موقعها وتنبئ بالحديث الذي يتلوها وأذكر أنني تيقظت ذات ليلة على دق التليفون : فإذا بصوت حافظ (بك) يناديني ،

يا نائم الليل مسروراً بأوله

إن الحوادث قد يطرقن أسماراً

وكان ذلك ليلة أن صدر الأمر بتعطيل الصحيفة التي كنا نكتب فيها ؛ فعلمت جلية الخبز من المصراع الأول قبل تمام البيت .

هذه المحفوظات الحاضرة أفادته في تصحيح عبارته يوم كانت الصحافة محشوة بالخطأ وسوء الاستعمال ، ولا تنسى أن حافظاً قد بدأ بالكتابة في أواخر القرن التاسع عشر ومضى فيها يستطلع طريقاً مجهولة في الحفايا والدروب . فإذا كان قد صار إلى قلمه بعض لوازم عصره

فالذي تحاماه أكثر من الذي سرى إليه . وقد يسرت له وفرة المحفوظات دقة في الترجمة وصحة في الأداء قل من تيسرت له في زمنه ، وتأتى له بهذه العدة النافعة أن يختار أي الطريقين شاء في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية : وهما طريق الدقة الحرفية وطريق النظر إلى روح الكلام ومواده . والمثل الذي ساقه للفرقة بين الطرفين من خير الأمثلة في بابه . قال لمن هذا النوع في الترجمة الأدبية ترجمة الأمثال والحكم شعراً كان أو نثراً ... في هذه يجمل بالترجم الحصول على ما يقارب الأصل في اللغة المترجم إليها فيأتي به منشوراً أو منظوماً أو مأثوراً . ويكون ذلك العمل بمثابة الحلية والتجمل في الترجمة ، مثال ذلك ترجمة العبارة الإنجليزية الآتية :

He who has a thousand freinds has
not one to spare, and he who has
an enemy meets him everywhere.

في بيت من الشعر العربي وهو :

وما بكثير ألف خل وصاحب
وإن عدوا واحداً لكثير

فلو ترجمت العبارة الإنجليزية مثلاً « من كان له ألف صديق لا يهون عليه التفريط في واحد منهم . ومن كان له عدو واحد يلقاه في كل طريق » لما كان خطأ بل هو غاية الصواب ، لكن إذا جئت بدل تلك العبارة الطويلة بذلك البيت من الشعر وعلى نعمته وطلاوته ، تكون قد برهنت على سلامة ذوق

ولطف اختيار وسعة اطلاع ، لأنه في مثل هذه الترجمة الأدبية لا يطلب منك التدقيق الذي يطلب في الترجمة العلمية أو المسائل السياسية والقانونية .

وعلى هذه السنة في التخير بين الطريقتين نقل الفقيـد عشرات من المصطلحات والمأثورات نقرأها اليوم كأنها بقية من القديم المعهود قبل أحقاب ، وما هي إلا جنود مجهولة في باب الترجمة والتعبير ومنها ما يعسر الرجوع به إلى صاحب الفضل فيه لأن ترجمة المقالات والأخبار والبرقيات في الصحف لا تنشر على الدوام بتوقيع المترجمين .

وأوجز ما يقال في تقدير الزميل الفقيـد

وتكريم ذكره أنه - رحمه الله - كان في طليعة الرواد المصريين لفن القصة الاجتماعية ، وكان له نصيب مشكور في القيام على عهد الحضرة بين مرحلة التقليد ومرحلة التجديد ، ومهم مذكور في التعريف بتاريخ هذه الأمة ردحا من الزمن ، ينبه القراء إلى تواريتها في جميع الأدوار ، وأنه زود العربية بذخيرة من المفردات لا غنى عنها للألسنة والأقلام ، وأن الجانب الإنساني فيه جدير بالتحية والتذكر لأنه جانب الرجل الأريحي الذي انتزع من اليتيم أبوة بارة يشمل بها كل من شاء أن ينتفع بعطفها وهدايتها . وهجـزاه كان رحمه الله ينفع بها القريب والبعيد ما استطاع .

تأبين المرحوم عبد العزيز فهمي

في صبيحة يوم الأحد ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٦ من فبراير سنة ١٩٥١ م استأثر الموت بعضو من أعضاء الجمع ، كانت حياته مثالا للخلق العظيم ، والسعي الكريم ، والنشاط الذي أغدقه على أمته في نواح كثيرة جليلة من نواحي حياتها ، ومرافق كثيرة خطيرة من مرافق نهضتها ، سبخيا في بذل الجهد حتى أخريات أيامه ، على الرغم من علو السن وإلحاح المرض : المرحوم عبد العزيز فهمي (باشا) . وقد أقام الجمع

حفلا لتأبين الفقيد الكريم في مساء يوم السبت الثامن من شهر رجب سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٤ من أبريل سنة ١٩٥١ م هـ . بدار الجمعية الجغرافية ، شهدته عدد كبير من رجال الحكومة ، والقضاء ، والمحاماة ، وأساتذة الجامعات ، والمعاهد العالية ، والأدباء ، والصحفيين ، وخطب فيه الأستاذان الدكتور طه حسين والدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري عضوا الجمع ، وفيما يلي نص الخطبتين :

كلمة الدكتور طه حسين

أستاذي الرئيس الجليل رئيس الجمع اللغوي .
أيها السادة :

ليس على طول الحياة ندم ، ومن وراء المرء ما يعلم . يهلك ولد ويخلف مولود ، وكل ذي أب يتم . سنة مضت بها الطبيعة منذ كان الناس ، حتى آمنوا بالموت كما آمنوا بالحياة ، ولكن الآمال تفر والأمانى تخدع . فالتناس يموتون في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة ، ولكن الأحياء تمتد بهم آمالهم فيردون الموت عن أنفسهم وعن يحبون حتى يصيبهم الموت في أنفسهم أو فيمن يحبون .

كان عبد العزيز فهمي مصريا ، لا كالمصريين ، يشهد بذلك الدين صصادقوه ، والذين خاصموه جميعا . والرجل عندي ليس رجلا إذا استقامت له الحياة كلها فلم يكن له فيها خصم ، إنما الرجل كل الرجل هو الذي

وكذلك كان تلاميذ عبد العزيز فهمي وأصدقائه : يظنون أنه مخلد وأنهم سيسبقونه إلى الموت : وكانت قوة روحه وقوة عقله

باستقلاله، ومطالبين بعزته وكرامته . وقد قال الناس وحفظوا ، وقال التاريخ وحفظ ، أنه كان ثالث ثلاثة ذهبوا يطالبون بالاستقلال ، وأشهد ويشهد الذين عرفوا هؤلاء الثلاثة أن عبد العزيز كان عقلهم المدبر ، وروحهم القوى . شارك صاحبيه ثم شارك إخوانه فيما كان من أعقاب هذه الحركة ، واحتمل في سبيل هذا ما احتمل ، وظن الناس أن عبد العزيز فهمي سيكون من الذين يستجيبون للأهواء ، أو يغيرون رأيهم رغبة في الشهرة وبعد الذكر وارتفاع الصوت ، أو يوثرون العافية فيلزمون أعقار دارهم ، لا يقولون ولا يقال لهم ، لا يختصمون ولا يخاصمون ، ولكن عبد العزيز كان قد اقتنع ، وكان قد آمن ، ولا أعرف أحداً كان يعرف للاقتناع والإيمان حقه من ذات نفسه كما كان عبد العزيز يعرف لهما هذا الحق ؛ فجاهد مع أصحابه ما وسعه أن يجاهد معهم ، ثم خالفهم في بعض الشيء ، فلم يضعف ولم يهن ولم يعوج ولم يلتو ولم يدهن ولم يصانع ، وإنما مضى في خلافه يؤثر ما رأى أنه الحق على كل ما يغري وما يخيف ، لم يكن يألف الإغراء ولا يحب الذين يألفونه ، ولم يكن يخاف الرهبة ولا يحب الذين يخافونها ، إنما كان يحب أن يكون الرجل مؤمناً بنفسه ومؤمناً بالحق ، مستقيماً في الإيمان بنفسه وبالحق ...

وكذلك خاصم من خاصم ، وكان في خصومته عنيفا أشد العنف ، لأنه كان في اقتناعه عنيفا أشد العنف ، فلم يكن يفرق بين

تستقيم له حياته كما يريد هو أن تكون ، وكما يريد ضميره القوى التقى أن تكون ، وكما يريد عقله الذكي أن تكون ، وكذلك كان عبد العزيز فهمي ، ذكاء لا حد له ، ليس بالبطيء ولا بالكليل ، ولكنه الذكاء الذي يفهم دقائق الأشياء كأنه يختطفها اختطافاً ، وينفذ إلى أعماقها في غير ريث ولا أناة ، كأنما خلق ليسبق إلى دواخل الأمور ودقائقها . كان يفهم في سرعة ، وقلما كان يخطئ فيما يفهم في سرعة ، ولم يكن يحتاج إلى طويل تفكير ، ولا إلى كثير من الشك ليتبين وجه الحق فيما يرى ، وليتبين وجه الحق فيما يعمل . وكان إذا اقتنع بشيء مضى به كأنه السهم الصائب لا ترده عنه قوة مهما تكن .

كان لا يلتوى ولا يحب الالتواء ، وكان لا يعوج في تفكير أو قول أو عمل ولا يحب الذين يعوجون في التفكير أو القول أو العمل .

امتاز أثناء الطلب ، وامتاز بعد التخرج في مدرسة الحقوق ، وامتاز فيما تولى من المناصب ، حتى إذا كانت الحركة الوطنية وكان عبد العزيز في ذلك الوقت علماً من أعلام الثقافة المصرية ، وعلماً من أعلام السياسة المصرية ، وبطلاً من أبطال الثبات على الرأي ، والنضال في سبيله ، واحتمال المشقة مهما تكن ، والجهد مهما يثقل ، والأذى مهما يكن مصدره . وكان أسرع الناس إلى الاستجابة لدعوة الوطن حين دعا الوطن أبناءه إلى أن ينهضوا مطالبين

رأيه وبين نفسه ، لم يكن يظن ولم يكن يقبل أن يظن الرجل أن الرأي شيء يمكن أن يتخذ اليوم وأن يعرض عنه إلى غد ، لم يكن يظن ولم يكن يقبل أن يظن أحد أن الرأي كالثوب يلبس ثم يخاع ثم يعاد لبسه مرة أخرى ، إنما كان يرى رأيه قطعة من نفسه ، فإذا سلم في رأيه فقد سلم في نفسه ، ولم يسلم في رأيه حتى أسلم نفسه إلى الموت . كان عنيفا إذا خاصم ، عنيفا إذا جادل ، عنيفا في غير شطط . يسمع لخصمه كما يمكن أن يسمع الرجل المنصف ، حتى إذا فهم عنه فأحسن الفهم ، رد عليه فأحسن الرد ، ولا يستطيع أحد أن يحوله عما اقتنع به مهما تكن قوته ومهما يكن حظه من البأس والبطش والسلطان .

وكان عنيفا في حبه ، عنيفا في بغضه ، يحب فيرى أن الذي يحبه كأنما هو قطعة من نفسه أيضا ، يفتديه بكل ما يملك من قوة وجهد ونصح وصدق وإخلاص ؛ فإذا أبغض ، فحظ الذي يبغضه منه معادل لحظ الذي يحبه .

وما أنس لا أنس تلك الأيام التي كنا نراه فيها جاداً في خصومته ، وكنا نراه فيها عابثاً في خصومته . ولعل أستاذنا لطفى السيد يذكر يوماً كان عبد العزيز فيه مريضاً أشد المرض ، وقد شدد الأطباء عليه في ألا يدخن إلا قليلاً ، وشددوا عليه التشديد كله في ألا يشير إلى سعد زغلول ، ولم يكن شيء يثير أعصابه كما كان يثيرها ذكر سعد زغلول .

في ذلك اليوم ذهب صديقه لطفى السيد ليعوده ، فبراه بمد يده إلى السجائر ليدخن ، فقال له : دع هذه السجارة ، قال عبد العزيز : خل بيني وبينها ، قال له : قدع هذه السجارة ، قال : أتريد أن أدع السجارة أو أتحدث في سعد؟ قال له لطفى : قدخن هذه السجارة وسجائر أخرى كثيرة .

كذلك كان عبد العزيز .

في ذات يوم من الأيام كنا معه في المجمع اللغوي ، ولم تكن الجلسة قد انعقدت في ذلك اليوم ، وقال هيكمل مسراً إلى : أتريد أن أثير عبد العزيز ؟ قلت نعم . فأدار الحديث حتى وصل إلى الخلاف بين عائشة رضي الله عنها وعلى رحمه الله . هنالك ثار عبد العزيز ثورة هائلة حتى كأنه البغام ؛ وقال : أترون ماذا كنت أفعل أو عاصرت عائشة ؟ قلنا : لا . قال : إذن لضربتها وألزمها دارها قهراً لتطيع قول الله عز وجل « وقرن في بيوتكن » فلما بلغنا من إثارتها ما أردنا ، مال إلى هيكمل وقال : فما ترى في أن أحوله إلى سعد زغلول ، قلت : فافعل . وحوله هيكمل . وماهى إلا أن أدار هيكمل الحديث حتى حوله إلى سعد زغلول ، فثار كما عهدناه حين كان يذكر له سعد زغلول . وكان صديقنا وزميلنا العقاد حاضراً هذا المجلس . وهو مؤلف كتاب « سعد زغلول » ؛ فسمع عن سعد زغلول ما ضاق به واضطر فيما أذكر إلى أن يترك هذا المجلس لعبد العزيز حتى لا يضطر إلى أن يرد عليه فيسوءه . كذلك

مما يتصل بهذه الأخبار ؛ حتى إذا عدنا إلى الدار قال : دع عنك الشعر الجاهلي ، ودعهم يخوضوا ويلعبوا حتى يأتي يومهم الذي يوعدون .

كان عنيفاً في خصومته وكان قويا وفي رقيقاً عذباً في حبه ووفائه ، وكان إلى هذا كله وقبل هذا كله مثقفاً كأوسع ما تكون الثقافة وأعمقها . كان الناس يرونه إمام الفقه والقانون ، ولم يكونوا يخطئون في هذا ، ولكن الناس لم يكونوا يعرفون — إلا أقلهم — أنه ليس إماماً في الفقه والقانون فحسب ، ولكنه كان إماماً في اللغة والأدب أيضاً . كان إماماً في اللغة والأدب بأدق ما في هذه الكلمة من معنى . ولم يكتسب هذا في سهولة ولا في يسر ، إنما درس في المدارس أيام كانت المدارس لاتهمل اللغة والأدب .

ونظرنا في أول هذا القرن فرأينا رجلاً يملكنا علينا أمره كله بهذه الثقافة الواسعة العميقة ، وبهذه الإحاطة الرائعة المدهشة بأسرار اللغة العربية ودقائقها ، وكاننا صديقين لا يكادان يفترقان في يوم من الأيام ، لطفي السيد ، وعبد العزيز فهمي .

لم يكتفيا بما سمعا في المدارس ولا بما اختلفا إلى الشيوخ من جلة الأئمة في الأدب واللغة ، ولكنهما جعلتا للغة والأدب وقتاً مقسوماً من حياتهما ، فكانا يقرآن وكانا يدرسان وكانا يحفظان . وكان الذي يدهشنا

كانت خصومة عبد العزيز ، وكذلك كان عنفه في خصومته حين يؤمن بأن رأيه هو الحق ، وليس معنى هذا أن رأيه كان حقاً من غير شك ، ولا ينبغي أن يطلب إلى إنسان أن يكون رأيه حقاً من غير شك ، إنما الذي يطلب من الإنسان أن يرى الحق إذا ظن أنه الحق ، فيثبت عنده ويستمسك به مهما تكن الظروف .

كان عنيفاً إذا خاصم ، وكان رقيقاً حلواً إذا أحب ، وكان وفياً كأحلى وأعذب وأقوى ما يكون الوفاء ، أقول ذلك عن علم مني به ، لا عن حديث نقل إلى :

أذكر ولن أنسى يوم ثارت نائرة الشعر الجاهلي وفسد الأمر بيني وبين الحكومة ، وفسد الأمر بيني وبين الكثرة من المثقفين ، ونظرت فإذا أنا وحيد لا يكاد يلقي إلا الأصدقاء الأصفياء .

في هذه المدة كان رجل واحد لا ثاني له يلم بداري مرات في كل أسبوع حين يرتفع الضحى ، وأحسب سعيه إلى داري كان أول سعي له في يومه ذاك . كان يلم بداري فيتحدث إليّ ، ثم يطيل الحديث ، ثم يقول : فما رأيك في أن نخرج من هذه الدار فندثم الهواء . فإذا أظهرت تردداً قال : فإني قد استأجرت سيارة ، وهي تنتظرنا . ثم يخرج وأخرج معه وليس معنا إلا سكرتيرى الخاص ؛ فنطوف في الأرض ما شاء الله أن نطوف ، ونتحدث ما شاء الله أن نتحدث ، لا نذكر الشعر الجاهلي ولا أخباره ولا شيئاً

ويرؤنا ويرؤنا أيضا أن هذين المطربين يقرآن القرآن ويتفهمان معانيه كأحسن ما يقرؤه الناس، وكأحسن ما يتفهمونه .

وما أنس لا أنس ذات مساء ذهبت زائراً لعبد العزيز فهمي ، فرأيت حوله جماعة من شباب أسرته وشيوخهم وهو يقرأ عليهم سورة « الطور » ويبين لهم أن في القرآن روعة لم يستطع الناس أن يستقصوها إلى الآن ، ويبين لهم سرعة الحركة في هذه السورة ، ويقرأها عليهم بهذه السرعة ليبين لهم القوة وأن في القرآن موسيقا لم يتنبه إلى دقائقها المفسرون والأدباء .

ولم يكن يقرأ القرآن وحده ، ولكنه كان يتعمق في الأدب والأدب القديم خاصة ، وما أعرف أن أحدا ناقشني في الشعر الجاهلي كما ناقشني فيه عبد العزيز ، وما أعرف أن أحدا أصلح من رأيي في الشعر العربي كما أصلح من رأيي عبد العزيز . والغريب أنه كان في أثناء هذا كله محامياً ممتازاً ثم زعيماً للقضاة في الاستئناف والنقض .

وأذكر - بعد أن ترك المحاماة وترك القضاء ولزم داره ولم يخرج منها إلا ليختلف إلى مجتمعنا - أذكر أنني أهديت إليه كتاباً من كتبي في «جنة الشوك» . وبعد أيام تحدث إلى بالتليفون وقال : إني قد قرأت كتابك ولا بد من أن ألقاك . فسعيت إليه وكانت الساعة لم تبلغ العاشرة بعد من الصباح ، فلم يخل بيني وبين الطريق إلا حين تقدم النهار وتجاوزت الساعة

الثانية ، وكان في أثناء هذا الوقت كله يقرأ على ملاحظاته على الكتاب ، فإذا هو قد قرأ الكتاب من الحرف الأول إلى الحرف الأخير ، وإذا هو قد قيد ملاحظات بعضها تفسير للغامض من كتابي ، وفي بعضها وضع للكلمة مكان أخرى ، وبعضها نقد لبعض ألفاظه وعباراته ، وحذف لفقرة إثارة للإيجاز ، وإطالة في بعض الأحيان لأن الإطناب هنا أثر من الإيجاز ، حتى إذا هممت أن أتركه قال : ما رأيك في أن تأخذ نسختي هذه بما أعلمت عليها بخطي على أن تعدني إذا أعدت الطبعة الثانية أن تلاحظ ما ترى ملاحظته من هذه العلامات . فوعدته ، وأنا أحفظ بنسخته تلك وأؤكد لكم أنني رجعت إليها أمس فلم أستطع أن أتركها حتى استقضيت ملاحظاته كلها .

كذلك كان عبد العزيز مثقفاً في اللغة والدين عميق الثقافة مؤمناً بها أشد الإيمان مترف الذوق فيها إلى أقصى حدود الترف .

ثم أقبل ذات يوم على المجمع اللغوي يطالبنا أن نغير رسم الحروف وأن نترك هذا الرسم المألوف إلى رسم آخر عرضه علينا ، وناقشناه في ذلك أشد المناقشة وجادلناه فيه أعظم الجدل وأوحى إليه أو همس في أذنه بعضنا أن اقترحه هذا قد يغضب بعض السلطات ، وإذا هو يتفرض كأنه النمر ويثب ويقول : « قل لهذه السلطات إن عبد العزيز فهمي أمة وحده وإن القوة التي تحولته عن رأيه لم توجد بعد » . وأشهد أنه لم يقل إلا حقاً ، المصريون جميعاً

يعرفون أنه شارك في وضع الدستور ويعرفون أنه اختص من هذا العمل بالنصيب الأوفر ، ويعرفون أنه بعد أن وضع الدستور ، وكانت الكثرة من المصريين تنكر الدستور وتعييه ، وكانت القلة من المصريين تحب هذا الدستور وتتعجله ، ولكنها تنتظر أن يؤذن له بالصدور كان الذي سبق إلى تعجله وجاهد في ذلك جهاداً محموداً ، واضطر الحكومة في ذلك الوقت إلى أن تستصدر هذا الدستور الذي نحرص عليه جميعاً أشد الحرص ونفتديه بأنفسنا وأرواحنا ، كان الذي أكره الحكومة على أن تستعجل صدور الدستور هو عبد العزيز فهمي . وكان على جده هذا المرحلو الدعاية .

أذكر أنه بعد أن ثبت لرأيه في قصة صديقنا وزميلنا علي عبد الرازق وأقيل من منصبه واستقال معه بعض زملائه من الأحرار الدستوريين ، أذكر أن زميله وصديقه توفيق دوس أراد أن يتزكح حزب الأحرار الدستوريين فكتب إليه عبد العزيز :

إن كنت أزمعت على هجرنا
من غير ماذنب فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غـيـرنا
فحسبنا الله ونعم الوكيل

والحديث عن عبد العزيز لا ينقضي في ساعة ولا في بعض ساعة ، لأن عبد العزيز إنما هو شطر خطير جداً من حياتنا المصرية المعاصرة ، فالذين يستطيعون أن يقصوا هدم الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية هم الذين يستطيعون أن يصوروا حياة عبد العزيز .

لا سبيل إلى أن يستقصى الحديث عن عبد العزيز في هذه الجلسة أو في جلسات أخرى ، وإنما نقف هذا الموقف لنصور لأنفسنا شيئاً مما فقدناه ، وإن ماقدنا لعظيم .

نقف هذا الموقف لنقول لأنفسنا إننا يوم شيعنا عبد العزيز إلى مقره الأخير إنما شيعنا الجزء الخير الممتاز من حياتنا ، فقد ذهب عبد العزيز بخير ما كان في حياتنا من نشاط وجهاد ورضى عن أنفسنا وأمل في مستقبل مصر .

مضى ، ومضى معه هذا كله ! وبقينا في هذه الأيام نفكر في الأجيال المقبلة وننظر إلى الجيل الماضي الذي ذهب مع عبد العزيز ، ننظر إلى هذا الجيل فنرى فيه أنفسنا وننظر إلى الجيل المقبل فنود أن يرى الناس فيه أنفسنا يوماً من الأيام .

وإذا أتبع هذا ، فليس من شك في أن من الشخصيات الأولى التي سترها الأجيال المقبلة في حياة مصر أثناء نصف القرن هذا ، إنما هي شخصية عبد العزيز .

لمن يمكن أن يساق العزاء ؟ لمصر كلها ! فقد كان عبد العزيز نوراً لمصر ونوراً للمصريين ثم لأسرته ! فقد كان عبد العزيز لهذه الأسرة نعم السند ونعم القدوة ، ثم لأصدقائه ! وما أرى أن أصدقائه يستطيعون مهما يفعلوا أن يجدوا عنه عزاء !

وأستأذنكم أيها السادة في أن أسوق عزاء خاصاً يصور قلبي كله ، وحيي كله ، ووفائي كله ، لصديق عبد العزيز البار ، وأستاذي الكريم علي وعليكم ، أحمد لطفى السيد .

كلمة الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري

سادتي :

إن الرجل الذي نؤيِّنه اليوم كان يمثل جيلاً كاملاً ، بما ينطوي عليه هذا الجيل من علم ووطنية وأدب وثقافة وتفكير .

رأيت أول مارأيت وأنا طالب بمدرسة الحقوق . سمعته إذ ذاك يتكلم في الجمعية التشريعية ، وقد احتشد لرويته جمع غفير من طلبة الحقوق والمدارس العليا في ذلك العهد ثم شاء القدر أن يلقى العالم في أتون من نار الحرب الكبرى . وخرجت مصر من هذه الحرب دامية الجراح ، مصهورة الوطنية . فسمعت - أنا وشباب ذلك العهد - صوت الفقيد يجلجل بين الأصوات التي ارتفعت إذ ذاك ، تنادي بحق مصر في أن تعيش أمة حرة مستقلة . ثم ترك الفقيد الحياة السياسية إلى حياة القضاء ، فعرفته رئيساً لمحكمة النقض . وتوثقت علاقتي به بعد أن ترك القضاء ، وانصرف إلى حياة الفكر واللغة والأدب . وكنت أجالسه في السنين الأخيرة من حياته ، وأسمعه يروي حديث الثورة المصرية ، ويتحدث عن القضاء ثم يتسع أفق الحديث ، فينتقل من السياسة والقانون إلى العلم والثقافة والاجتماع ، فأدرك وأنا أجلس إليه أنني أمام رجل قد تعددت جوانب شخصيته .

وحدة في شخصه . وهذه الوحدة تتمثل في شخصية قوية عنيفة . إذا هي أحست قوتها امتلأت إباءً وأزمة ، وإذا هي واجهت الأحداث التهمت عنفاً وثورة . وكان في الفقيد كبرياء وتواضع ، كلاهما يصدر عن أصل واحد ، هو هذه الشخصية القوية العنيفة ، ترفع رأسها تيمناً على الأقوياء ، وتخضع جناحها رحمة بالضعفاء . ولعل الفقيد يطالعك بشخصيته القوية ، وهو في تواضعه أكثر مما يطالعك بها وهو في كبريائه . هذه الشخصية القوية العنيفة هي التي جعلت منه رجل كفاح ونضال طوال حياته . وهي التي سيطرت على حياته القانونية والسياسية والفكرية جميعاً . وهي التي جعلته أياً كان يوجد يشعر الناس بوجوده . وهي السر كل السر في عظمته .

كان الفقيد رجلاً قوياً عنيفاً مكافحاً في حياته القانونية ، وفي حياته السياسية ، وفي حياته الأدبية والفكرية .

فهو قوى عنيف مكافح ، وفي حياته القانونية يوم مرق القديم البالي من التقاليد القانونية ، العتيقة ، ويوم حارب الامتيازات الأجنبية ويوم ثار على النظام المختلط ، ويوم غضب لكرامة القضاء .

وهو قوى عنيف مكافح ، في حياته السياسية ، وهو يقف مواقف المشهود في الجمعية التشريعية ، ثم وهو يذهب ثالث ثلاثة ، إذ هم أمام المعتمد البريطاني يطالبون

كان الفقيد رجل قانون ، ورجل سياسة ، ورجل أدب وثقافة وتفكير . ولكن هذه الجوانب المتعددة كانت تصدر جميعها عن

عربي رصين عريق في عريته ، يصعد إلى
الأصول الأولى من العربية ، ويخلق في سماء
الأدب كما هو مسطور في كتبه الأصيلة .
وبقيت ملكة الشعر تختلج في نفسه
فيقرضه حتى في أواخر أيامه .

وإذا كان المجمع قد وكل إلى أن أتحدث
إليكم في جانب واحد من الجوانب المتعددة
لحياة الفقيه ، وهو الجانب القانوني ، فإن
هذا الجانب وحده وهو حافل بالمفاخر ، لا
أستطيع في هذا الوقت القصير أن أفيه حقه من
التنويه والإشادة . لذلك كان لزاماً عليّ أن
أعرض عرضاً سريعاً لحياة الفقيه القانونية ،
مقتصرأ على أن أرسم منها خطوطها الرئيسية .

* * *

برز الفقيه في المحاماة ثم في القضاء . فكان
في المحاماة من أبرز المحامين شأناً ، وأعلامهم
كجهاً ، وأضخمهم اسماً ، وأبعدهم صيتاً
وشهرة . وكان نقيباً للمحامين مدة طويلة .
فساهم إلى أبعد مدى في نهضة المحاماة ، وحمل
أعباء هذه المهنة الشاقة فوق كتفيه القويتين .
وكانت المحاماة إذ ذاك في فجر نهضتها ، فسار
بها شوطاً بعيداً في طريق التقدم ، ورفع مكانتها
وجعل لها صوتاً مسموعاً . وبقي حتى بعد أن
ترك هذه المهنة الكريمة يجلبها ويحن إليها . فتراه
بعد أن تولى القضاء وفي أول جلسة له في
محكمة النقض يقول مقارناً بين المحامي والقاضي
« ولئن كان على القضاء مشقة في البحث
للمقارنة والمفاضلة والترجيح ، فإن على
المحامين مشقة كبرى في البحث للإبداع والإبداء

باستقلال مصر ، ثم وهو يثور مع سعد ،
ثم وهو يثور على سعد ، ثم وهو يثور على
نصوص سعد ، ثم وهو يثور على السياسة كلها
ويعلن في جدد وصرامة أنه يكفر بأهله التاريخ .

وهو قوى عنيف مكافح ، في حياته الأدبية
والفكرية يوم نادى أن تكون الكتابة بالحروف
اللاتينية ، ويوم ثار على مبدأ تعدد الزوجات ،
ويوم نفر ممن قال إن القانون الروماني مأخوذ
من الفقه الإسلامي ، فعكف في آخر حياته على
الكتابة في القانون الروماني ، وهو أجف مادة
في القانون .

في كل هذه المواقف كان إحسانه مرهفاً
وعاطفته مشبوبة ، يفكر بعقله وبقلبه . ولعل
أبرز ما يميز الفقيه في حياته الصاخبة المضطربة
بالأحداث ، هو أنه كان يفكر بعقله وبقلبه .
بل لعله كان يخضع عقله لقلبه . وهذا ما جعله
قريباً إلى كل نفس . فإن أرسقراطية العقل
تبعد ذا العقل الكبير عن الناس ، أما أرسقراطية
القلب فتدنيه منهم .

والفقيه الراحل كان من رجال السياسة
القليبين الذين برزوا في الحياة العقلية . ولا يمثله
في ذلك إلا خديته وصفيه ، معلم هذا الجيل ،
أستاذنا الكبير أحمد لطفى السيد (باشا) ، أطال الله
في حياته الغالية . ورجال السياسة عندنا قل أن
تعنيهم الحياة العقلية ، أما الفقيه فكان بروزه
في هذه الحياة ليس في ناحية التمانون فحسب
بل كان إلى جانب ذلك لغوياً أدبياً ، بل هو
أديب من ذلك الطراز الحر القديم ، له أساليب

والتأسيس... إن عناء المحامي - ولا يثبتك مثل خير - أشد في أحوال كثيرة من عناء القاضي لأن المبدع غير المرجح». ثم يقول في الاحتفال بالعيد الخمسيني للقضاء الوطني بعد أن عد الأقداد من رجال المحاماة الأقدمين: «إن المحاماة بفضل أولئك الأقداد وأمثالهم قد سائرت القضاء، ودرجت مدارجه في الرقي. وفيها الآن عديد من المدارح المقابيل الذين هم ذخرفخر للبلاد، وإن القضاء كثيراً ما لجأ إلى ناديتهم لسلما بصفوقه من الفراغ. ولولا ما نهى عنه من تزكية المرء نفسه لاعتززت في موقعي هذا، بأبي ابن المحاماة وريب بيتها». ثم ترك الفقيد المحاماة إلى السياسة، وترك السياسة إلى القضاء. وهنا تبدأ حياته الجديدة أو الشطر الثاني من حياته. إذ جلس على الكرسي الأعلى للقضاء. وكان هذا الكرسي في أول الأمر رئاسة محكمة الاستئناف العليا في مصر، ثم أصبح رئاسة محكمة النقض بعد إنشاء هذه المحكمة. فكان بحق هو المؤسس للنهضة القضائية الحديثة في مصر.

وكان قبل ذلك، وبعد ذلك، وفيما بين ذلك، لا يفوته أمر من الأمور الهامة في الحياة القانونية العامة إلا وساهم فيه. ساهم في الحملة على الامتيازات الأجنبية، وساهم في إصلاح النظام القضائي والتعجيل بإنهاء القضاء المختلط، وساهم في وضع الدستور، وساهم في القانون المدني الجديد. وأقول كلمة موجزة عن هذه النواحي من نشاطه قبل أن أنتقل إلى نشاطه الرئيسي في القضاء.

جاهد الفقيد في سبيل إلغاء الامتيازات الأجنبية جهاداً مشكوراً. ومن كان مثله مزهف الحس، قوى العاطفة، عنيف النضال

شديد الإيمان بكرامة بلاده وبحقها الطبيعي في أن تتخلص من هذه الامتيازات البالية العتيقة، لا عجب أن يحمل لواء المعارضة لهذه الامتيازات، وأن يقود الحملة عليها في وقت كانت الحركة الوطنية الحديثة لاتزال في دور الإربااص. قام المستر «برونيات» - المستشار القضائي في عهد الحماية - بوضع مشروعاته المعروفة التي أراد بها أن يحل محل الدول الأجنبية جميعاً في امتيازاتها دولة أجنبية واحدة تجمع في يديها كل هذه الامتيازات، هي الدولة البريطانية، التي بسطت حمايتها السياسية على البلاد، وتريد عن طريق هذه المشروعات أن تبسط حمايتها القضائية. وكان من حسن طالع مصر أن الفقيد يوم ذاك كان على رأس المحاماة الوطنية، نقياً للمحامين. فاستطاع وهو يرفع صوته مدوياً يهتك شر هذا الضرب الجديد من الحماية أن يجعل هذا الصوت هو صوت المحاماة بأسرها، بل صوت جميع رجال القانون من المصريين، بل صوت الأمة المصرية جمعاء. واهتز «برونيات» أمام هذا الصوت القوي، وأيقن أن مصر قد رزقت رجلاً يناضل عن حقوقها، وأن صرخة هذا الرجل قد مست الأوتار من القلوب، وتغلغلت في الصميم من النفوس. فنكص على عقبيه، وطوى مشروعاته إلى غير نشر، ووقى الله مصر الأذى على يد هذا الرجل العظيم. ومن يقرأ كتاب الفقيد الذي نشر في ذلك الوقت عن الامتيازات الأجنبية يطالع فيه هذه الشخصية القوية، ويلمح وجه هذا الرجل الذي يؤمن بكرامة بلاده لأنه يؤمن بكرامة نفسه.

وكانت هذه هي الضربة الأولى التي هز بها صرح الامتيازات الأجنبية العتيد . أما الضربة الثانية فيوم وقف أمام ملك ، وفي حفل حاشد يحتفل بانقضاء خمسين عاماً على إنشاء المحاكم الوطنية . وقف يمثل القضاء الوطني ، وقد سلخ هذا القضاء من عمره نصف قرن ، فاستكمل أسباب الوعي والنضج ، واستوى على أسس قوية راسخة . وكان الفقيد في قوة بيانه خير من يمثل هذا القضاء السامي ؛ فتناول في كلمات مأثورة خالدة القضاء المختلط الذي كان يعيش إلى جنب القضاء الوطني ، والذي كان الرمز الحي للامتيازات الأجنبية البغيضة ، وصرخ صرخته التي لا يزال دويها يرن في الآذان حتى اليوم ، ونادى بوجوب إلغاء هذا القضاء المصري في شكله ، الأجنبي في معناه . لقد وقف الفقيد بالأمس وقفته الأولى يسمع صوت الحماسة الوطنية . وهاهو الآن يقف وقفته الثانية يسمع صوت القضاء الوطني . ويقول في هذا الحفل الحاشد ، مخاطباً هذا الملك ، ومصر ترهف سمعها منصة واعية : « لقد آن لنا اليوم أن نطمع منكم أن تجهروا بكلماتكم مسمة معلنة ... أن مصر أصبحت مستحقة للتمتع بما تتمتع به كل أمة ، من الاستقلال بإدارة العدل في ديارها بين قطانها أجمعين » .

وإذ تسير مصر في موكب الدول الحرة ، وتباهي بدستورها الديمقراطي ، ينبغي أن ننحني الرؤوس لإجلالا لذكرى الفقيد العظيم . فقد كان من أبرز الرجال الذين وضعوا الدستور : ترى ذلك فيما تقدم وضع الدستور

من بحوث ومناقشات ، وتقرؤه في محاضر لجنة الثلاثين الأصلية ، ولجنة الثمانية عشر الفرعية . وهو قبل هذا قد وضع أول مشروع للدستور ، يوم كان في باريس على باب مؤتمر الصلح في صحبة الوفد المصري . ونحن مدينون للفقيد العظيم بكثير مما حواه دستورنا من المبادئ الديمقراطية السامية ؛ فقد كان في كلتا اللجنتين من أكبر المدافعين عن الحريات العامة وعن سلطان الأمة : دافع عن حرية الرأي ، وعن حرية الصحافة ، وعن حرية الاجتماع ، وعن حرية التعليم ، وعن جعل الأمة وحدها مصدراً لجميع السلطات ، واستخلص النتائج التي تترتب على هذا المبدأ الديمقراطي بالتحليل . كان للأمة من ذلك « نظام دستوري كأحدث الأنظمة الدستورية في العالم وأرقاها ، تعيش في ظله عيشاً سعيداً مرضياً ، وتتمكن به من السير في طريق الحياة الحرة المطلقة » . وإذا كان الدستور قد بدأ ثوباً فضفاضاً ، فإنه مالبث أن استوى هندامه واعتدلت قسماته ، وتآلف مع الجسم الذي يكسوه . وقد بقي الفقيد من ورائه يدفع عنه الأذى ويذود عنه العدوان ، ويدعوه بدستور الأمة ، حتى لقب بحق « أبا الدستور » .

وفاضت جهود الفقيد ، فانتفع به التشريع المدني . فهو قد قرأ القانون المدني الجديد نصاً نصاً ، وراجع كلمة كلمة ، فصقل من عباراته ، وأضفى عليه من علمه وتجاربه .

وكانت له قدرة عجيبة في الترجمة إلى اللغة

العربية ، فقد عمد إلى كتاب في القانون لا تسعف فيه مادة سهلة ، ولا تشفع له لغة معبدة ، هو مدونة جوستينيان في القانون الروماني ، فنقله إلى اللغة العربية في عبارة دقيقة رصينة ، لا تكاد تشعر بالتكلف المألوف في لغة الترجمة . وفعل مثل ذلك في ترجمة ميثاق هيئة الأمم المتحدة . وتدركون جميعاً فضله العميم على مصطلحات القانون في مجمعنا الموقر .

وأننتقل الآن إلى النشاط الرئيسي للفقيه ، وهو نشاطه في القضاء . قلت إن الفقيه الراحل يعتبر بحق هو المؤسس للنهضة القضائية الحديثة في مصر . فقد خطا القضاء الوطني منذ إنشائه في سنة ١٨٨٣ خطوات سريعة ننظمها في مراحل ثلاث :

كانت المرحلة الأولى هي مرحلة الإنشاء والتأسيس . وكان القضاء الوطني فيها مبتدئاً ناشئاً ، يتحسس طريقه ، ولا يكاد يستطيع التعبير عن نفسه . وكانت صناعة القضاء وهي كسائر الصناعات تقوم على الفن والأسلوب والمران ، تتعثر في أيدي المبتدئين من رجال القضاء الوطني . وكانت لغة القضاء لغة رثة ركيكة ، وتقاليده الصناعة لا تزال في أول طريقها لم تستقر ولم تبلور . ولولا أن دخل القضاء الوطني في هذه المرحلة الأولى رجال تخرجوا في الأزهر وفي دار العلوم ، من أمثال : محمد عبده ، وحفني ناصف ، ومحمد صالح ، لما استطاع القضاء الوطني أن يقف

على قدميه ، ولكان قزماً إلى جنب زميل له عملاق ، هو القضاء المختلط . ذلك أن هذه النخبة المختارة من علماء الأزهر ودار العلوم إذا كانوا لم يعدوا إعداداً خاصاً لأعمال القضاء على النمط الغربي ، فقد كانوا دون ريب رجالاً أفذاذاً ينطوون على فطرة سليمة ، وحس صادق ، وخبرة تامة بالوسط الذي يقومون بأمور القضاء فيه . وكانوا فوق ذلك مثقفين ثقافة إسلامية عميقة ، وهي على كل حال خير من ثقافة غربية سطحية .

وسار القضاء الوطني سيرته حتى دخل في المرحلة الثانية من مراحل تطوره ؛ فقد انقرض الجيل الأول ، وأخذ مكانه جيل جديد أعد إعداداً خاصاً للقضاء الحديث . فدرس القانون المصري على أيدي أساتذة من الأجانب في مصر وفي فرنسا . وتولى هذا الجيل القضاء فخطا به خطوات واسعة إلى الأمام ، في صناعته وفي أسلوبه وفي لغته . وتعد هذه المرحلة مرحلة استعداد وتوثب . ففيها بدأ القضاء الوطني يقتني أثر زميله القضاء المختلط ويجهد في أن يسايره . وفيها أخذت تقاليد القضاء الوطني تبرز معالمها وتتثبت ، والمبادئ القضائية تتمحص وتتقرر ، وأسلوب القضاء يرتفع ويسمو . وبحسبي أن أذكر من أعلام القضاء في هذا العهد رجالاً كأمين فكري ، وإسماعيل صبري وسعد زغلول ، وفتحى زغلول ، وحسين رشدي ، وعبد الخالق ثروت ، ومحمد نسيم ، ومحمد أبو السعود ، ويحيى إبراهيم ، وأحمد طلعت ، ومحمد مجدى ، ومحمد توفيق رفعت .

أما في الصناعة ، فيكفي أن أشير إلى بعض من المبادئ القانونية الخطيرة التي قررتها المحكمة في عهده ، وكان هو فيها الملهم الأول . فقد عرفنا الفقيه ببعض الامتيازات الأجنبية وما تفرع عنها من نظام قضائي معقد . وله في ذلك مواقف مشهودة ، عددنا بعضاً منها . وهو الآن في محكمة النقض يواجه ذبلاً من ذبول هذه الامتيازات ، يتمثل في نظرية صاغت المحكمة المختلطة ، وأسماها بنظرية الصالح المختلط . زعمت فيها هذه المحاكم أنها هي الجهة القضائية صاحبة الولاية العامة على المصريين والأجانب جميعاً ، فدت اختصاصها بالكل قضية تنطوي على أية مصلحة لأجنبي ولو كانت مصلحة بعيدة ، ولو كان أطراف الخصومة جميعهم من المصريين . فلا يرضى الفقيه بهذا الشطط ، ويرد الأمر إلى أصله ، في حكم مشهور تقول فيه محكمة النقض : « ومن حيث إن ما ينتحل للمحاكم المختلطة في سبيل تأييد اختصاصها بقضايا لا ولاية لها فيها بل هي داخلية في اختصاص المحاكم الأهلية ، ما ينتحل للمحاكم المختلطة من الزعم بأنها هي الجهة القضائية المعتادة صاحبة الولاية العامة في المنازعات المدنية بين الأجانب والمصريين ، لا ينبغي التعويل عليه ، لأن توزيع الوظائف القضائية بين المحاكم الأهلية والمحاكم المختلطة يتعلق بالنظام العام ، فليس يصح أن تمد إحداهما ولايتها على ما لا تكون هي مختصة به ... ولأن المحاكم الأهلية - من جهة أخرى - ليست فرعاً للمحاكم المختلطة ولا جهة قضاء استثنائية بالنسبة لها ، بل هي مستقلة عنها . بل واقع الأمر أن المحاكم الأهلية هي المحاكم الأصلية

وخطا القضاء الوطني إلى مرحلته الثالثة ، وهي مرحلة النهضة . وبعد أن أسلم زمامه للفقيه الكبير ، فتولاه بيد قديرة قوية ، وعقد له لواء الزعامة في هذه النهضة الحديثة . وأبنت النهضة وأزهرت وددت قطوفها بعد إنشاء محكمة النقض . وإذا ذكر اسم محكمة النقض فإن اسم الفقيه يذكر مقروناً به ، ولا أعرف اسمين أشد تلازماً من هذين الاسمين . فمحكمة النقض هي ثمرة غرس الفقيه وبنته البكر ، التي جنت عليها ضلوعه ، وسهرت لها عيناه ، وتولاه من صباغة نفسه وحرى عمله ما جعلها تنمو وترعرع ويصلب عودها ، فتستوى ركناً باذخاً يرتكز عليه القضاء الوطني ، وتعلو صرحاً شامخاً يطاول ما يجاوره من صروح أخرى شامخة أقامها القضاء المختلط ، بل ويزها قوة وعلواً . لقد ولدت هذه المحكمة في حجره ، وترعرعت بين أحضانها ، واهتزت وربت في بستانه ، وبسقت أغصانها بأعينه وفي ظله . ولم يتركها إلا كارهاً والأبى يملأ قلبه . كنت أُلحِث إليه يوماً عن فضله على هذه المحكمة ، فكان يستمع إلى في كثير من التواضع . ثم قال والشجن يغالب صوته : ماذا كان عليهم لو أنهم تركوني أكمل ما بدأت . لقد كان الفقيه متواضعاً حقاً عندما قال ذلك . فهو لم يترك محكمة النقض غريرة حدثت ، بل تركها وهي في أوج قوتها وفي عنفوان صباها . وبحسبي أن أورد من قضائه وهو يرأس هذه المحكمة بعضاً من الأمثلة ، بالقدر الذي يتسع له المقام ، لتبينوا كيف ارتقى الفقيه بالقضاء في عصر نهضته : صناعة وأسلوباً ولغة .

العامة في البلاد ، والمحاكم المختلطة هي محاكم استثنائية مؤقتة ... أما ما قد يعترض به من أن مثل موضوع هذه الدعوى قد يرفع إلى المحاكم المختلطة ، فنصدر فيه حكماً يناقض حكم المحاكم الأهلية ، وقد يكون حكم المحكمة المختلطة هو الذي ينفذ ، فإن هذا الاعتراض لا يوجه على عمل القضاء الأهلي ، ولا على أنه هو في الواقع المختص قانوناً ، ولا على وجوب تمسكه باختصاصه . وإنما ينبغي توجيهه على حالة النظم القضائية في البلاد ، وعلى سكوت أولى الأمر عن اتخاذ ما يلزم لتوحيد القضاء لإزالة ما يترتب على مثل هذه النتائج السيئة .

هذه الصيحة التي سمعناها في هذا الحكم ، في وجه نظام قضائي معقد ، سيئته الامتيازات الأجنبية ، نسمعها تتردد في أحكام أخرى ، وفي وجه نظام آخر معقد لقضاء الأحوال الشخصية ، سيئته الامتيازات الدينية والطائفية حيث تنتقل القضية بين المجالس المليية والمحاكم الشرعية والمحاكم الوطنية ، وهما محكمة النقض برياسة الفقيه تقول مرة أخرى ، وفي حكم آخر : « هذا ، ومن يتبع أدوار هذه الدعوى ويرى أنها طافت بمجلسي الطائفة القبطية : الابتدائي والاستئناف ، ثم بالمحكمة الأهلية الابتدائية ، وبالاستئناف ، ثم بمحكمة النقض ، ثم ها إنها ستطوف بالمحكمة الشرعية لتعود من بعد للمحكمة الأهلية .

من يتبع هذه الأدوار ، ويكن مشفقاً على مصالح الأهليين ، لا يلبث أن يتوجه لذوى الأمر في البلاد ييئسهم أن قد آن الأوان من زمن طويل

لتوحيد جهات التقاضي ، بحيث ينظر القضاء بعينه في الأحوال الشخصية لكافة المصريين من مسلمين وغير مسلمين ، كما ينظر في الأحوال العينية ، وأن كل تراخ في تحقيق هذه الأمنية ضار أعظم الضرر بالمتقاضين ، بل وبمصالح البلاد .

ألا ترى الملامح ذاتها تظاللك في الحكيم وهي ملامح رجل قوى عنيف يثور على العتيق البالي من النظم القضائية ، فيخرج عن ترمت القضاء ، وعن أسلوبه الموضوعي الجاف ، ولا يقتصر على معالجة الوقائع التي يواجهها بالذات ، بل يستطرد من قضية خاصة يفصل فيها إلى قضية عامة يهيب في شأنها بأولى الأمر أن يقوموا يواجههم ، وأن يعملوا على إصلاح نظام قضائي معيب . كل هذا في أسلوب ينبض قوة ، ويتدفق حيوية : هذا هو الفقيه بعينه في ذاتية أسلوبه ، وفي تحمس استطراده ، وفي سرعة لفتاته ، وفي غيرته على المصلحة العامة ، وفي حرصه على أن يكون القضاء موجهاً للحكم ، حائثاً على الإصلاح . وإذا كان الفقيه ، رضوان الله عليه ، قد قرت عينه قبل أن يختاره الله لجواره بزوال غمة الامتيازات الأجنبية ، فإنه الآن في قبره يرقب زوال الغمة الأخرى ، غمة الامتيازات الدينية والطائفية ، فيتوحد القضاء في مصر ، وتهادئ نفس الفقيه وهو ثاو في جنة النعيم .

وإذا تركنا القضايا العامة ، وأردنا الغوص في دقائق المبادئ القضائية التي قررتها محكمة النقض في عهد الفقيه ، واقتصرنا منها على

أيها الإخوان والزملاء :

إذا كان الفقيه قد أدى للقضاء كل هذه الخدمات الجليلة ، فإنه قد أدى له فوق ذلك خدمة أجل وأضخم ، خدمة تعلو على كل هذه الخدمات ، هي المحافظة على كرامة القضاء . لقد خلع الفقيه على كرسي القضاء إباءه وأنفته ؛ حتى إذا شعر بهذا الكرسي يهتز وهو جالس فوقه ، وضع منصبه العالي في كفة ، وكرامة القضاء في كفة أخرى . وخرج القضاء من هذه المعركة التي سجلها التاريخ في أنصع صفحاته ، رافع الرأس موفور الكرامة . وهكذا كسب الفقيه معركة القضاء ، وكتب الله لهذه القيادة القوية الحكيمة النصر والظفر ، وسنها أمام القضاة سنة : ألا يبطأ طي القاضي رأسه ، وألا يبقى ثغرة ينفذ منها إلى استقلاله بغى أو طغيان .

أيها الإخوان والزملاء :

إن الموت يضفي قدسيته على من يموت . وفقيدنا قد أضفى عليه الموت قدسيته . ولكن حياته التي كانت زاخرة بالأحداث ، حافلة بالأعجاز ، قد أضفت عليه قدسية وجلالا حتى قبل أن يموت . فكانت حياته تعلم أبناء هذا الجيل كيف تكون القوة في الحق ، وكيف يكون العنف في التمسك بالمبدأ القويم ، وكيف يكون الكفاح والنضال من أجل الكرامة والعدل .

كان يؤمن بالله إيمانا عميقا ، ولكنه كان يؤمن بقلبه وب عقله . وهذا هو إيمان الرجل المفكر القوي : يتحدى به إيمان الرجل المستسلم العاجز .

المبادئ التي قررتها في القضاء المدني ، وعلى بغض يسير منها ما كانت فيه مبتدعة ، لتعلقه بأقضية مصرية محضة لا هادي لها فيه من القضاء الفرنسي ، ذكرنا ما قرره هذه المحكمة في شأن وصية غير المسلم ، وفي تغيير الدين وأثره في اختصاص المحكمة ، وفي تقدير أجره الحكر ، وفي تبادل التملك بعد الموت وقد شبهته المحكمة بالرقبي ، وفي اختصاص المحاكم الشرعية بنظر دعاوى الوقف في مرض الموت ، وفي الشخصية المعنوية للوقف .

ولا أحب أن أثقل عليكم بالخوض في مثل هذه المبادئ الفنية . ويكفيني هنا أن أقول إن محكمة النقض كانت في هذا كله جريئة مبتدعة تعمل بإلهام الفقيه ، وتسترشد بوحيه .

وأما من حيث الأسلوب واللغة ، فإن محكمة النقض قامت بجهود موفقة كل التوفيق في هذا الميدان . وقد سميت لغة القضاء وأسلوبه في عهد الفقيه إلى مدى لا يدانيه فيه أي عهد آخر . ويكفي أن نضع إلى جانب الأسلوب الغث المهلهل - الذي ألفه القضاء في عهده الأول - هذا الأسلوب الجزل المحكم ، الذي عودتنا إياه محكمة النقض ، لنقبين أي شأو عال بلغته هذه المحكمة . فقد ارتفعت بلغة القضاء وبأسلوبه إلى هذا اللسان العربي المين ، وإلى هذا الأسلوب القوي الرصين ، الذي نقرؤه في أحكامها : لسان لا يتلجلج في التعبير ولا يتعثر في اختيار اللفظ ، وأسلوب يتدفق بيانا ويذخر قوة ويضيء إشراقا .

مباركاً على مصر ، باكورته : محمد عبده زعيم
النهضة الدينية ، وسعد زغلول زعيم النهضة
الوطنية ، وقاسم أمين زعيم النهضة الاجتماعية.
وكان هو من خواتيم هذا الجيل ، زعيم النهضة
القانونية .

فارفعوا أكفكم إلى الله ، واضرعوا له أن
يتغمد الفقيد برحمته ، وأن يبارك في هذا الجيل
الذي كان نعمة كبرى ساقها الله إلى مصر ،
فأولاها به عزاً وقوة ومجدا .

والآن وقد رحل إلى عالم الخلود : أترأه
كشف عن هذا السر المستور الرهيب ،
الذي كان يحيل فيه عقله القوي فلا يكاد
يهتدي إلى شيء بغير معونة من قلبه ؟ أم
ترأه علم أن هذا العقل البشري لا غناء فيه
لدى عالم قيم الأشياء فيه وطبائعها تغاير ما عرفناه
بعقولنا من قيم وطبائع !

أيها الإخوان والزملاء :
إن الفقيد كان يمثل جيلاً كاملاً ، جيلاً